THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

الدكتور
طارق علي الهاشمي

الاحزاب السياسية

الجزء الاول

« ساعدت جامعة بغداد على طبع هذا الكتاب »

١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م

شركة الطبع والنشر الاهلية

الدكتور
طارق علي الهاشمي
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية
جامعة بغداد

هدية
المكتبة المركزية
لجامعة بغداد

الاحزاب السياسية

« ساعدت جامعة بغداد على طبع هذا الكتاب »

١٩٦٨

شركة الطبع والنشر الاهلية ـ بغداد

JF
2051
.H36
v.1

(المقدمة)

الصراع السياسي قديم قدم الدنيا • وهو قانون يتحكم في علاقات الانسان ، ان لم يكن قانون الحياة نفسها • والمنافسة عمل مشروع بحد ذاتها ، وهي ـ مع الصراع ـ خلف كل الفعاليات الانسانية • ولكنهما ينتهيان في الغالب الى صراع دام !

ولما كان التاريخ حركة تقدمية مستمرة ، فانه من الطبيعي أن تقوم حركات مضادة تريد لحركة التاريخ أن تقف ! يحملها على ذلك دافع من مصالح معينة تريد لها المحافظة والبقاء ، ولذا فان الصراع بين القوى المتعارضة صراع طبيعي تحتمه الطبيعة البشرية وكذلك طبيعة التاريخ كحركة تقدمية مستمرة •

ومنذ ان وجدت على ظهر هذه الارض خلائق بشرية ، وجدت المشاحنات والمنازعات حتى بلغت حد اراقة الدماء • وكم انهار من دماء اريقت بسبب ذلك الصراع • وفي الحقيقة فان المجتمع الانساني ـ منذ ان عرفت صوره الاولى ـ قد أنقسمهم الى فئة مالكة حاكمة وهي قلة من الناس وفئة مملوكة ومحكومة وهي الاغلبية منهم •

هكذا الدنيا عجيبة في أمرها ! فيها لكل نقيضه : شر وخير ، غنى وفقر ، ديجور ونور ، طالح وصالح ، كافر ومؤمن ، محافظ وثورى ، رجعي وتقدمى •

قال الله تعالى في قرآنه الكريم :

« وقطعناهم في الارض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك »[1]

ولقد اقترن ميلاد (الانسان الاول) آدم عليه السلام بميلاد الصراع بين قوى الخير والشر ، كذلك قام الصراع بين القوى القليلة في عددها الكبيرة فى عدتها وبين القوى الكبيرة في عددها والقليلة في عدتها • كذلك (السلطة) فلقد

---

(١) القرآن الكريم ـ سورة الاعراف ـ الآية (١٦٨) •

كانت ـ وما زالت ـ رداءا تتقمص به الطبقات الحاكمة لتجعل امتيازاتها شرعية وحكمها شرعيا هو الآخر • ولقد قدمت البشرية الكثير من الضحايا نتيجة ذلك الصراع الدامي على مذبح الحرية • فكم من ضحايا ذهبت من أجلها ونفوس زهقت باسمها • الاولى تنعم بالسلطة معتمدة على حق الملوك الالهي ، الـذي يفترض الطاعة وان الخروج عليها ـ أي على السلطة ـ ان هو الا معصية والحاد !

حتى (الثورة) كانت ـ والى زمن قريب ـ تعتبر خروجا ومروقا على السلوك الاجتماعي الذي كان سائدا المجتمعات القديمة •

هكذا قام الصراع منذ الازل بين قوى عاتية جائرة تريد لسلطانها البقاء ولغيرها الفناء من جهة ، وبين قوى يحدوها الايمان بحقها في هذه الحياة وهي تريد لها مكانا تحت الشمس تنعم فيه بالامن والحرية والعدالة من جهة أخرى •

ولما كان كل واحد منا ينتمي الى (المجتمع) ، وان فيه جماعات وطبقـات مختلفة ، كل واحدة منها ، ـ وكل واحد منا ايضا ـ محكومة بحكم الانتمـاء الاجتماعي (مهنية كانت أو تجمعات تعاونية أو منظمات سياسيـة كالاحـزاب والنقابات والى غير ذلك) ، وأخرى محكومة بحكم الموقع أو المكان في ذلـك المجتمع كأن تكون (عائلة) أو طبقة اجتماعية ، ولما كان كل واحد منا وكـل واحد من هؤلاء قد قدر له أن يلعب دورا معينا في هذه الحياة الدنيا ، فان هـذا الدور هو بالضرورة دور (اجتماعي) يتناسق ويتساوق مع فكره ومبادئه وتكوينه وانتمائـه •

فالاصل في الانسان أن يكون ملتزما تجاه مجتمعه ، محكوما بالمبادىء التي يؤمن بها ، ولذا فانه يدعو لها ويدافع عنها • وهناك حالات يخرج الانسان فيهـا عن مبادئه وينتكر لها ولطبقته فهو هنا خائن لها !

وعليه ـ وبالضرورة ـ فان علاقات وصلات تظل قائمة بين الانسـان وبين المجتمع ، ولما كان الانسان مدنيا بالطبع كما يقال ، فانه لا يستطيع ان يحيا وحيدا أو منعزلا •

اذن فالانتماء مهنيا كان أو تكونيا ، يفترض علينا واجبات ، هذه الواجبات انما تتمخض بداهة ، نحو جماعة من الناس ، وعليه فالانسان يلتزم اجتماعيا ، ومن هنا نفهم لماذا يطيع الانسان القانون أو يحترم السلطة أو قد يخرج عليها !

ان ميلاد الانسان يفرض عليه الاستمرار حيا ومتحركا في مجتمع ما ، وعليه لابد له من علاقات ، هذه العلاقات تؤثر فيه ويؤثر فيها ، سلبا وايجابا • ولا مكان لانسان في مجتمع يريد أن يحيا فيه وحيدا ! ان الموت وحده هو الذي يفرض على الانسان عزلة لا ارادة له فيها !

هذه الصلات وتلك العلاقات تفرضان الحرص عليها تنميها وتغذيها وتحكمها (المبادىء) و (المثل العليا) التي يؤمن بها الانسان ، وعليه لابد لهذه الصلات من أن يعكرها معكر أو يصيبها تغير أو فتور • اذ ليس في هذه الحياة شيء باق ! فكل من عليها فان ! وعليه كان طابع الحياة هو الآخر صراعا بين الناس ، أو منافسة قائمة بينهم ، كل يرى أن طريقه هو الاصوب والاصلح !

وعليه لابد لهذه الحياة من (سلطة) لان النفس امارة بالسوء الا ما رحم ربي • ولذا كان من الضروري قيام جهاز عام في المجتمع يملك سلطة قسرية لكي تحدد قواعد السلوك الاجتماعي بما فيها الصراع السياسي • فكان ان قامت فكرة (الدولة) وهي انما قامت ليس فقط لان تكون سلطة قسر وتحديد وتقييد وانما لتحقق الامن ولتبعد الخوف كذلك لتحقق الاهداف التي تؤمن بها الاكثرية الساحقة من الشعب لا أن تكون جهازا (بوليسيا) يشل ارادتهم في التعبير عن حرياتهم وحقهم في الحياة الحرة الكريمة •

ذلك ان « الدولة العصرية الحديثة ، هي تلك التي تعي مشاكل المجتمع وعيا علميا وتعمل على حلها وفق تخطيط علمي • وكذلك تعكس آمال الجماهير في اعمال تقدمها لتحقق لهم مجتمع الكفاية والعدل دونما استغلال للشعب أو استعلاء عليه • لان السلطة ـ في الاصل ـ انما أوجدت لتكون في خدمة الشعب تحقيقا لرفاهيته دون أن يسيطر عليه جوع أو خوف والشعب انما هو مصدر السلطة ،

وعليه فان السلطة ملزمة ـ دوما وابدا ـ ان تلتجيء اليه احتكاما في كل أمر جليل وشأن خطير لا أن تتحكم فيه »[1] .

فالمجتمع مستعد دوما أن يقبل حكما يعبر تعبيرا سليما عن مصالحه ، وما دامت (السلطة) تمتلك هذه الصفة التي تتمثل في حرصها على اشباع حاجات المجتمع وصيانته من كل سوء وحمايته من كل خطر والعمل على بسط سلطان العدالة واشاعة الامن والطمأنينة ، فان المجتمع باقراره ـ مستعد الى ان يتنازل راضيا ـ عن حريته . ولكن ان جنحت السلطة عن الجادة وخرجت عن الطريق السوي ، نفر منها المواطنون فينعزل الحكم عن قاعدته وهكذا يبدأ الصراع السياسى ما بين الحاكمين والمحكومين .

وفي الحقيقة فان اخطر ما يواجهه حكم أو نظام سياسي انما هو انعزاليته . ذلك ان الجماهير انما هي السند الحقيقي والمادة الرئيسة الحيه في بقاء حكم أو ذهابه . وحين ينعزل حكم ما عن جماهيره فانه يبدو (عضوا) غريبا في (جسد) الامة ، ولابد لهذا الجسد من ان يقضي على هذا الغريب الطارىء ! وهنا يبدأ الصراع وقد يتخذ شكلا خفيا أو علنا .

ان دراسة (الاحزاب السياسية) انما هي دراسة للقوى الفاعلة أو المحركة للمجتمع ، وليس من شك أن هنالك في كل مجتمع سلطة تحرص على بسط كلمتها وسلطانها باسم الحرص على التماسك الاجتماعي وهذا الحرص من السلطة انما يمثل ـ والى حد كبير ـ القوى الثابتة للمجتمع ، في تطبيق القوانين تحقيقا للعدالة وحماية الامن الداخلي والخارجي فهذه عوامل تؤدي من ـ غير شك ـ الى التماسك والتضامن الاجتماعي[2] .

---

(١) مذكراتنا في ـ دراسات سياسية واجتماعية ـ وهي مجموعة محاضرات القيت على طلبة الصف الرابع سياسة في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية والكلية الجامعة للسنة الدراسية ١٩٦٧ـ١٩٦٨ ، ص ١ .

(٢) يرى البروفسور برتراند رسل ان « للانظمة الاجتماعية جذران أساسيان في الطبيعة البشرية ، داخليا ، تحدد النزعتان المتصاحبتان ، نزعة الامر ونزعة الطاعة ، التدرج الاجتماعي وتمنحا الحكومة السلطة ، وخارجيا ،

←

وهناك المبادرات الفردية ونشاطاتهم طموحا وجنوحا • والاحزاب السياسية أجهزة صراع ومنافسة وهي تعبير أصيل وطبيعي لميل الانسان وغرائزه في حب التطاحن والصراع • ذلك ان لكل انسان امياله وآرائه واهوائه !

يقول البروفسور (رسل) : « لست اعتقد ان الكائنات العادية من الجنس البشري تستطيع ان تكون سعيدة دون وجود المنافسة ، لانها ـ اى المنافسة ـ كانت منذ كان الانسان ، الحافز لاهم الفعاليات • ولذلك فيجب ان لا نحاول ان نلغي المنافسة وانما نراعى فقط ان لا تتخذ اتجاهات ضارة كثيرا »[1] •

فالعلاقة ما بين (الحاكمين) و (المحكومين) انما يحددها ما قدمته السلطة من اعمال ومنجزات في صالح (جماهير) شعبها ، ذلك ان هذه (الجماهير) قد ارتضت لنفسها أن تخضع للسلطة ما دامت الاخيرة عاملة من أجل اسعاد الجماهير وتحسين احوالهم ورفع مستواهم • ولقد قدمت الشعوب الغـــالى والنفيس من الاموال والارواح من أجل استرداد حقوقها المغصوبة ولتستعيد ارادتها المسلوبة • ولتتمتع بحرياتها بعد طول كبت واضطهاد •

وهكذا دخلت (الديمقراطية) في حياة البشر ولكن على بحر من دماء • ومن يومها حرصت الجماهير في كل مكان (على حقوقها) كاملة غير منقوصة ولقد سيطرت فكرة الديمقراطية على ما عداها من أفكار وغدا (الشعب) مصدر السلطات وصاحب السلطة العليا في منح (الحكام) سلطاتهم لاداء واجباتهم باسم الشعب • واذا ما انحرف الحاكمون عن الجادة وسواء السبيل كان من حق الشعب تغيير حكامه •

« فالناس ـ كما يقول هارولد لاسكي ـ يعتقدون ان ما يوجد في الدولة من

هناك زوج اخر من النزعات هما التماسك والتنافس وهما العاملان الذين عليهما المعول » • انظر كتابه (المجتمع البشري في الاخلاق والسياسة) ترجمة عبدالكريم احمد ـ ١٩٦٠ ، ص ١٧٦ •

(١) برتراند رسل : (السلطة والفرد) تعريب شاهر الحمود ـ دار الطليعة ـ ١٩٦١ ، ص ٣٣ •

فوارق يحتاج الى تبرير ، فاذا حرموا من امتيازها ، طالبوا اما الغاء الامتياز نفسه ، أو التوسع فيه حتى يشملهم كذلك • وسيظل الناس صابرين على اختلال المساواة ، ما داموا مقتنعين بان المجتمع يقدم لهم أحسن ثمار عملياته • ولكن ما ان يبدأ الناس في الاعتقاد بان هناك فرقا واضحا بين ما يحصلون عليه ، وما يتوقعون حتى تتجه أنظارهم على الفور الى وجود اختلال في المساواة تستغل الدولة سيادتها لحمايته »[1] •

ولقد مرت الديمقراطية بادوار متعددة (كما سنرى) نظرية التمثيل أو الانابة ثم الديمقراطية شبه المباشرة واخيرا اعتراف بوجود الاحزاب السياسية تعبيرا عن الارادة الحرة للجماهير • وفي الحقيقة فلقد اقترن ميلاد الاحزاب السياسية بظهور الديمقراطية واصبحت الديمقراطية والاحزاب السياسية في الدول المتقدمة توأمين لا أنفصام بينهما : فلا ديمقراطية بلا احزاب ولا احزاب بلا ديمقراطية •

ولئن أثارت الديمقراطية جدلا ـ على مر العصور ـ بين مؤيديها والمعارضين لها ، فان الاحزاب السياسية أثارت ـ ولا زالت تثير هي الاخرى ـ اهتماما كبيرا على كافة المستويات والاوساط المختلفة ، اذ كانت شغلهم الشاغل •

ولا نكران ان للاحزاب السياسية مكانا وأهمية بارزتين في العلوم السياسية فهي بمثابة العمود الفقري بل ان الاحزاب السياسية لها القدح المعلى في تكوين (علم السياسة) وان الاحزاب السياسية لتعتبر ـ وبحق ـ مفاتيح هذا العلم الذي هو مدين بوجوده لها •

وليس خافيا ان دراسة الاحزاب دراسة حديثة ، اذ ترجع اولى الدراسات الجديد الى عام ١٩٠٣ حيث كتب (اوستروكورسكى) كتابا تحليليا وأعقبه (روبرت ميشيل) عام ١٩١٣ وقد ظهرت مؤلفات وكتب كثيرة في الولايات المتحدة ولكنها كانت قاصرة على الاحزاب الامريكية • حتى اذا جاء عام ١٩٥١ ظهر كتاب (الاحزاب السياسية) لمؤلفه (موريس ديفرجيه) الاستاذ في جامعة باريس والذي

---

(١) هارولد لاسكي ـ الدولة في النظرية والتطبيق ـ ترجمة أحمد غنيم وكامل الزهيري ـ الطبعة الثانية ١٩٦٣ ، ص ٨٨ •

يبحث فيه دراسة الاحزاب نظريا وعمليا • وقد اعتمدنا كثيرا على الكتاب الاخير في الدراسات التي نقدمها للقارىء الكريم عن موضوع الاحزاب السياسية •

ولئن كان حظ هذا العلم من الدراسة بمثل هذا المستوى في بلاد الغرب فان حظه من الدراسة في بلادنا العربية يكاد لا يذكر • ذلك ان مكتبتنا تفتقر الى كتاب يبحث في (الاحزاب السياسية) ، وانى احاول في هذا الكتاب أن اساهم مساهمة متواضعة في تلافي بعض هذا النقص ، ولست ادعي اني قد أوفيت (البحث) حقه ذلك ان النقص يشوب الكثير من صفحاته • واني منذ قيامي بتدريس هذه المادة منذ عام ١٩٦٤ في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية والكلية الجامعة الى الآن وتدريسى لها في كلية الادارة العامة حتى عام ١٩٦٦-١٩٦٧ قد شعرت بالحاجة الماسة من قبل الطلبة الى وجود هذا الكتاب ليرجعوا اليه في فهم هذه المادة الصعبة والمعقدة نظرا لندرة المصادر التي تبحث هذا الموضوع •

وأملي أن تهادنني الظروف لاوفي البحث حقه في قابل الايام ، فالله تعالى وحده ، هو الذي تفرد بالكمال والدوام •

طارق علي الهاشمي

بغداد ١٢-١٠-١٩٦٨

الباب الاول

الديمقراطية والاحزاب السياسية

الفصل الاول

الادوار التي مرت بها الديمقراطية

تميزت الحياة السياسية للمجتمعات الغربية ـ أوربا وامريكـــا ـ بان لا ديمقراطية بلا احزاب • ولعل من أهم السمات الرئيسة التي تتصف بها الحيـاة السياسية لكل من المجتمعين انما هو الديمقراطية وممارسة الاحزاب السياسية عملها هناك •

يقول شاتسنيدر في مقدمة لكتابه (Party Government) انه «يجب أن نقرر بشكل قاطع ان هذا الكتاب قد خصص للنظرية التي تقول ان الاحزاب السياسية هي التي خلقت الديمقراطية ، وان الديقراطية الحديثة لا يمكن التفكير فيها الا بمفاهيم الاحزاب »[1] •

ولقد لعبت الاحزاب السياسية ـ ولا زالت تلعب ـ اخطر الادوار على مسرح الحياة السياسية وأثرت تأثيرا عميق الاغوار بعيد الاثر في حياة المواطن الاوربي والامريكي •

ولكي تكون دراستنا للاحزاب السياسية دراسة كاملة ، لابد لنا من ان نتعرض الى الديمقراطية نظرا للعلاقة الوثقى التي تربطها بالاحزاب السياسية • ولذا فانه من الطبيعي ان نحيط علما وخبرا بالديمقراطية مستعرضين ادوارها متعقبـين ـ بالبحث ـ تطورها الى ما وصلت عليه الآن •

وهكذا فاننا محكومون بطبيعة البحث سنقسم بحثنا للديمقراطية الى المواضيع التالية :

١ ـ الديمقراطية عند الاغريق •

---

(١) وردت في كتاب أوستن رني ـ سياسة الحكم ـ ترجمة الدكتور حسن علي الذنون ـ الجزء الثاني ، ص ١ •

٢ ـ الديمقراطية عند الرومان •
٣ ـ الديمقراطية عند العرب •
٤ ـ الديمقراطية في القرن الثامن عشر •
٥ ـ الديمقراطية الغربية •
٦ ـ الديمقراطية بالنسبة للدول النامية •

المبحث الاول

الفرع الاول

الديمقراطية عند اليونان

قبل البدء بالحديث عن الديمقراطية عند اليونانيين ، يتعين علينا تسهيلا للبحث ، أن نتعرف على ما يراد بكلمة (ديمقراطية) ثم ما هو تعريفها ؟

الديمقراطية كلمة اغريقية مركبة من كلمتين الاولى (ديموس) ومعناها الشعب ، و (كراتوس) ومعناها السلطة أو الحكم ، ولذا فان معناها (حكم الشعب) أو شكل الحكم الذي تكون فيه السلطة شعبية أو لصالح مجموع الشعب •

وكما يروى لنا التاريخ فان العالم القديم كان الحكم فيه حكما تعسفيا استبداديا • وكان سلطان الملوك مستمدا من الآلهة ، لذا ينبغي الخضوع لهم والاذعان طاعة وتنفيذا لاوامرهم ظل الله في أرضه •

ومن الجلي الواضح ان الدعوى بان سلطة الملوك مستمدة من سلطة الآلهة ما هو الا بهتان وزيف لا يحتاج الى دحض أو نقض •

كذلك كانت المجتمعات الاولى تسيطر عليها الخرافات والاساطير والتي ساهم الكهان والسحرة كثيرا في ترويجها • وما اصباغ السلطة بالصبغة الدينية وادخالها في معتقدات الناس الا تبرير لوجودها وبقائها •

ولقد حكم اولئك الملوك شعوبهم حكما غاشما قاسيا مستبدا ، كان الشعب فيه مثله مثل العبد بالنسبة الى سيده • وقدمت الشعوب انهارا من دماء قربانا لنوال حريتها ولاسترداد حقوقها المشروعة • فكان حصول الشعب على حقه متمثلا بالديمقراطية انما هو انتصار عظيم لارادة الشعوب وتمكينا لها لتتمتع بحقها في حياة حرة كريمة قوامها المساواة والعدالة • ويروي لنا التاريخ ايضا كيف أن المدن اليونانية قد عرفت (الديمقراطية) التي كانت تقوم على اساس المشاركة المباشرة من قبل سكان المدينة في اتخاذ القرارات الحكومية • ولذا يمكننا القول انه لم يكن هناك (تمييز) بين طبقة الحاكمين وطبقة المحكومين • ولئن كان مكان الاجتماع يعتبر (برلمانا) مفتوحا للمواطنين لغرض المشاركة في اقرار وتدوير الشؤون العامة ، فان هذا الحق لم يكن عاما ولا شاملا • اذ كان يمنع العبيدوالارقاء من حق المشاركة في تدوير شؤون المدينة وكذلك في اتخاذ القرارات العامة وكذلك كانت النساء أيضا ممنوعات من التمتع بهذه الحقوق •

وهكذا نجد ان تطبيق الديمقراطية ، على الرغم من اقتصارها على فئات دون أخرى ، كانت تعد ـ كما اسلفنا من قول ـ نصرا للشعوب التي كانت تعيش على شواطيء بحر آيجه وغيرها • اذ خاضت هذه الشعوب غمار حرب ضروس حامية الوطيس دفاعا عن حريتها التي سلبها حكام مستبدون غاصبون وانتزاعا لحقوقها التي اغتصبها امراء طغاة جائرون ولذا فان ما حققته الديمقراطية لهذه الشعوب ـ بعد ذلك الجهد الجهيد ـ حريا ان يحرص عليها • وان كانت الديمقراطية التي جاء بها الاغريق لا تملك ـ من حيث التطبيق ـ العمومية أو الشمولية • ويدلنا تاريخ أثينا القديم على ان كبار فلاسفتها لم يكونوا مؤمنين بالديمقراطية •

كان سقراط وحده مؤمنا بها • ولذا فان اولئك الفلاسفة الكبار وقفوا ضدها معارضين لها • وكن السفسطائيون اكثر المدارس اليونانية تهكما على الديمقراطية ودعاتها • كذلك كان (ارستوفان) يتخذ من الديمقراطية سبيلا الى الدعابة واضحاك الناس عليها ساخرا منها ومن سقراط ! .

ولقد أصاب الاخير من الشر شيء كثير ، جزاء ايمانه بها ، حتى استطاع اعداؤه أن يفرضوا عليه عقوبة الموت • كذلك حدث للوربيدس ان طرد من أثينا لانه من المؤمنين بها والداعين لها • هكذا كان حال أثينا وكذلك كان حال الديمقراطية والداعين لها •

كانت دعوى (الديمقراطية) تسود أثينا مظهرا ولكن ظلت الطبقة الحاكمة المستبدة تسيطر على المدينة عملا وجوهرا •

ما تعليل هذه الظاهرة ؟ لعل احسن تعليل لهذه الظاهرة انما نجده في قول الاستاذ العقاد فهو يقول :

« ان النظام الديمقراطي بدأ في اسبرطه ولم يبدأ في اثينا موطن الفلاسفة واصحاب الدراسات الفكرية ، وتقرير هذه الحقيقة مهم جدا للعلم بطبيعة النظام الديمقراطي الذي نشأ في ذلك الزمن ، فهو نظام عملي قائم على ضرورات الواقع ، وليس بالنظام الفكري القائم على توضيح المبادىء وتمحيص الآراء »[٢] •

وفى الحقيقة والواقع فان النظام السياسى وكذلك (الدستور انما هو يستجيب في الاساس لاحتياجات وآمال الشعب ، لانه يعكس الواقع الاجتماعي والاقتصادى، وبمعنى آخر فان كل منظمة سياسية انما هي مرآة تعكس حقيقة الظروف الاجتماعية والاقتصادية للبيئة التي فيها تكون ولادته)[٣] •

مما تقدم فانه يمكننا القول ان كل نظام سياسى ينفرد بمزايا وصفات وخصائص تغاير الانظمة السياسية الاخرى • ومرد ذلك يعود ـ من غير ادنى شك ـ الى طبيعة البلد وتراثه الحضارى وعوامل التاريخ والدين الى جانب الابنية الاقتصادية والاجتماعية ، وعليه فلا امكانية لتطبيق نظام تجح في بلد على آخر • لقد فشلت الديمقراطية الغربية عند تطبيقها في الدول النامية لانها لم تكن نابعة من الارض التي عليها فرضت •

---

(٢) عباس محمود العقاد ـ الديمقراطية في الاسلام ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٤ ، ص ١٤ •

(٣) أطروحتنا للدكتوراه ـ النظام السياسي للجمهورية العربية المتحدة ـ باريس ١٩٦٤ ، ص ١٢٢ •

اما وقد أحطنا ـ ولو قليلا ـ بالديمقراطية الاغريقية ، أن لنا ان نتساءل هل عرفت المدن اليونانية تحت ظل هذه الديمقراطية الاحزاب السياسية ؟

الجواب على ذلك هو ان المدن اليونانية كانت مقسمة الى طبقات :

طبقة ارستقراطية وطبقة فقيرة • أو كما أشار (أرسطو) الى ذلك حين وصف الوضع الاجتماعي في اليونان أو المدنية اليونانية بانها مدينتان : مدينة الفقراء ومدينة الاغنياء •

بل ان ارسطو قد ارجع اسباب الثورة الى الفقر حين قال :

« الفاقة انما هي أم الثورة » كذلك « فان اللامساواة ، بالنسبة لاولئك الذين يبحثون عن المساواة فانها مصدر دائم للتغييرات »[1] •

ويحدثنا التاريخ اليوناني كيف ان الطبقات الارستقراطية قد أصابها الجزع لشدة تأثير سقراط على الشباب آنذاك • وكيف انها دفعت الشاعر (ارستوفان) الذي كان لسان الاحزاب الارستقراطية المحافظة الى ان يتعرض الى سقراط بالهزء والسخرية في قصصه وتمثيلياته • بمعنى ان هناك احزابا « ديمقراطية » واحزابا اخرى ارستقراطية • ولكن من الواضح أيضا ان الاحزاب في اليونان لم يكن لها التنظيم الحزبي المعروف في الوقت الحاضر ولكن كانت هناك (كتل) من الرأي تمثل مصالح معينة منها طبقات الشعب وأخرى طبقة النبلاء وأهل اليسار (اى الغنى) في المدن اليونانية •

كانت هذه الاحزاب ضعيفة التكوين والارتباط لانها تقوم في الاساس أما بدافع الاعجاب بشخصية سياسية أو قائد حربي •

---

(١) Aristote - La Politique - Editions Gonthier - 1964, P. 178.

الفرع الثاني

الديمقراطية عند الرومان

لا نستطيع ان نتحدث عن الديمقراطية عند الرومان • لان الرومانيين ـ كما هو معروف ـ كانوا جنود حروب وفتوح • فلم يهتموا كثيرا بالشعب لانه في نظرهم يمثل الطبقة الدنيا • ولقد سببت هذه النظرة قيام صراع في الحركات التي قام بها السوقة ضد الطبقة الحاكمة من النبلاء •

ثم ان الرومان كانوا شديدي الاهتمام بكل ما هو روماني فقط ، وكانت نظرتهم الى الآخرين نظرة استعلاء وازدراء •

ويحدثنا التاريخ كيف ان الرومان قد قاموا بغزو اثينا قبل القرن الثاني للميلاد ، ولما كان حكم الرومان حكما ارستقراطيا ، فلقد كان دخولهم الى اثينا ، ايذانا بخسوف شمس الديمقراطية في اليونان •

ومع ذلك فان روما قد عرفت هي الاخرى احزابا سياسية • فكان هناك حزب النبلاء كما كان هناك حزب السوقة •

كذلك عرفت روما بعد ذلك حزبين هما الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري • وما قلناه بصدد الاحزاب في اليونان فانه ينطبق هو الآخر على الاحزاب في دولة الرومان •

أما وقد أحطنا علما بالديمقراطية في مهدها اليونان وكذلك الديمقراطية عند الرومان ، فانه آن الاوان لنا لنتعرف على حياة العرب وديمقراطيتهم •

الفرع الثالث

الديمقراطية عند العرب

لا مراء في ان (العائلة) تعتبر المجتمع الانساني الاول الى جانب كونها أول شكل للمجتمعات السياسية • والعرب قد عرفوا بعض مظاهر الديمقراطية المتمثلة في العائلة وفي القبيلة •

وفي الحقيقة فان العرب قوم فطرة • عاشوا في الجزيرة العربية احرارا متنقلين لا يحدهم حد ولا يمنعهم قيد ، ولذا فان الاعرابي يقدس حريته ولا يرتضي عنها بديلا • كذلك مارس العرب منذ أقدم العصور « نوعا من الديمقراطية العائلية ، ديمقراطية الارياف ، ديمقراطية الناس الذين تقوم حياتهم على رعى المواشى والزراعة في شكلها البدائي البسيط »[1] •

ومن الامور البديهية بمكان ، ان الحياة البدوية تلجىء العربي الى أن يطلب لنفسه معاشا وأمنا ، ولذا فانه دائم التجوال والارتحال بحثا عن صيد أو فريسة وطلبا لمرعى حيث ترعى فيه الاغنام والابل •

يقول ابن خلدون في مقدمته : (ان العرب أبعد نجعة[2] وأشد بداوة لانهم مختصون بالقيام على الابل فقط)[3] •

وعلى الرغم من المظاهر الديمقراطية التي كان يحياها العرب ، والمتمثلة ـ كما اسلفنا من قول ـ في نظام العائلة والقبيلة ، فان العرب عرفوا ـ كغيرهم ـ أنظمة حكم جائرة ومتسلطة • فهناك في جزيرة العرب قامت حكومات أو ممالك كان حكمها حكما تعسفيا مستبدا ، والمثل العربي المشهور يقول : (لا حر بوادي عوف)[4] • ذلك ان الحاكم في هذا الوادى كان جبارا عنيدا ، خضع لارادته كل من كان يعيش في بطن هذا الوادى •

كذلك قصة المنذر بن ماء السماء[5] ، الذى كان له يوم بؤس ويوم نعيم في السنة الواحدة • فاذا جاء أحد في يوم نعيمه اغدق عليه نعمه وعطاياه ، وان

---

(١) ابراهيم حداد ـ الديمقراطية عند العرب ـ دار الثقافة ، ص ٥٠ •
(٢) نجعة بمعنى ارتحالا من الرحلة •
(٣) ابن خلدون ـ الجزء الاول ـ مطبعة التقدم ، ص ١٣٦ •
(٤) ورد ذكره في كتاب ـ الديمقراطية في الاسلام ـ للاستاذ عباس محمود العقاد ـ دار المعارف ١٩٦٤ ، ص ٢٨ •
(٥) أحد ملوك اللخميين في العراق •

جاءه في يوم بؤسه قتله • وهذا أشد انواع الظلم أذ يسن انسان لنفسه ـ خضوعا لاهوائها قانونا ـ ويجعل انسانا سعيدا ويجعل انسانا آخرا مقضيا عليه بالموت دونما أثم أو جرم !!

ولقد عرفت الجزيرة العربية هي الاخرى ، الحروب ، اذ كانت القبائل وهي دائمة الترحال والتجوال ، كثيرة الوقوع في صدام عنيف • ولعل من أشهر الصراعات هي تلك التي كانت بين العدنانيين والقحطانيين وكذلك بين الاوس والخزرج • وأسباب هذه الحروب انما تعود الى الصراع ما بين البداوة والحضارة ، تماما كما حدث في التاريخ بالنسبة لليونانيين • وكذلك حروب داحس والغبراء ويوم الفجار ويوم ذي قار •

وعلى ذكر الحروب فأن (العرب قد عرفوا في حروبهم تسيير الجيوش بعشرات الالوف على اختلاف الاسلحة والاقسام • وقيل ان جيش الغساسنة الذى حارب المنذر بن ماء السماء لم يقل عن ٤٠ الفا بين راجل وفارس ، وكان في الجيش معا راكبوا الخيل وراكبوا الابل وحاملو السيوف وحاملو الرماح والضاربون بالسهم والنبال والضاربون بالحراب والحجارة[1]) •

ان العربي ـ كما قلنا ـ متعلق بحريته حريص عليها وعلى كرامته ، ولما كان طابع حياته التنقل والترحال ، كانت حريته شخصية وليست جماعية ، لانه لا يستقر على حال • وهذا يعنى ان الديمقراطية عند العرب قبل الاسلام لم تكن الا ظاهرة عرضية في حياتهم • حتى اذا بعث الله في أمة العرب نبيا منهم ، هاديا ونذيرا ، تغيرت حياتهم وتبدلت • فلقد كان الاسلام نورا أضاء حياة العرب بعد ان احتوتهم ظلمة الجاهلية •

---

(١) عباس محمود العقاد ـ عبقرية خالد ـ •

الفرع الرابع

الديمقراطية في صدر الاسلام :

لقد كان الاسلام عامل تغيير جذري في حياة العرب . اذ كان (ثـــورة اجتماعية) على الاوضاع الفاسدة والسائدة في دنيا العرب . ولقد أثر تأثيرا عميق الاغوار بعيد الاثر في تغيير المجتمع وكذلك الاخلاق والعادات ولا سيما العصبية القبليـــة .

فلقد قضى القرآن الكريم « أن اكرمكم عند الله أتقاكم » . كذلك جاء في الحديث الشريف « كلكم لآدم ، وآدم من تراب . ليس لعربي على أعجمي ولا قريشي على حبشي فضل الا بالتقوى » .

كذلك جاء القرآن بمبادىء تعتبر مثلا عليا في الديمقراطيـــة الا وهي الشورى . اذ قضى الله تعالى « وشاورهم في الامر » ثم قوله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » كذلك فيما يخص المسؤولية الفردية فالايات القرآنية الكريمة : « كل امرىء بما كسب رهين » « ولا تزروا وازرة وزر اخرى » « وأن ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى » قاطعة الدلالة في ترسيخ المبـــادىء الديمقراطية . كذلك قال الرسول (ص) : « كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته » .

ولقد كان الرسول (ص) وعهده ، مثالين رائعين للديمقراطية . يشاور صحابته فيما ينوى عمله ويسألهم الرأي فيما يزمع القيام به حتى قال ابو هريرة : « ما رأيت أحدا قط اكثر مشاورة لاصحابه من الرسول (ص) » .

كذلك كان الخلفاء الراشدون (رضى الله عنهم) أمثلة صادقة وناطقة في الديمقراطية . فحين ترك الرسول العربي الدنيا ، لم يوص بمن يخلفه ، حتى كان (اجتماع السقيفة) الذي كان معه أن يذهب الامر الى سعد بن عبادة . فلقد قام الخلاف على من يخلف الرسول : المهاجرون أم الانصار ؟ ولابد لنا من

التعرض ـ بايجاز ـ الى اجتماع السقيفة لماله من أهمية وكذلك لما له من علاقة بدراسة القوى السياسية في الاسلام .

اجتماع السقيفة :

بعد وفاة الرسول (ص) أشتجر خلاف لمن تكون الخلافة من بعده ؟ ولقد اجتمع الانصار في سقيفة بني ساعدة ، ليبايعوا سعد بن عبادة ، فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وابو عبيدة بن الجراح (رضى الله عنهم) وكان النزاع ما بين المهاجرين والانصار نزاعا سلطويا ، بدليل أن أبا بكر حين ذهب ومعه عمر ابن الخطاب وابو عبيدة الجراح ، سألهم ما هذا ؟ قالوا منا أمير ومنكم أمير . فقال أبو بكر (منا الامراء ومنكم الوزراء) .

ولم يكن المهاجرون والانصار طرفي الصراع بل كان هناك ابو سفيان ، وهو ـ وبيته ـ معروف المكان والمال . كان أبو سفيان يريد ان يثير قتالا بين المسلمين ، ولكنه لا يستطيع أن يطلبها ـ اى الخلافة ـ لنفسه ، لذا فانه لما بويع أبو بكر على الخلافة ، ذان هذه البيعة ، كانت ترضى رجلا كأبي سفيان . فحاول أن يبايع عليا (رض) لغرض في نفسه .

ولقد أدرك الامام علي ، ذلك فرده زاجرا . وفي ذلك يقول صاحب كتاب الكامل في التاريخ :

« لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر ، أقبل أبو سفيان وهو يقول : اني لارى عجاجة لا يطفئها الا دم ، يا آل عبد مناف ، فيـــم بكر من أموركـــم ؟ اين المستضعفان ؟ اين الاذلان ؟ علي والعباس ، ما بال هذا الامر في أقل حى من قريش ؟ ثم قال لعلي ابسط يدك أبايعك ، فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيـلا ورجلا . فابى علي عليه السلام . فتمثل بشعر المتلمس :

ولن يقيم على خسف يراد به الا الاذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشبح فلا يبكي له أحد

فزجره علي وقال : والله أنك ما اردت بهذا الا الفتنة وأنك طالما بغيت للاسلام شرا : لا حاجة لنا في نصيحتك »[1] .

من هنا نستطيع القول مطمئنين ، الى ان الحياة السياسية في صدر الاسلام وبعد وفاة الرسول (ص) كانت تتمثل في جماعات وبيوتات منها :

١ ـ جماعة المهاجرين .
٢ ـ جماعة الانصار .
٣ ـ البيت الهاشمي .
٤ ـ البيت الاموي .

كان المهاجرون يرون أنهم أحق بالخلافة من غيرهم ، كما جاء ذلك على لسان أبي بكر حين قال :

« ان الله بعث فينا رسولا الى خلقه وشهيدا على أمته ليعبدوه ويوحدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى من حجر وخشب ، فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم . فخص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه والايمان به والمواساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم وتكذيبهم اياه ، وكل الناس لهم مخالف زآر عليهم فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم ، فهم أول من عبدالله في هذه الارض وآمن بالله وبالرسول وهم اولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الامر من بعده ، لا ينازعهم الا ظالم وانتم يا معشر الانصار من لا ينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم في الاسلام رضيكم الله انصارا لدينه ورسوله وجعل اليكم هجرته (وفيكم جله ازواجه واصحابه) فليس بعد المهاجرين الاولين عندنا بمنزلتكم فنحن الامراء وانتم الوزراء لا تفاتون بمشورة ولا تقضى دونكم الامور .

اما الانصار ، فكان لهم رأى آخر ، جاء على لسان الهباب بن المنذر الجموح :

---

(١) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ الجزء الثاني دار الفكر ببيروت ص/٢١٤ـ٢١٤ـ٢١٥ .

« يا معشر الانصار املكوا عليكم امركم فان الناس في ظلكم ولن يجترىء مجترىء على خلافتكم ولا يصدر (الناس) الا عن رأيكم • انتم اهل العز والثروة وأولوا العدد والمنعة وذووا البأس والنجدة • وأنا ينظر الناس الى ما تصنعون ولا تختلفوا فيفسد عليكم (رأيكم وينتقض وينقض عليكم) امركم • أي هؤلاء ألا سمعتم فمنا أمير ومنكم امير •

فقال عمر : هيهات ! لا يجتمع أثنان في قرن !

هكذا كان الوضع بعد وفاة الرسول (ص) المهاجرون يرون أنهم أحق بالخلافة ولذا فالامارة لهم وللانصار الوزارة •

أما الانصار فكانوا يرون أنهم اكثر مالا ورجالا واقوى منعة وقوة ولذا فان الامر بينهم وبين المهاجرين سواء : أمير منهم ومن المهاجرين امير •

هذا الخلاف الذي قام لاستخلاف الرسول الكريم كان بداية ـ في رأينا ـ لظهور الجماعات والتكتلات في الاسلام • والشيء الذى ليس فيه شك ، هو ان شخصية الرسول العظيم ، كانت جامعة لكل الناس من عرب وغيرهم من المسلمين•

لقد كان المسلمون حزب الله « ألا ان حزب الله هم الغالبون » • وكان الكفار حزب الشيطان : يقول الله تعالى في كتابه العزيز :

« أن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير »[1] •

ولقد اشتدت الخلافات بعد وفاة الخليفة الاول ابو بكر (رض) والخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) اذ ظهر خلافات سياسية واضحة ، تعرض الناس فيها للامان ومن هو من الصحابة احق بها • ولقد سقنا كل هذا الحديث عن « السقيفة » لتبيان وجهات النظر المختلفة وهو بحد ذاته يصور لنا اجتماع الناس (كأنهم في برلمان) للنظر في مبايعة أحد اصحاب (ص) للخلافة •

---

(١) القرآن الكريم ـ سورة الملائكة •

ولقد انتهى هذا الاجتماع بمبايعة أبي بكر الصديق • حيث قال كلمة بعد مبايعته وانها لدلالة قاطعة على روح ديمقراطية أصيلة :

أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينوني وان أسأت فقوموني • الصدق أمانة والكذب خيانة • والضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذ له حقه والقوي ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله •

ثم يقول : أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم » كذلك حادثة انفاذ جيش أسامة ابن زيد قاطعة الدلالة هي الاخرى على روح الديمقراطية التي تجيش بها نفس الخليفة أبي بكر اذ خرج ماشياً ومشيعا هذا الجيش وأسامة راكب فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله لتركبن أو لانزلن فقال والله لانزلت ولا اركب ، وما علي أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله[1] •

وكانت سيرة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) مثلا للديمقراطية جديرا بان « يحتذى به ويقتدى » • فانه بعد ان تولى الخلافة قال :

(ألا من رأى منكم في اعوجاجا فليقومه) •

فقام اليه اعرابي قائلا : والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا ، فقال عمر : الحمد لله الذي أوجد في العرب من يقوم اعوجاجي •

وقصته أبان واقعة (القادسية) المشهورة وهي ان البشير الذي يحمل أنتصار العرب المسلمين سأله عمر : من أين ؟ فاخبره • قال يا عبدالله حدثني قال : هزم الله المشركين وعمر يخب معه ليسأله والآخر يسير على ناقته لا يعرفه حتى دخل المدينة ، واذا بالناس يسلمون عليه بأمرة المؤمنين • قال البشير :

هلا اخبرتني رحمك الله انك أمير المؤمنين ؟ فقال عمر : لا بأس عليك يا أخي[2] •

---

(١) أبن الاثير – نفس المصدر السابق – الجزء الثاني ، ص ٢٢١ •
(٢) أبن الاثير – نفس المصدر السابق – عدد ٧ ، ص ٣٣٢ •

أليس عمر بن الخطاب هو القائل : متى أستعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا ؟

والتاريخ يروى لنا أنه في السنة الثامنة عشر أصابت الناس مجاعة شديدة وهو ما يعرف بعام الرمادة ، أشتد فيه الجوع فاقسم الخليفة أن لا يأكل سمناً ولا لبنا ولا لحما حتى يحيا الناس وقال : أني أكره أن آكل اسرافا ، وكيف يعينني شأن الرعية اذا لم يصبني ما أصابهم ؟

هكذا كان عمر راعيا مسؤولا عن رعيته • يعيش كواحد منهم يصيبه ما يصيبهم • كان يخشى الله كثيرا حتى قال : (لو ان جملا هلك ضياعا بشط الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه) •

كذلك كان الامام علي بن أبي طالب (رض) • فقد نزل عند رأي الاكثرية على الرغم من خطأها بقبول التحكيم اثناء النزاع بينه وبين معاوية بن أبي سفيان• كذلك نزل ثانية عند رأي الاكثرية في أن يكون ممثله في التحكيم (أبو موسى الاشعري) رغم علم الامام بضعف أبي موسى وقلة حيلته أمام دهاء عمر بن العاص •

يقول جان جاك روسو ، الفيلسوف الفرنسي المشهور ، : « بانه لا وجود للديمقراطية الحقة ، وربما كان ذلك ممكنا لو وجد شعب من الالهة ! ان الديمقراطة لا تلائم طبيعة البشر »[1] •

وأود هنا ان اقف متسائلا : ترى لو ان جاك جاك روسو قد اطلع على التاريخ العربي الاسلامي وأحاط علما بسيرة الرسول (ص) والخلفاء الراشدين ترى هل سيصر على قوله ذاك ؟

ان الديمقراطية في عهد الرسول وفي عهد صاحبيه (أبو بكر وعمر بن الخطاب) هي ديمقراطية حقيقية علما بان العرب شعب من البشر وليسوا من الالهة !

---

(1) Jean Jacques Rouseau-Contrat Social-Livre III Chapitre.

ولابد لنا من القول ان الديمقراطية التي جاء بها الاسلام لم تكن ـ كما رأينا ـ مألوفة عند العرب ، لان العرب قبل الاسلام انما عاشوا حياة قاسية كان الحكم فيها مستبدا وكانت الديمقراطية في حياتهم ظاهرة عابرة ان لم نقل نادرة !

ولابد لنا في هذا المقام ان نستشهد بقول الدكتور لوبون حين كتب قائلا : « ان التاريخ لم يعرف فاتحا أرحم من العرب » لانهم « في كل فتوحاتهم يطبقون النظم الديمقراطية في الحكم تطبيقا صحيحا فساووا انفسهم بالشعوب التي تغلبوا عليها وجعلوا الحرية والاخاء والمساواة شعارهم في ادارة الشؤون العامة »(١) ويقول كوستاف لوبدن(١٧) : « ان الفضائل الديمقراطية التي سهلت للعرب سبل الفوز والانتصار في فتوحاتهم ، صارت هي نفسها السبب في انحطاط دولتهم واضمحلالها ، فالشجاعة الى ما فوق التضحية والجود باقصى الاستطاعة ، وحب الاستقلال والحرية الى درجة الانفة ، كانت فضائل ديمقراطية لازمة للعرب في بادىء الامر ، ثم تحولت الى نقائص فيما بعد ، فتعدد الرؤساء ،وذهبت التضحية أدراج الرياح في انقساماتهم ، وأوقعهم الجود في الافلاس ، وحب الاستقلال والحرية الى درجة الانفة أوجد لهم دويلات متعددة ضعيفة ، فانقسموا على أنفسهم ، وصار لهم في كل قطر أمير ، كما كانوا في عصر الجاهلية ،وهكذا أضمحل سلطانهم » .

لقد جاء الاسلام ثورة على التقاليد والعادات التي كانت قائمة في الجزيرة العربية كذلك غير طبيعة البناء الاجتماعي والاقتصادى فيها . كما عمل على تحقيق العدالة الاجتماعية دون ان تحتكر فئة او تتحكم أخرى . فلقد رفع الاسلام مكانة العمل والعاملين كذلك أزال الاستغلال فهو دين الفقراء .

قال الله تعالى في كتابه العزيز :

---

(١) أبراهيم حداد ـ المصدر السابق ـ ص ٨١ .
(٢) ابراهيم حداد ـ المصدر السابق ـ ص ٨١ .

« لكي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم[1] .

كذلك حرم الربا ، لان فيه استغلالا فاحشا لحاجة الانسان الى المال .

وفي الحديث الشريف (من أحتكر طعاما اربعين يوما يريد به الغلاء فقد برىء من الله وبرىء الله منه) .

يقول الدكتور طه حسين لو أن النبى (ص) دعا قريش الى التوحيد دون ان يعرض للنظام الاجتماعي والاقتصادي ، ودون ان يسوى بين الحر والعبد وبين الغني والفقير وبين القوى والضعيف ، ودون ان يلغى ما ألغى من الربا ، ودون أن يأخذ من الاغنياء ليرد على الفقراء ـ أقول لو قد دعاهم النبي الى التوحيد وحده دون أن يمس نظامهم الاجتماعي لاجابته كثرتهم في غير مشقة ولا جهد »[2] .

لذا فأنه من الطبيعي أن يقاوم هذا الدين الجديد من قبل الطبقات الثرية الخازنة للاموال المحتكرة للارزاق . لذا كانت قريش ساخطة كل السخط عليه . وما أجتماع هذه الطبقات التي تمثل (السراة والاغنياء من قريش) في حرب (الاحزاب) ضد الرسول (ص) ألا دليل أقطع الدليل على وجود الاحزاب ، ولكن لم تكن هذه الاحزاب على درجة متقنة من التنظيم كما هو عليه الاحزاب في الوقت الحاضر .

بعد ان فرغنا من دراسة الديمقراطية عند العرب ، لابد لنا من القول ، انه في خلافة عثمان ولا سيما بعد مقتله ظهرت أحزاب سياسية تحرص على تغيير السلطة كذلك بعد مقتل علي بن أبي طالب اذ ظهرت الفرق الاسلامية : المعتزلة والشيعة والاسماعيلية والخوارج والمرجئة فهذه كلها تعتبر فرقا سياسية (احزاب) لانها كانت تريد السلطة مدفوعة بشهوة التحكم .

---

(١) سورة الحشر .

(٢) الدكتور طه حسين ـ الفتنة الكبرى ـ عثمان ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٥٩ ، ص ١١ .

كذلك قامت الدعوة العباسية على اساس من التنظيم الحزبي ولقد كانت هذه الدعوة على درجة كبيرة من دقة التنظيم والضبط .

كذلك لابد لنا من القول انه عند انتهاء عهد الخلفاء الراشدين وبقيام الدولة الاموية فان شأن الديمقراطية العربية الاسلامية قد أصابها ضعف وخمول ثم انتهت وجودا عند ظهور الاقطاع في أواخر العصر العباسي . وبعد هذا العصر خضع العرب الى سيطرة اجنبية فرضت عليهم احتلالا واستعبادا اورثهم الذل واصابتهم بسببه المهانة .

بعد ذلك ، يتعين علينا أن نبحث عن الديمقراطية (الغربية) التي بدأت بوادرها في الظهور في اوربا وامريكا في بداية القرن الثاني عشر ولكنها ديمقراطية من نوع آخر كما سنرى .

الفرع الخامس

الديمقراطية في القرن الثامن عشر :

نحن لا نريد في هذا الكتاب أن نبحث الديمقراطية بحثا تاريخيا ، وانما نريد أن نذكر صورها مع تحليلها في المجتمعات التي عرفتها . فرأينا أن الديمقراطية في اليونان لم تكن عامة ولا شاملة ، وكيف ان الرومان فرضوا (ديكتاتورية) على شعب اليونان جعلت الديمقراطية محتضرة فيها . كذلك عرضنا بالذكر كيف ان الديمقراطية كانت في حياة العرب ظاهرة عابرة حتى اذا جاء الاسلام العظيم فانه اعطى العالم ديمقراطية شاملة وكاملة لانها تدعو الى المساواة والتوحيد الى البشر كافة دونما تمييز أو تفريق .

ولقد شهد الفكر السياسي محاولات متعددة للتوفيق بين الديمقراطية من حيث النظرية والتطبيق . ذلك ان المجتمعات ليست متشابهة وعليه وبالضرورة فان التطبيق يختلف من بلد لآخر تبعا لظروفه الاجتماعية والاقتصادية ومستواه الفكري والسياسي والى غير ذلك من العوامل الاخرى . ولقد ظهرت « نظرية

التمثيل » و « الانابة » حيث يقوم الشعب بانتخاب نوابه الذين يمثلون ارادة الشعب ، وتكون اعمالهم وكأنها صادرة من الشعب نفسه • وهكذا كان ميلاد البرلمان الذي عد في حينه ممثلا حقيقيا للشعب •

وفي الحقيقة والواقع فان (الصراع في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر يدور ضد الحكم المطلق وكان في جوهره صراعا لتحقيق النظام البرلماني)[1] •

وليس يغرب عن البال ، ان النظام البرلماني انما أوجد لغرض حماية الامتيازات الملكية كما يدلنا على ذلك تاريخ بريطانيا ثم تحول الى مجلس يمثل الشعب وقوفا في وجه الامتيازات الملكية وتحكم الملك نفسه • ويبدو ان فكرة التمثيل كانت مقبولة في حينها ، لان القرن الثامن عشر كان لا يزال يعرف الصراع ما بين الديمقراطية والحكم المطلق •

ولكن بعد ان رسخت اقدام الديمقراطية في كل من أوربا وامريكا وانتصرت على الحكم المطلق تبين بان (ارادة الدول المستخلصة بواسطة البرلمان ليست بحال من الاحوال ارادة لشعب أو ان البرلمان لا يستطيع ان يعبر عن هذه الارادة لسبب بسيط هو ان الشعب لا يستطيع طبقا لدساتير الدول البرلمانية ان يعبر عن أية ارادة الا في انتخابات البرلمان)[2] •

ولذا يكون قول جان جاك روسو محقا في مهاجمته للنظام البرلماني في بريطانيا حين يقول :

« ان الشعب الانكليزي يظن انه حر ، ولكنه يخطىء كثيرا فهو ليس حرا الا عند انتخابه اعضاء البرلمان وعندما ينتهي انتخابه لهم ، يصبح عبدا ، بل يصبح لا شيء • »[3]

---

(١) هانس كلسن ـ الديمقراطية ، طبيعتها وقيمتها ـ ترجمة علي الحمامصي ـ ١٩٥٣ ، ص ٣٧ •

(٢) هانس كلسن ـ المصدر السابق ـ ص ٤٣ ٤٤ •

(٣) روسو ـ العقد الاجتماعي الكتاب الثالث ـ الفصل الخامس عشر•

ان جان جاك روسو ينتهي بعد هذا ، الى وجوب اصلاح أو تقويم ما في الديمقراطية البرلمانية من اعوجاج ، وذلك بجعلها ديمقراطية مباشرة .

لقد تعثرت الانظمة الديمقراطية في الغرب ، لانها ما عادت تساير روح العصر وتواكب ظروفه ، لا سيما فيما خلفته الحرب العالمية الثانية من مشكلات ودمار ، وما حققه التقدم العلمي الهائل من انجازات ، بحيث بات من الضروري بمكان وجود دولة او نظام تساير أو يساير نظامها روح العصر الذي نحن فيه . أن عصرنا الحاضر طابعه العلم والسرعة .

ولابد للدولة اذن ، من أن تتدخل في تنظيم شؤون المواطنين اجتماعيا واقتصاديا عند ذاك تكون فكرة الديمقراطية التي اقترنت بوجود جهاز تنفيذي ضعيف ، لا يمكنها ـ اى الديمقراطية ـ العيش في هذا الجو الجديد !

وهذا ما يقودنا الى بحث الديمقراطية في الغرب :

الفرع السادس

الديمقراطية في الغرب :

لو ألقينا نظرة على الانظمة السياسية المعاصرة ، لما وجدنا في العالم شعبا يحكم نفسه بنفسه ، فيما عدا اربعة أو خمسة ولايات في سويسرة اذ يباشر الشعب هناك الحكم بانفسهم (ديمقراطية مباشرة) .

واننا لواجدون في الانظمة الديمقراطية التي تتبع الانتخابات طريقة شرعية الوصول الى السلطة ، فئة أو طبقة هي التي تحكم وحدها ويكون الشعب محكوما من قبلها .

ولقد كتب احد الكتاب الفرنسيين عام ١٨٨٩ ، في الذكرى المئوية الاولى للثورة الفرنسية قائلا :

« ان الدول الديمقراطية انما هى حكومة النخبة . ان مستقبل الحكومة الديمقراطية مرتبط بالشرط الصريح التالي الا وهو ان الجماهير الديمقراطية

تكتسب بالتربية والممارسة المؤسسات الحرة وبعد النظر اللازم لاختيار احسن العناصر وأسلمها وأكثرها حيوية لتعطيها السلطة والحكم[1].

هكذا الديمقراطية في حقيقتها حكومة نخبة ، وليست حكومة شعب !

وهناك مثال من بريطانيا ، الدولة التي أسهمت في ارساء وترسيخ القواعد الديمقراطية الغربية ، نجد ان نظام الانتخاب قد يأتي بحزب نال اصواتا أقل من الحزب الاخر ، غير ان الاول فاز بعدد من المقاعد البرلمانية أكثر . كما هو الحال في انتخابات عام ١٩٥١ حيث فاز المحافظون باغلبية المقاعد الانتخابية ولكن بأقلية عددية . معنى هذا ان أولئك الذين صوتوا في بريطانيا الى حزب العمال كان عددهم يزيد كثيرا على الاصوات التي نالها الحزب المحافظ . أن في هذا المثل دليلا قاطعا على اهدار ارادة الامة ، وان الحكم لا يمثل ديمقراطيا الشعب البريطاني ، طالما ان الديمقراطية تعني حكم الشعب أو كما عرفها ابراهام لنكولن (حكم الشعب من الشعب والى الشعب) . الديمقراطية كما يفهم منها ، ينبغي أن تكون السلطة فيها بايدي اولئك الذين ارتضاهم الشعب نوابا وممثلين عنه. فهنا نجد ان السلطة ملك الحزب الحاكم أي ملك الوزارة الحاكمة وليس البرلمان ولذا فانه يمكننا القول مع (رمزي موير) من ان الحكم في بريطانيا يكاد ان يكون حكما ديكتاتوريا لمجلس الوزراء . اذ ان السلطة قد انتقلت من التاج الى البرلمان ، ومن البرلمان الى الحكومة حيث فرضت الاخيرة ديكتاتوريتها[2] .

ان الانظمة السياسية على اختلافها أدعت ـ ولا تزال تدعي ـ بانها انظمة ديمقراطية . وانها كنظام أو كدولة تمثل اصدق تمثيل وتعبر اصدق تعبير الشعب. ولكنه ادعاء فارغ ، حتى الانظمة الديكتاتورية وعلى الرغم من بعدها عن الديمقراطية فانها تدعي انها الممثلة الحقيقية للديمقراطية !

---

(١) وردت في كتاب الديمقراطية ـ جورج بوردو ـ ترجمة سالم نصار ـ ١٩٦٣ ، ص ٥٦ .

(2) Maurice Duverger - Droit Constitutional et institutions Politiques P. 238.

ان الدولة ـ كما يقول الفيلسوف (نيتشه) في كتابه (هكذا تكلم زرادشت) اسم يطلق على اقل الوحوش حساسية • يكذب بكل برود ، وفمه يدع هذه الاكذوبة تخرج منه : « انا الدولة • انا الشعب • »!

ان الطابع المميز للانظمة السياسية المعاصرة انما هو « شخصية السلطة » حيث يتربع شخص واحد على السلطة ، وهو الذي يدير دفة الحكم • سيان الامر في الانظمة الديكتاتورية أو الديمقراطية أو الاشتراكية • فهتلر وستالين وتشرشل وكندي وديغول وماوتسى تونغ وادیناور وجونسون وبرجنيف ما هم الا ادلة ساطعة على ما نقول •

والامر الذي ليس فيه شك ، هو ان ظروف ما بعد الحرب قد اسهمت الى حد كبير في جعل السلطة مركزية حتى في الانظمة الديمقراطية البرلمانية• ذلك ان عالم ما بعد الحرب وما صاحبه من تقدم علمي هائل الى جانب المشكلات الكبرى الاقتصادية والاجتماعية التي خلفتها الحرب ، جعلت الديمقراطية عاجزة عن ايجاد الحلول اللازمة لها ، ولذا فان السلطة التنفيذية اليوم في كل الدول بما فيها الدول الديمقراطية اقوى من السلطة التشريعية على الرغم من ان الاصل هو العكس • ذلك ان الديمقراطية تعنى ان السلطة التنفيذية ضعيفة وان السلطة كل السلطة انما تكون بيد السلطة التشريعية • ولكن الظروف القاسية والضرورات العملية في عالم ما بعد الحرب قضت قيام حكومات فعالة ودائمة (أي مستقرة) • وهذا ما يفسر لنا شخصية السلطة في الانظمة السياسية •

لقد تعثرت الديمقراطية كثيرا وفي اكثر البلاد الديمقراطية وعجزت عن ايجاد الحلول للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي خلفتها الحرب بآثارها الرهيبة واحداثها القاسية • هكذا فشلت الديمقراطية في فرنسا • وفشلت من قبل في المانيا وايطاليا وفي غيرها •

ففي فرنسا وفي ظل الجمهوريتين الثالثة والرابعة ، ما جاءت الى السلطة حكومة تمثل رغبات الشعب وتعبر عن اهدافه وانما جاءت حكومات (محترفة)

نتيجة ائتلاف الاحزاب السياسية الفرنسية فيما بينها للفوز في الانتخابات ، ولقد كان للاحزاب السياسية الفرنسية نصيب الاسد في سوء الاوضاع السياسية والاقتصادية وكذلك عدم استقرار الحكم وازماته • هذه الاسباب وكذلك الثورة الجزائرية المعجزة عجلت بانهيار الجمهوريتين الثالثة والرابعة وقيام الجمهورية الخامسة تحت زعامة الجنرال ديغول •

ولسنا نباعد الحقيقة ان قلنا ، بان الديمقراطية الغربية ما هي الا ديمقراطية رأس المال • فاصحاب رؤوس الاموال والاعمال هم وحدهم الذين يتمتعون بالحرية : حرية الانتخاب والتصويت وكذلك حرية ابداء الرأى والنقل •

ان امتلاك وسائل الرأى والتعبير من قبل ذوي المال انما هو اهدار باهر الوضوح للديمقراطية • ذلك ان الشعب لابد له من توضيح ارائه وكذلك احكامه في المشكلات والمعضلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وسبيله في ذلك وسائل الاعلام • ولما كانت الاخيرة مملوكة الى فئة لا تمثل الشعب ولا تنتمي اليه فان هذا الامر يقضي على الديمقراطية • ولذا فان الديقراطية الغربية ديمقراطية في مظهرها ارستقراطية في جوهرها •

ولما كان المجتمع الغربي ـ الاوربي منه والامريكي ـ يقوم على أساس مادي • وان العلاقات المادية هي التي تتحكم فاننا نتساءل ما قيمة السفر لمواطن امريكي أو أوربي اذا لم يجد في نفسه القدرة على شراء بطاقة السفر كما يقول احد كتاب الغرب ؟!

ثم لئن كانت الديمقراطية تعني حكم الشعب من الشعب والى الشعب ، ترى أين هي هذه الديمقراطية في امريكا وهناك عشرون مليونا من الملونين يعانون أبشع معاملة عرفها القرن العشرين ؟ ان الديمقراطية تعنى المساواة وفي امريكا لا مساواة بين مواطن امريكي أبيض ومواطن امريكي اسود • كذلك الغرب مجتمعا ، الذي أوجد في قلب امتنا العربية (دولة) غريبة عنا وعن أرضنا ضاربا قواعد العدالة والاعراف الدولية والضمير الانساني ، لالشى سوى ان يستمر

سلطانه الاستغلالي الجشع على امتنا العربية وان يتحكم بخيراتها استغلالا واستثمارا بشعين .

ان ديمقراطية الغرب ـ بعد كل هذا ـ ديمقراطية رأس المال الجشع المستغل الذى لا يعرف عدلا ولا حقا ولا مساواة .

لئن كانت هذه حال الديمقراطية في المجتمعات التي فيها نشأت وقامت . ترى كيف هي اذن في المجتمعات النامية ؟

وهذا ما يقودنا الى بحث موضوع الديمقراطية في الدول النامية .

الفرع السابع

الديمقراطية في الدول النامية

لعل من المفيد ، وقبل الشروع في الحديث عن الديمقراطية في الدول النامية لمعرفة صلاحها نظاما سياسيا ونجاحها نظاما اجتماعيا ، أن نتعرف على العوامل التي ينبغي توافرها في مجتمع ما ليتسنى له تطبيق الديمقراطية . أو بعبارة أخرى ان في كل مجتمع عواملا تلعب دورا أساسيا في استقرار الاوضاع السياسية والاجتماعية فيه .

ونحن هنا نحاول دراسة العوامل التي تسهم مساهمة بارزة وفعالة في عدم استقرار الاوضاع السياسية في الدول النامية .

في حقيقة الامر يمكننا اجمال هذه العوامل بما يلي :

أ ـ العوامل الاقتصادية .

ب ـ العوامل الاجتماعية .

ج ـ انعدام مفهوم الامة والدولة .

د ـ المستوى الفكري والثقافي .

هـ ـ جهاز اداري متكامل .

أ ـ العوامل الاقتصادية :

الامر الذي ليس فيه ريب هو ان للعوامل الاقتصادية اثرا عميق الغور في

استقرار المجتمع او عدم استقراره • وقولنا هذا ليس بجديد •

ان المجتمع المتخلف اقتصاديا غير قادر على اشباع حاجات الافراد وذلك لضعف الانتاج القومي وكذلك فان حالة التخلف تعني ان الدخل القومي للفرد ضعيف ، وان الواردات تفوق الصادرات وان البلد يعتمد على الزراعة في اقتصاده • كل هذه العوامل تؤثر تأثيرا كبيرا في الاوضاع العامة للبلد • بل انه يساعد على خلق جو تتحكم فيه قلة مالكه في كثرة معدمة • وهذا عامل أساسي ورئيس في الصراعات والمشاحنات التي تفضي الى عدم استقرار الاوضاع قطعا وهذا بدوره يبعد من غير ادنى شك تطبيق الديمقراطية في المجتمعات النامية •

ان الثروة بحد ذاتها سلاح سياسي رهيب ولكن آثارها غير مباشـــرة • وقديما يقول المثل : (المال سلطان !) • غير ان هذا السلطان غير منظور كما هو الامر مثلا بالنسبة للجيش حيث تستطيع فرق منه أن تغير النظام السياسي القائم • ولئن عرفت المجتمعات المتقدمة أهمية المال فان المجتمعات المتأخرة تعرف هي الاخرى اهميته ايضا • فمن يمتلك الثروة يمتلك السلطة ايضا •

ففي المجتمعات الزراعية ، والتي هي حالة الدول النامية ، يكون مالكو الارض خلف السلطة السياسية يمارسون عليها تأثيرهم •

وفي المجتمعات الصناعية نجد ان اصحاب المصانع هم خلف السلطة السياسية حيث يمارسون تأثيرا عليها •

وكلما كان المجتمع ضعيفا في اقتصاده ، كلما لعبت عوامل عدم الاستقرار أثرها الملحوظ وغير الملحوظ في المجتمعات •

ب ـ العوامل الاجتماعية :

يلعب البناء الاجتماعي ـ هو الآخر ـ دورا اساسيا في استقرار المجتمع أو عدمه • ويحدثنا التاريخ السياسي لاوربا كيف ان الاحزاب السياسية المحافظة كانت تواجهها صراعا ومنازعة أحزاب الاحرار السياسية • وكيف اورث هذا الامر صراعا اجتماعيا ذلك ان الاحزاب المحافظة انما تمثل طبقة اجتماعية معينة وكذلك احزاب الاحرار تمثل طبقة معينة •

هذا الصراع انما هو ترديد للصراع الـــذي كان قائمـــا بين الطبقـــات الارستقراطية والطبقات البورجوازية •

وليس من شك ان الطبقات الاجتماعية المختلفة تفعل فعلها المؤثر في استقرار المجتمعات • ذلك ان التفاوت الاجتماعي سبيل يقود الى الصراع ، ولا يمكن تطبيق الديمقراطية ما دام في المجتمع صراع قائم •

ولقد قال الاشتراكي الهولندي (فان كول)[1] :

« بانه لا يكن للديمقراطية الحقة أن تستقر حتى ينتهي الصراع » •

ولقد كان لظهور الطبقة العمالية على المسرح السياسي أثر واضح القسمات في نشوء احزاب اشتراكية احتلت مكانة احزاب الاحرار •

ان كثيرا من الاحزاب السياسية نشأت لانها تعبر تعبيرا اصيلا عن واقـع اجتماعي معين • ففي لبلاد العربية مثلا وأبان الاحتلال التركي ظهرت أحزاب تدعو الى الاستقلال ، كذلك الامر في ظل الاحتلال الغربي للامة العربية ، فان احزابا كثيرة قامت تدعو لاستقلال الاقطار العربية ، حتى اذا ما استقلت بعض الاقطار قامت احزاب تدعو الى (الوحدة العربية) ومن ثم ، ونتيجـــة للتخلف الاجتماعي للامة العربية ظهرت احزاب تدعو الى الاخذ بالاشتراكية • كذلك ينطبق القول على الاحزاب الفلاحية أو المزارعين •

ان هذه امثلة ساطعة تقطع باهمية العوامل الاجتماعية واثرها في نشـــوء الاحزاب التي هي سمة من ابرز سمات تطبيق الديمقراطية كما اسلفنا من قول• ولابد هنا من القول ان العوامل الاقتصادية والاجتماعية متداخلة الى درجة لا تسمح بالانفصال بينهما •

ج ـ الامة والدولة :

لا نكاد ان نتبين في المجتمعات النامية وحدة الامة ولا مفهوما حقيقيا للدولة • ذلك ان هذه المجتمعات ، محكومة بعوامل التخلف والجهل والمرض ، نجد ان

---

(١) Robert Michels - Political Parties, 1959. P. 42.

فيها من الاسباب التي تدعوها الى الفرقة اكثر مما تدعوها الى الوحدة • فلا زالت فكرة « العشيرة » أو « القبيلة » هي السائدة • ولو أتيح في بلد نامي الحق في تشكيل منظمات حزبية لوجدنا كل رئيس قبيلة زعيما لحزب سياسي • ذلك ان في هذه المجتمعات عوامل مختلفة منها تتعلق باختلاف السكان ومنها دينية واخرى اجتماعية وسياسية تجعل مفهوم الدولة والامة غائبين فيها •

فلكم اسهمت الاختلافات الاجتماعية والفوارق المذهبية وكذلك الصراعات الاقليمية في ضرب كل فكرة ديمقراطية • ان الديمقراطية لابد لها لكي تعيش في مجتمع من توافر عنصري المساواة والحرية • ولما كانت « الدولة » في الدول النامية انما تأتي لتحقيق مصالح معينة لفئة دون اخرى فان ذلك يبطل الديمقراطية ويشلها الى حد بعيد •

ان على الدولة في الدول النامية ان تكون عامل وحدة لا فرقة ، تتوجه الى معالجة التناقضات الاجتماعية وتقضي على الفساد وتعطي كل ذي حق حقه ، لا أن تغدق الى حد الاشباع الى من يلتقي معها في مذهب أو قربى !

ان النظام السياسي ينبغي ان يتوجه الى الناس كل الناس لا ان يميز بين فئة واخرى •

د ـ العامل الثقافي والفكري :

تلعب « الثقافة » دورها الكبير في حياة الشعوب • ومن الامور البديهية بمكان ان لكل شعب ثقافة خاصة به ، غير ان الفكر الانساني واحد • ولذا فانه ينبغي في الثقافة ان تكون ايجابية ومفتوحة بقبولها الافكار الرائدة الجديدة • ان « الانغلاقية الفكرية » خطر ينبغي العمل على وأده • ذلك اننا نحيا عالما احداثه متشابهة ومشكلاته متقاربة وتطلعاته واحدة •

فلابد لكل امة ان تحيا ثقافتها وان تعمل على وصل ما انقطع مع تراثها الحضاري ، لان الامة لا يمكن لها ان تعيش دون ماضي • وعليه فالثقافة عامل وصل وبالتالي تفتح تفاعلا مع الفكر الانساني الذي له صفة الشمول •

واهمية الثقافة واضحة لكل ذي عين ولب • ذلك انه لابد للمواطن لكى يعلم ما له من حقوق وما عليه من واجبات ان يدرك ما تعنيه صفة « المواطنة » هذه • فلا معنى لحق الانتخاب مثلا اذا كان الشعب اميا جاهلا تسيطر عليه المشاكل المعيشية ولذا ينبغي لكى يمارس المواطنون حقوقهم من الالم بالقراءة والكتابة ومن مستوى ثقافي معين حتى يستطيع أن يعلم ماهية الحقوق وماهية الالتزامات وكذلك حتى يستطيع التمييز بين ما هو صالح وما هو فاسد •

ان المستوى الثقافي لشعب ما ، يلعب دورا بالغ الخطورة ، تفهما للمشكلات والعمل على حلها ولذا فان الرأي العام يستطيع ان يكون قوة ضاغطة في توجيه الحكومة الى ما يحقق رغبات الناس •

ان الديمقراطية السياسية في مجتمع متخلف ، لا تعنى للفلاح أو العامل شيئا يذكر • اذ ان اهتمامات هؤلاء العمال والفلاحين انما تنصب على الامور الحياتية اولا واخيرا • وعليه لابد من تلاحم الديمقراطية الاجتماعية مع الديمقراطية السياسية في المجتمعات النامية •

يقول البرفسور بوردو بان الديمقراطية السياسية تتطلب من المواطن انكار ذاته ، وتدور محركاتها على مستوى الافكار العامة ، وتحل المنازعات التي تخلقها بمناقشات فكرية اكاديمية •

اما في الديمقراطية الاجتماعية فالامر مختلف تماما : ان وضع الانسان الواقعي يرتبط بالقرارات المتخذة ، وكذلك اطمئنانه المادى ومستوى معيشته والفرص المتاحة لاولاده »[1]•

هـ – جهاز أداري متكامل :

ان الدولة المتخلفة اقتصاديا واجتماعيا تفتقر قطعا الى الفنيين والى اصحاب الكفاءة والخبرة والاختصاص لاشغال الوظائف العامة ، فالدولة محكومة بضعف مستواها الثقافي والذى بدوره يؤدي الى ندرة الجامعات وقلة المدارس التي

---

(١) جورج بوردو – المصدر السابق – ص ٦٢ •

تسبب من غير ادنى شك قلة في المتخصصين ، ولذا فان الاجهزة الادارية في الدولة النامية بسبب من ضعفها ، لا تستطيع ان تكون في مستوى المسؤولية لمواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفنية • ذلك انه يشترط في الاجهزة الادارية ان تكون اجهزة (خدمات) وهذه الاجهزة تحتاج الى طاقات بشرية متخصصة حتى تستطيع ان تؤدي أعمالها في مختلف الاغراض التي تهدف الدولة الى تحقيقها وبالتالي تقديمها الى المواطنين •

ولما كنا نعلم ، ان الدول النامية يعمها الفساد ويستشرى فيها المرض وينتشر فيها الفقر والجهل • فانه بات من الضروري وجود جهاز حكومي متكامل مقتدر ـ علميا واداريا ـ لمواجهة مشكلات التخلف • بمعنى انه لابد من وضع الرجل الصحيح في المكان الصحيح •

ولابد من حكم مستقر قادر على تقديم الانجازات والمكتسبات ، لانه بدون الاستقرار لا تقدر اية حكومة ، لا سيما في الدول النامية والتي من طبيعة مجتمعاتها كونها غير مستقرة ، ان تقوم باعمال ايجابية مثمرة • ان الدعوى بانه ليس للعلم أو المعرفة أثر في اعطاء الوظائف العامة وانما تعطى للثوار ، دعوى خطرة ، ذلك ان الثورى ينبغي أن يكون مدركا لواقع بلده ولظروف مجتمعه • ولما كان المجتمع النامي فقيرا برجاله ، لذا وجب وضع الرجل الكفوء في المناصب العامة • ولابد من توافر عناصر معينة حتى يكون الرجل صالحا أو صحيحا ليوضع في المكان الصالح أو الصحيح ، وهذه هى :

١ ـ العلم •

٢ ـ الايمان •

٣ ـ النقاء الثوري •

ولقد كتب جول فراي يقول[١] :

« انحكومة الديمقراطية الواسعة المتعطشة للسلام والعمل، لا يمكن انتكون

---

(١) جورج بوردو ـ المصدر السابق ـ ص ٥٤ •

سلسلة من الاعمال المسرحية . انه ليس بالامكان القيام بثورة كل يوم » .
ان استقراء الاوضاع في الدول النامية ليدل لنا وبوضوح ، على فشل الديمقراطية الغربية التي جاءنا بها الاستعمار . ذلك ان الديمقراطية الغربية انما تعني المحافظة على الاوضاع القائمة من غير تحويل أو تبديل . ولقد كان اقتداء الدول النامية بالانظمة الغربية سببا من أهم الاسباب في فشل الديمقراطية . ذلك لان الدول التي اقتدت بالانظمة الغربية لم تلتفت كثيرا ـ جهلا وعماية ـ الى اختلاف البنية الاجتماعية بينها .

فلئن طبقت الديمقراطية في الدول الغربية ، فان ذلك حدث بعد تغييرات جوهرية في البناء الاجتماعي والاقتصادي والسياسي . في حين ان المجتمعات النامية لم يجر على الكيانات الاقتصادية والاجتماعية أي تغيير أو تطوير . ان دول الغرب قد ارتضت بما وصلت اليه من تقدم وحرصت ان تقف عنده . ولـــذا فـان الديمقراطية الغربية تساعد الى حد كبير المحافظة على الاوضاع في الدول الغربية، بينما تطبيق الديمقراطية الغربية في الدول النامية يعنى استمرار الفساد وديمومة سوء الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، وعليه فان هذه الدول النامية بحاجة الى ثورة لتقوم بعملية التغير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لا ان تتبع الانظمة الغربية عماية وجهلا ودون ادراك لها .

ولقد كتب البروفسور (فون ميسز) في هذا الصدد قائلا :

« ان الديمقراطية لا تعنى فقط انها غير ثورية ، بل انها تعمل وبالضبط على ان تتحاشى الثورة »[1] . ولما كانت الاوضاع في الدول النامية تستدعي التغيير ، لذا فان الديمقراطية الغربية لم ولن تنجح في معالجة مشكلات المجتمع النامي

---

(١) Ludwig V. Mises. Le Socialisme, 1952, P. 82.

ولعل من المفيد والمناسب في وقت معا ، ان نشير الى ان الزعيم الهندي الراحل جواهر لال نهرو له رأي يقارب الفكرة التي سقناها اعلاه اذ يقول : « أننا نريد القضاء على اوجه التباين الاقتصادي بين فئات الشعب واننا نرى ان هذا التباين سيزداد حدة اذا عالجناه بالحلول الرأسمالية » ثم يقول في موضع اخر « ولما

والثورة بعدها هي السبيل القويم لضرب الاقطاع والقضاء على الفساد وسوء الاوضاع فيها مع الاخذ بالاشتراكية العلمية بتطبيقها الذي يتماشى واوضاع كل بلد وظروفه ومثله وقيمه الحضارية .

« ان التقدم العلمي الهائل ، بعد الحرب العالمية الثانية ، والي كانت على رأسه روسيا السوفيتية ، قد أظهر للدول النامية ان « ان الاشتراكية » وليست الديمقراطية ، انما هي الطريق الوحيد للتقدم »[1] .

وفي الحقيقة والواقع ، فان مجتمع الاشتراكية لن يتحقق بين عشية وضحاها بل لابد من العمل الدؤب المستمر ذلك ان العصا السحرية التي كانت مسخرة ـ بأمر الله سبحانه وتعالى ـ للنبي موسى عليه السلام ، لم تعد موجودة ، لتقوم باجتثاث الفساد . وعليه لابد من أناس يؤمنون بالاشتراكية مستعدين للتضحية وانكار الذات في سبيل تحقيق مجتمع الكفاية والعدل . ان قيمة المبادىء انما هي برجالها الذين بها يؤمنون !

يتبين لنا مما تقدم ، ان الديمقراطية الغربية قد فشلت في المجتمعات النامية ، ولما كانت فكرة الديمقراطية مقترنة بوجود الاحزاب ، فانه يتعين علينا ان نتساءل: هل الاحزاب السياسية ضرورة أو لا ؟ هذا ما سنحاول الاجابة عليه فيما يلي من صفحات .

المبحث الثاني

هل الاحزاب السياسية ضرورة ام لا ؟

يتعين علينا قبل الاجابة على هذا السؤال ان نفرق بين نوعين من المجتمعات :

كانت حاجتنا الملحة تتطلب منا ان نعالج مشاكلنا الاجتماعية فاننا نحتاج الى تبني ما يمكن ان يدعى بالحل الاشتراكي ، ودون ان يكون هذا الحل عقائديا متزمتا » . هذه الفقرات مقتطفة من كتابه ـ اراء في قضايا الساعة ـ ترجمة مروان الجابري ـ ١٩٥٩ ص ص ١٢٠ـ١٢١ .

(١) رسالتنا للدكتوراه ـ المصدر السابق ـ ص ١٣٠ .

أ ـ مجتمعات متقدمة .

ب ـ مجتمعات نامية .

فني الغرب ـ المجتمعات المتقدمة ـ نرى ان الاحزاب السياسية غدت ضرورة لازمة للحياة السياسية فيها . بل انها اصبحت طابعا مميزا لها فلا احزاب بلا ديمقراطية ولا ديمقراطية بلا احزاب[1] .

ولرب سائل يسأل لماذا هذه الظاهرة في الغرب ؟

الجواب على ذلك سهل وميسور .

ذلك ان المواطن في عالم الغرب قد ساعدته الظروف الاجتماعية والاقتصادية في تحرره من العوز والحاجة وانطلاقه ـ تخلصا ـ من قيود الجوع الكافر الذي لا يرحم[2] .

فالمواطن الغربي آمن ومطمئن . اذ ما عادت حاجات يومه ولا السعي من اجل اكتساب رزقه تشغله أو تؤرق فكره ! ذلك ان هذه الدول قد قطعت اشواطا بعيدة في التقدم وغدت حياة المواطنين رفهة ومترفة ، وهذه نتيجة طبيعية لما يصيب المواطنين من دخل محترم يكفي لسد حاجاته بل ويفيض » !

هذه الحياة المستقرة التي لا يهددها شبح الحاجة ولا يقلقها كابوس الاملاق تجعل المواطن ، وهو مطمئن ، حريصا على التمسك بحريته التي تضمنهـــا له الديمقراطية السياسية لذا فان الشعار في الغرب : الحرية اولا ولا شيء غير الحرية !

ان مجتمعا مستقرا ، الحياة الكريمة موفورة ، وشبح الفقر البغيض بعيد ، كل ذلك يدفع المواطنين الى الاهتمام بالشؤون العامة والحرص على حريتهم ما وسعهم الى ذلك سبيل .

---

(١) يرى البرفسور كلسن بانه (حقا لوهم أو مكر وريـــاء ادعـــاء ان الديمقراطية ممكنة دون أحزاب سياسية) أنظر المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(٢) روى في الحديث الشريف قول الرسول (ص) : « كاد الفقر أن يكون كفرا » .

أما المجتمعات النامية (المتخلفة اقتصاديا) فان المشكلات الحياتية هي الغالبة على كل اهتمامات المواطنين •

ولابد لنا في هذا المقام من التعريف ـ ولو بصورة سريعة وموجزة ـ لظاهرة التخلف • فالأصل ان الدول النامية انما اقتصادها يعتمد على الزراعة وليس فيها صناعات ثقيلة ، وهذا ما يؤدي الى عجز الانتاج القومي عن سد حاجات السكان ، الذي هو الاخر يكون عاملا يميز الدول النامية من غيرها الا وهو زيادة السكان فيها • وهذا يؤدي بدوره الى ان دخل الفرد فيها قليل لا يكفي • ثم ان ميزانية الدولة غير متوازنة نتيجة تفوق ميزان الواردات على ميزان الصادرات واخيرا تعتبر الدول النامية اسواقا استهلاكية للبضائع الاجنبية الى جانب انعدام (الادخار) في الدول النامية •

فمجتمع بمثل هذه الصفات ، تكون المشاكل الحياتية والمعاشية لها المكان الاول والقدح المعلى من اهتمامات سكانه ثم تكون الحرية السياسية في المرتبة الثانية • وهذا بدوره يؤدي الى أن وجود الاحزاب السياسية ليست على جانب من الضرورة القصوى في المجتمعات المتخلفة اذ انها قد تؤدي الى ان تكون حجر عثرة تحول دون انطلاقها من حالة التخلف الى حالة التقدم •

فمن المعروف ان في المجتمعات التي فيها تفاوت طبقي الى جانب ضعف في اوضاعها الاقتصادية والفكرية فان تعدد الاحزاب ـ وهي سمة بارزة من سمات الديمقراطية ـ والديمقراطية لا ينجحان ولا يفلحان في معالجة مشاكلها بل انهما يعتبران والى حد كبير عوامل تجميد الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية على ما هي عليه من سوء وفساد •

ان اطلاق الاحزاب السياسية في مجتمع نامي ، يؤدي الى اتساع شقة الخلاف وحدة الصراع وفرقة الشعب دون وحدته •

ان المشاكل الحياتية والمعاشية هي الشغل الشاغل للمواطن في الدول النامية • ولابد هنا في هذا المقام ان نذكر اقوال ممثل كينيا في مؤتمر الافرو ـ آسيوي بصدد النزاع العقائدي بين روسيا والصين حيث يقول :

« اننا لسنا ماركسيين ! والاكثرية منا لم تقرأ ولا سطرا واحدا من كتاب رأس المال لكارل ماركس •

فاية مصلحة لنا اذن في أن تحملونا على أن نكون ، طرفا ، معكم في الصراع العقائدي ؟ ان الذى يعنينا من الامر هو ان نأكل بسلام »[1] •

في هذا الكلام ومنه نستطيع ان نتبين وبوضوح ، أن مشاكل الدول النامية انما تنصب على معالجة مشكلاتها الاجتماعية والاقتصادية وليس الصراعات العقائدية حتى ولا الصراعات الحزبية •

ان ليس من شك في ان الصراعات السياسية ـ الحزبية منها على وجه التخصيص ـ تفت في وحدة البلد وتؤخر انطلاقها في معالجة المشاكل الرئيسة التي تعانيها • ولكن ينبغي التأكيد على ان الدول النامية أو المتخلفة اذا ما كانت اوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية متردية أو ان الحكم فيها عميل ضالع مع الاجنبي أو ان الحكم القائم فيها خاضع للاستعمار ، فهنا لابد من وجود احزاب • ولكن ينبغي أن تكون احزابا ثورية تهدف ليس فقط الى تغيير الطبقة الحاكمة وانما تهدف الى تغيير الكيانات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية وان تعمل على احلال حكم تكون الجماهير الشعبية هي صاحبة المصلحة الاولى فيه •

اما اذا قفزت جماعة ثورية أو حزب ثورى الى الحكم ، فانه ينبغي ان تكون الجماهير هي السند له وليست قاصرة على المنتمين اليه •

ولما كانت الدول النامية بحاجة الى اجراءات جذرية ، فان الاخذ بالاشتراكية العلمية التي تؤمن بضرورة التخطيط ، تجعل دولة التخطيط تتدخل في تنظيم الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ادق تفصيلاتها ، وهذا ـ طبعا ـ يبعد والى حد كبير الديمقراطية •

ولما كنا بلدا ناميا ، فان التخطيط أمر اساسى ورئيس بالنسبة للدول على حد سواء ، و ان كان الزم واكثر ضرورة بالنسبة للدول النامية • ففي الاخيرة

---

(١) جريدة (لموند) الفرنسية في عددها الصادر في ١٨ آذار ١٩٦٤ •

ينبغي أن يكون التخطيط كاملا للحياة الاقتصادية ما دامت الفكرة تقوم على اساس ارادة تغيير المجتمع : تغيير الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية • اما التخطيط بالنسبة للدول المتقدمة ، فانه ـ وكما هو معروف ـ تخطيط جزئي غير كامل •

وسياسة التخطيط تؤدي في الدول النامية الى نتيجة هامة هي الابتعاد عن فكرة الديمقراطية ذلك ان التخطيط ـ كما اسلفنا من قول ـ معناه ومقتضاه تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية تدخلا كاملا بحيث يؤدي ـ بداهة ـ الى الابتعاد عن فكرة الديمقراطية والغاء الاحزاب السياسية •

ولقد ظهرت اصوات كثيرة ـ حتى في دول الغرب ـ تنحى باللائمة على الاحزاب السياسية وتعدها مسؤولة عن فساد الحياة السياسية فيها • والمثل البارز على ذلك الجنرال ديغول في فرنسا فانه يحمل الاحزاب السياسية الفرنسية مسؤولية سوء الاوضاع في فرنسا وتدهور مكانتها في ظل الجمهوريتين الفرنسية الثالثة والرابعة •

وصفوة القول في هذا الامر ، هو أن الاحزاب السياسية في الغرب تجد أرضا ممهدة لها وجودا وبقاءا • في حين ان الاحزاب السياسية في الدول النامية لا تجد هذه الارض الخصبة • والسبب في ذلك يعود الى (ان الاساس الذي تقوم عليه الاحزاب في امريكا انما هي الوحدة الوطنية التي تجعل الخلافات فيما بين الجماعات السياسية خلافات في الدرجة وليست في النوع)[1] • وهذا القول صحيح الى حد كبير ، ففي الدول النامية التي لم تتكامل في كثير من اجزائها وحدتها الوطنية ، فلو اطلقت مثلا اجازة الاحزاب لكان كل رئيس عشيرة وكل زعيم ديني رئيسا لحزب سياسي • ذلك أن الخلافات انما تجد ارضية مساعدة لتجعلها خلافات دامية نتيجة للتناقضات الاجتماعية القائمة ، وعليه فان الخلافات بين الاحزاب والتنظيمات السياسية انما هي خلافات في النوع وليست في الدرجة !

---

(1) Sigmond Neumann, Modern Political Parties, Chicago, 1950 P. 396.

ولقد درجت الدول النامية ـ مدفوعة بعامل الاقتداء الاعمى ـ على تقليد الدول الغربية وهذا واضح في تسطير المواد في التركيز على الديمقراطية واطلاق الكلام على عواهنه دون ضبط او ربط ، وفاتهم ان الديمقراطية لا تأتي عن طريق التقليد والمحاكاة ، ولا تضمن بنصوص ومواد جامدة ، ذلك ان الديمقراطيه نهر تجري فيه الحياة ! فهي تتأثر بالمجتمع الذي فيه تطبق وتعمل على تقديم المزيد من الخدمات .

وينبغي أن يتوافر جو ديمقراطي سليم « ذلك ان الديمقراطية السليمة انما هي (التربة) الصالحة لظهور الرأي العام . واننا نريد بالديمقراطية السليمة تلك التي يتلاحم فيها الجانبان الاجتماعي والسياسي .

فالشعب الجائع لا يستطيع افراده ان يعبروا عن آرائهم لانهم عبيد (الحاجة) حيث تسيطر عليهم الاعباء المعاشية فلا تترك لاي واحد منهم فرصة التعبير ، ان لم نقل ، فرصة التفكير !

لذا فانني ارى في الديمقراطية السليمة تلك التي تجعل الناس مطمئنين من حصولهم على نصيب يكفل لهم حياة حرة كريمة من غير استغلال لظروف الحاجة والفقر وبذلك فانني اسميها (ديمقراطية البطون) اذا جاز هذا التعبير ! »[1] .

لقد قلنا في بداية هذا الحديث ، ان الدول النامية بحاجة الى ثورة تقضي على صروح الفساد . ولابد لنا من دراسة علمية لمعنى الثورة ومن هم الثوار وما هي خصائصهم وصفاتهم وكذلك دراسة (علمية) لى الانقلاب . ذلك ان الناس اعتادوا ان يطلقوا على كل حدث ثورة ! وهذا ما سوف نتناوله بالدراسة في الصفحات القابلة .

---

(١) مذكراتنا في (الرأي العام والاعلام) وهي مجموعة محاضرات القيت على طلبة السنة الثانية ـ علوم سياسية ـ في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية للسنة الدراسية ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ .

الفصل الثاني

- الثورة والانقلاب والاحزاب السياسية -

كلمة الثورة تجرى على كل لسان ويخطها كل قلم ويتناقش فيها الناس ويتشاغلون بها •

وما أكثر الانظمة السياسية التي تدعي بأنها ثوريـــة وما أكثر الاشخاص الذين يدعون بأنهم ثوار •

كذلك كثيرا ما تلصق صفة (الانقلاب) بحكم ما • اذ ان المناهضين لحكم او المعارضين لنظام سياسي يتهمون ذاك الحكم وهذا النظام بأنه حكم ديكتاتوري وانه جاء الى السلطة عن طريق الانقلاب •

وفي النصف الثاني من القرن العشرين حدثت كثير من الاحداث في الشرق والغرب على السواء • وفرضت كلمة (الثورة) نفسها على كل حديث وعلى كل مقال •

ترى ما هي الثورة ؟ وما هي خصائصها ؟

وما هو الانقلاب ؟

وما هو الفاصل المميز بينهما ؟

هذا ما سنحاول دراسته فيما يلي من صفحات •

المبحث الاول

فكرة الثورة قديمة قدم المجتمعات الانسانية ولكنها - اي الثورات - لم تكن تملك مفهوما علميا محددا كما تملك الثورات حاليا من المفاهيم العلميـــة ذات الدلالات العميقة والبعيدة في عملية تغير المجتمع •

ذلك انها كانت في الماضى تعبيرا عن نفسية ساخطة أو فائرة لجماعة من الناس نتيجة تعطشها الى السلطة او لحاجة اجتماعية معينة ، ذلك ان الواقع الاجتماعي الذى كانت تحيا فيه الشعوب انما كان واقعا اجتماعيا سداه الحرمان والظلم واللامساواة .

اما الثورات في الوقت الحاضر ، فانها تعبير وتجسيد حي لارادة الشعب اي الاغلبية من الطبقات المسحوقة اجتماعيا وبالتالى فانها تعبر عن نفسية ثورية هادئة تحمل أرادة التغيير .

والشيء الذى لا يدخله شك ، هو ان المجتمعات كانت ترزح تحت انواع كثيرة من الظلم الاجتماعي الصارخ ، فكان طبيعيا وتلقائيا ان تنطلق النفوس هادرة بالسخط على تلك الاوضاع ، ولكم جرت الثورة على السن الفلاسفة وأقلام كبار الكتاب في مختلف العهود والعصور . وما جمهورية أفلاطون الا تعبير دقيق عن النفوس التي كانت تحلم دوما بمدنية تسودها العدالة والامن ويحكمها قانون المساواة .

وكم أديب وفيلسوف حذا حذو أفلاطون في كتبه ترسما لما كان يجيش في صدر أفلاطون من أراء ومشاعر وأمنيات ، والتي هي بدورها تعبير وأنعكاس لما كانت تجيش به نفوس العامة من الناس (توماس مور في كتابه اليوتوبيا وغيره) .

ولقد كتب فولتير مرة يقول :

« كل ما أراه ، يبذر بذور ثورة تحدث حتما »

وتاريخ العالم انما هو صفحات مستمرة من المسيرة البشرية تقدما نحو مجتمع أفضل وأحسن . فالتاريخ حركة الى الامام ، كذلك الثورات فأنها ـ بالقطع ـ تهدف الى تحقيق الرفاهية والتقدم والعدالة . ولما كانت الحياة معركة صراع ، فلابد للرجل السياسى ـ وكذلك لمن يتصدر العمل السياسى ـ ان يتحلى بثقافة وعلمية الى جانب فكر مفتوح وشجاعة وجرأة . ومن ثم ـ وهذا مهم جدا ـ أدراك لمشاكل البلد ومعضلاته .

حتى العمل الثوري ينبغي ان يكون مبنيا على العلمية والتخطيط العلمي • فالعلم بلا عمل ـ كما يقول الامام الغزالي ـ لا يكون ، والعمل بلا علم جنون !

او كما قال الرئيس جمال عبدالناصر « ان الثورة أية ثورة لا تستحق اسمها اذا لم يكن العلم طريقها فكرا وعملا » • فكل عمل ثوري انما هو بعلميته ، وانعدام العلمية يعني بداهة انها ليست بثورة !

ان الثورة تعني ناحيتين عملية وفكرية وهي تنصب على هدم الكيانات القديمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ثم لا تقف عند حد الهدم بل تتعداها الى البناء •

اما الانقلاب فانه ـ في الغالب ـ يعني هدم البناء القديم سياسيا والوقوف عنده دون القدرة لسبب او لاخر ، على بناء جديد •

فالثورة عملية سلبية وايجابية ، سلبية في تصديها بالهدم لكل ما هو فاسد وسلبيتها هذه أنما هي ايجابية لانها لا تنغلق عند الهدم بل تنفتح لتتم عملية البناء • وهي في ذلك مثلها مثل عملية الشهيق والزفير فكما ان الانسان يطرد الهواء الفاسد (الزفير) فانه بدوره يؤدي الى الانفتاح لاستنشاق الهواء العليل (الشهيق) •

والثورة كذلك تعنى عملا مستمرا ، وصفة « الاستمرارية » هذه شرط اساسي ورئيس لكل ثورة في النواحي العملية والفكرية • وفي الحقيقة فأن الفكر يلعب أهمية عظمى في تعميق مفاهيم الثورة وبالتالى فلابد ـ وبالضرورة ـ ان تقوم (ثورة فكرية) الى جانب الثورة الاجتماعية والسياسية •

ان عملية تغير شكل الحكم فقط دون تغير الاسس التي يقوم عليها المجتمع لا تعنى ثورة وانما تعني أنقلابا •

وعليه فأن الثورة تعني ذلك العلم الذي يهدف الى تغيير المجتمع تغيرا جذريا في كياناته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية ثم العمل ـ وباستمرار ـ على أقامة كيانات جديدة •

أما الانقلابات فهي التي ينقصها تخطيط علمي ويعوزها وضوح فكري ولذا

فهي تقف عند حدود السلطة لا تستطيع ان تتجاوزها وذلك بسبب كونها مفتقدة الى صفة الاستمرارية .

وكثيرا ما قامت ـ ولازالت تقوم ـ حركات أو أنقلابات عسكرية دونما « علمية » ولقد شبهها ميثاق العربية المتحدة بأنها أنفجار دماغي !

أما بالنسبة لي فأني أراها نوعا من (الصرع) يصيب أصحابها كما يصيب الصرع المصاب به ، فينفجر ساخطا ويزأر بلا روية ولا هدف . ثم سرعان ما يهدأ حين تعاوده حالته الطبيعية ولكن المرض يظل حيـا فيه وان كان هدوءه الطبيعي خداعا يتستر به على مرضه . كذلك الانقلاباب فانها صرع يعيب اصحابها فتنطلق تريد ان تغير فلا تقدر، حتى اذا ما انتهت العملية وهدأت يظل (الفساد) حيا يعيش في كيان الدولة »[1] .

أن (الانقلاب) يبهر الابصار خداعا بنور كالسراب سـرعان ما يخبو ضوءه ، لتحتوينا ظلمة قاتمة . فالانقلاب في حقيقة الامر وجوهره محافظة على الفساد ، وان كان في ظاهره يحمل ـ خداعا ـ رياح التغيير .

والانقلاب سبيله الوحيد أنما هي الاساليب الديكتاتورية ، والتاريخ الذى يعج بالثورات والانقلابات ، ليس فيه الا الامثلة النادرة على ان انقلابا تحول الى ثورة ! ان الانقلاب حين يتبع اساليب الديكتاتورية انما يحاول ـ فاشلا ـ ان يوقف عجلة التاريخ السائرة دوما نحو التقدم وتتجه دائما الى الامـام . ولكم انتهت محاولات ديكتاتورية الى الفشل وهي تتصدى ـ عاجزة ـ لتوقف حركة التاريخ فاذا بالتاريخ يلفظها لفظ النواة خلفه ليواصل سيره التقدمي وليجعل الانقـلاب واصحابه جزءا مهملا من التاريخ !!

---

(١) من محاضرة أرتجلتها بمناسبة ذكرى الوحـدة بين الجمهوريتين العربيتين المصرية والسورية فى ٢٢ شباط ١٩٦٧ في قاعة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية . ولعل من المناسب جدا ان نذكر ان الاستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير جريدة الاهرام كتب في عـددها المرقم (٢٩٥٨٩) والمؤرخ في ١٥ـ١٢ـ١٩٦٧ يقول : « ان الثورة عمل مسؤول وليست انفعالا بلا مسؤولية والفارق ما بين الثورة واللامسؤولية شعرة واحدة كتلك الشعرة التي تفصل ـ في القول المأثور ـ ما بين الجنون والعبقرية . »

وأولى الخطوات التي يتبعها النظام الديكتاتوري انما هو تجهل القوانين • أو كما قال احد اليونانيين من السفسطائيين « ان تجهل القانون هو طريق الديكتاتورية » •

ان الثورة ينبغي أن تقوم على أساس علمي : لانها كما يقول المناضل الثوري جمال عبدالناصر « علم تغيير المجتمع » • والثورة حين تقوم انما تعبر عن ادراك ووعي عميقين للواقع الاجتماعي بنقائصه ونقضائضه ، بمعنى انها استيعاب عميق لمشكلات المجتمع ثم ادراك علمي محيط لحلها • فالثورة اذن ليست ـ كما هي حال الانقلاب ـ ارتجالا ولا انفعالا ، وهي بالتالى ليست نزوة أو عاطفة بل هي عمل دائب ومستمر يتسلح بعلمية تغوص في اعماق المجتمع عاملة بالوعي ـ وهي قادرة ـ على تغييره ومن ثم تطويره لا أن تكون جاهلة سطحية تهتم بالمظهر دون الجوهر وتحرص على القشور دون اللباب •

ان على اولئك الذين يقومون بالثورات ان يراعوا وان يحسبوا كثيرا لحكم التاريخ ، لان حسابه عسير وحكمه قاس ومرير •

الثورة تخطيط يقوم على العلم واساسها العقل وسداها الادراك والوعي ولحمتها الاحاطة الشاملة •

اذن هي علمية وعقلية وليست سطحية •

سداها الادراك القائم على العلم والوعي وليس على الجهل •

ذلك ان العمل الثوري الواعي والمنظم انما هو ـ وحده ـ طريق الشعب لان يملك زمام نفسه ويمتلك خيراته ويتصرف بشؤونه • والعمل الثوري هو وحده الذي يهيىء للشعب ان يتلك مفاتيح الموقف : قطعا وبترا لجذور التناقضات الاجتماعية وقلعا لرواسبه القديمة •

ان الثورة التي لا تقوم على الايمان بالشعب ولا على أسس من العلم لا تستطيع ان تحقق اهدافها لانها تتصدى ـ وباستمرار ـ لتغيير واقع اجتماعي ، لذا فيفترض فيها ان يكون لها تخطيط علمي شامل لما هو فاسد فتعمل على تغييره ببناء أسس صالحة جديدة •

وبدون الايمان بالشعب وبدون تخطيط علمي وبدون استمرارية العمل فان الثورة لا تعدو ان تكون انقلابا او تطويرا اصلاحيا يقوم في القمـــة دون تغيير للقاعدة التي هي الاساس الرئيس في كل ثورة • ذلك ان الاصل في الثورة انما جاءت لترفع عن الطبقات المسحوقة الظلم والواقع المظلم الذي يقوم على استغلالها استغلالا غير انساني •

فالثورة اذن نظرية وعمل ، بمعنى انه لابد من نظرية تطرحها الثورة على الناس حتى يعتنقونها • فبدون الاقتناع والايمان بها لا يمكن أن تكون عملا !

والثورة ما دامت شعبية ومستمرة ، فهي نور يبدد الظلام وهي معول يهدم أصرحة الفساد، وهي حركة ضد الجمود ، وهي علم تحيط بظروف البلد لتقضي على الفساد وتطرد الجهل •

خصائص الثورة وصفات الثوري

تتفق الثورات في اهدافها واسسها ، ذلك ان الثورة هدف كل مجتمع متخلف وصولا الى مجتمع افضل يتساوى فيه الافراد وتعطى لهم فرص متكافئة تقوم على المباراة دونما استغلال ولا استعلاء • كذلك اهدافها واحدة ني التخلص من السيطرة الاجنبية والقضاء على الاحتكارات الامبريالية العالمية •

وعليه فان الثورات تلتقي في الهدف وان اختلفت الطرق في تحقيقها •

ترى ما هي خصائص الثورة ؟

لابد لنا من تحديد خصائصها اذ كثيرا ما تجري « الثورة » على كل لسان وتنطق بها اقلام الكتاب والصحفيين • ولكم كان اطلاق الثورة خطأ على حركـات لا تمتلك حتى النفس الثوري وعليه لابد لنا من تبيان خصائصها لكي يكون اطلاق الكلمة اطلاقا محددا وعلميا • فكل الحركات التي قامت والتي تقوم ـ تدعى أو تزعم لنفسها بانها (ثورية) •

يرى ميثاق العربية المتحدة[1] ان الثورة تتصف بخصيصتين هما :

---

(١) الميثاق الوطني لقوى الشعب العاملة ص/٤١ •

اولا : الشعبية •

ثانيا : التقدمية •

اما انا فانى ارى اضافة خصيصة اخرى الا وهي « الاستمرارية » •

ان الحياة هي نفسها حركة دائبة مستمرة ، وعليه فالاستمرارية تطلب في كل امر وشأن : الاستمرارية في النضال ، الاستمرارية في القتال ، الاستمرارية في التضحية والفداء ، الاستمرارية في طلب العلم والى غير ذلك من الامور •

وهنا تتكشف لنا الحكمة في قوله تعالى : « ان فوق كل ذى علم عليم » وقوله تعالى على لسان رسوله الكريم : « وما أوتيت من العلم الا قليلا » •

وكذلك تتكشف لنا الحكمة في قول الرسول العربي الكريم « اطلب العلم من المهد الى اللحد » •وكذ لكقوله (ص) الذي يشير فيه الى وجوب الاستمرار في طلب العلم وهو : « ما زال احدكم عالما ما طلب العلم فان ظن انه علم نقد جهل » •

ان التوقف عن طلب العلم جهالة عمياء وعليه لابد من الاستمرارية في طلب العلم والعرفان •

وفي الحقيقة فانه يمكننا القول ، بأن للثورة خصيصتين هما :

أولا : الشعبية •

ثانيا : الاستمرارية •

في الاصل ان كل ثورة شعبية ، انما هي تقدمية ولكن ليست كل حركة تقدمية بثورية •

اما الاستمرارية فانها شرط اساسى ورئيس ـ في رأيي ـ لكل عمل ثوري • ذلك ان كثيرا من الحركات قد بدأت وهي تمتلك صفة الثورية ثم انتهت وقوفا عند حدود السلطة ثم الحرص والمحافظة عليها دونما تغيير لطبيعة المجتمع ولا لكياناته المختلفة •

ان الحياة ـ كما قلنا ـ استمرارية في مختلف نواحيها واوجه النشاط فيها ومنها الثورة •

ويمكننا القول بان للثورة صفات ثانوية تتفرع من الخصائص الرئيسة التي اسلفنا ذكرها وهذه هي :

١ ـ تقدمية ٢ ـ شاملة ٣ ـ الجدة والجدية .

ولابد للثورة من اتخاذ اجراءات معينة في عملية التغيير التي تتصدر عملا لها وهذه هي :

١ ـ لابد من تغيير اجتماعي .

٢ ـ لابد من تغيير الطبقة الحاكمة (بمعنى ليس فقط للحكومة) .

٣ ـ لابد من تغيير فكري .

وما دامت الثورة بخصائصها الشعبية والاستمرارية ، فانها نور يبدد الديجور ويقطع الفساد من الجذور ويحقق مجتمع الكفاية والعدل والمباراة .

أما صفات الثوري فهي كثيرة ، وكنت قد كتبت مرة خاطرة[1] تصح أن تكون ـ بما حوت ـ من صفات تحديدا للصفات الثورية للانسان الثوري .

قلت فيها « الناس معادن . فذو النفس الكبيرة تراه ابدا يسعى الى ان يرفع عنها ما يشينها أو يخدش شخصيته وكرامته . فهو يعمل جاهدا ومجتهدا على أن يكون شرفه رفيعا حتى وان كان منصبه في الحياة وضيعا ! .

فكرامة الانسان فوق كل اعتبار لانها باقية اما مناصب الحياة فانها ذاهبة فانية . فليس الرفعة في هذه الحياة ان يكون الانسان ذا منصب خطير ويدر عليه ارباحا وفيرة ومغانم كثيرة وانما الرفعة هي أن الانسان كبير في نفسه نبيل في حسه ، لا يرتضي لها الهوان ، أبي كل الاباء . نقي الثوب ، صافي القلب طاهر اليد . لا يهمه ما فقد ولا يفرح بما وجد !

يعاف الذل ويتحاشى جهده ان يزل . وليس له في أي وطر مطمع وفي رأيه

---

(١) نفوس صغيرة ومريضة ـ جريدة الشعب ـ العدد ٣٦٠٦ والمؤرخ في ٢٠ آب ١٩٥٦ ، ص ٣ .

ومعاشرته لا يتصنع • قوي الايمان ، عف اللسان ، لا يخشى في الحق لومة لائم• صبورا اذا حل به بلاء ، شكورا اذا مسته سراء •

وهو في رأيه وخصومته صريحا رفيعا • وصراعة مع الغاشمين المستبدين شريفا وعنيفا فاما ان يكون النجاح له حليفا أو يخر في سبيل مبدأه صريعا •

واذا ما كانت له في هذه الدنيا غاية ـ ولكل واحد منا غاية ـ فانـــه لا يرتضى ـ بحال من الاحوال ـ ان تداس كرامته على حساب غايته حتى ولو كان العوز والفقر له نهاية » •

هذه هي صفات الثوري وهو قطعا ذو نفس كبيرة •

اما الانتهازي وهو قطعا ذو نفس صغيرة فان صفاته هي :

« على العكس منه صغير النفس فهو ابدا يتصنع حين يطمع فيخضع ويداجي وبالرياء يتقنع فيخنع ! سليط اللسان ، يميل حيث تميل اهواؤه واطماعه • ضعيف الايمان • لا يحركه دافع من دين ولا وازع من وجدان ! حقير حتى من الذين يتعلق بهم حين يتملق لهم من الاصحاب ، لانه ابدا ذنب من الاذناب والرياء ، الملق وادبه الخلق والادعاء •

ليس له كرامة ولا جبين يعرق وانما دأبه أن يكون لغيره بوقا • وسيان عنده ان كان الامر باطلا أم حقا لا تدفعه دوافع من مصلحة عامة وانما همه ان كان مسعاه يحقق لنفسه اطماعها أو لا يحقق !

واذا كان النجاح في بعض الاحيان يجعل من السقيم سليما ومن الاحمق حكيما فان مصير صغير النفس ـ وان نجح ـ فاشل ونجمه آفل وامره زائل » •

بعد كل هذا الحديث عن الثورة ، قد يبدو مفيدا ان نضيف بان القيام بعملية الهدم اسهل بكثير وكثير جدا من عملية البناء ، فلئن كان الانقلاب يهدف الى التحطيم والتهديم ، فان الثورة في جوهرها هدم وبناء : هدم للاسس الفاسدة القديمة حيث يتربع حفنة من الناس تحكما واستغلالا ، وبنـاء في قيامها باقامة أسس جديدة تتفاعل مع الجماهير الشعبية صاحبة المصلحة الاولى والاخيرة في

كل نظام ثوري • وعملية التلاحم ما بين النظام الجديد وجمـــاهير الشعب أمر في غاية الخطورة اذ على مقدار هذا التلاحم انما تتقرر ثورية النظام •

وليس من شك في ان الثورة وهي تهدف الى تغيير المجتمع تغييرا جذريا وتعمل على احلال مفاهيم جديدة ، انما ـ وهي على هذه الصفة من الشـــمول ـ تقررها السلطة السياسية وحدها وليست أية سلطة أخرى •

ولتقريب الامر ، تفريقا ما بين الثورة والانقلاب ، فاننا نفترض ان المجتمع شجرة • ولما كان المجتمع الذي تتصدر له الثورة بالتغيير فاسدا ، فان الشجرة فاسدة هي الاخرى ، ولابد من قلعها من الارض • فالثورة تجتث الشجرة الفاسدة كما تجتث الحكم الفاسد قلعا من الارض حتى تدك صروحه ثم تعمل على انبات أسس جديدة لتكون الشجرة طيبة الثمر ، دانية القطوف ، وارفة الظلال •

في حين ان الانقلاب وهو يتعرض الى المجتمع الفاسد انما يتصدى الى الشجرة الفاسدة بقطع اغصانها وورقها دون التعرض الى جذورها ، فتبقى الشجرة فاسدة وكذلك ثمرها • ان الانقلاب انما يتصدى الى معالجة الظواهر في المجتمع معالجة سطحية وغير جادة • اما جذور المجتمع فتظل فاسدة بلا تغيير !

و « الزعامة » الحقة انما هي تلك التي تتفاعل مع الشعب التحاما واحتكاما دونما انفصام أو تحكم • وانقطاع هذه الصلة ، يسقط صفة (الثورية) من النظام كما يجعل الحاكم مستبدا غاشما وليس زعيما شعبيا حتى ولا عظيما[1] •

بقيت نقطة جديرة بالاشارة اليها ، اذ كثيرا ما يجري على السنة الساســـة

---

(١) لعل من المناسب ان نذكر رأيا للباندیت نهرو يقول فيه « ان الزعيم الذى يقطع صلته بالجماهير قد يظل عظيما ولكنه لا يظل زعيما » • نفس المصدر السابق ص ٦١ •

أن رأي الباندیت نهرو هذا محل نظر • فانا أرى في الزعامة الحقة انما في تمثيلها تعبيرا عن آمال الشعب وآلامه ، ومدى قدرتها على استمرارية هذا التمثيل • والشعب هو وحده العظيم ، وعظمه الزعيم أنما يستمدها من مدى شعبيته والتفاف الناس حوله •

والزعماء ـ كما تجري به اقلام المتخصصين من علماء السياسة ـ تعبير ولفظ شائع ألا وهو « ثورة مضادة » التي لا اتفق مطلقا ولا ارتضى به تعبيرا لان الثورة لن تكون الا اذا كانت شعبية أي من اجل مصلحة الطبقات المسحوقة والمحرومة والتي هي الاكثر عددا • وما دامت الثورة بهذه الصفة فلا يمكن قبول التعبير (ثورة مضادة) حتى وان كان شائعا !

فالثورة نور ! ولا يمكن ان يجتمع النور مع الديجور في مكان واحد • وعليه لا يمكن قبول هذا التعبير « ثورة مضادة » وانما حركة مضادة أو انقلاب حيث يحقق مصالح فئة صغيرة على حساب الشعب وهذه هي الديكتاتورية بعينها !

وكلمة اخيرة ، فان الدول النامية بحاجة الى تحالف قوى الشعب العاملة والتي يجمعها تنظيم سياسي واحد كفيل برفع المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية • اذ ان هذه الدول الزم ما تكون الى وحدتها وانه لمن فضول الكلام القول انه ينبغي لكل عمل سياسي من تخطيط ووحدة هدف ووحدة قيادة مؤمنة مخلصة تتعاون كلها جاهدة ومجتهدة لدفع عجلة البلد نحو التقدم والرقي »[1] •

المبحث الثاني

(الاحزاب بين المؤيدين والخصوم)

بعد هذا الذي قلناه حول ضرورة الاحزاب ، فاننا نقول ان الاحزاب كالديمقراطية أثارت ولا تزال تثير الكثير من المناقشات والمجادلات • ولقد انقسم المعنيون بدراستها الى قسمين : فريق يؤيد وجود الاحزاب ويدعو لها وفريق آخر لا يرى وجودها ضرورة •

---

(١) مقابلة صحفية أجرتها معي جريدة الجمهورية في عددها المرقم ٧٣٣ الصادر يوم الثلاثاء ١٨ كانون الثاني ١٩٦٦ •

فهناك اذن مؤيدون لها ومعارضون .

وفيما يلي من سطور ، سنحاول ان نجمل ما يذهب اليه مؤيد الاحـــزاب مع حججهم التي يذهبون بتأييدهم لها .

أ – الاحزاب السياسية مدارس تثقيفية ومعاهد تعليمية للشعب

في الغرب – كما في الشرق – تقوم الاحزاب السياسية بدور تثقيفي وذلك بمعالجتها للمشكلات الاجتماعية والسياسية ومشاركتها في ايجاد الحلول للخطير من المعضلات العامة وذلك عن طريق المؤتمرات والندوات وما ينشر في الصحف الناطقة بلسان الاحزاب المختلفة وكذلك النشرات الحزبية (الخارجية للناس منها والداخلية الخاصة بالاعضاء) حيث تشرح الاحزاب القضايا المهمة شرحا يزيل الابهام من الاذهان .

ان الاحزاب السياسية وهي مدفوعة الى كسب ثقة الجماهير يحدوها أمل الوصول الى السلطة ، انما تحرص دوما على مخاطبة هذه الجماهير وان يكـون الوصل بينها دائما وقائما ، تسهم الى حد كبير في تثقيف الشعب ثقافة سياســـية واضحة ومتسلحة بروح واعية ومدركة .

ب – الاحزاب السياسية عامل خلق رأي عام

الامر الذي ليس فيه شك ، هو ان الاحزاب السياسية تعتبر من أقوى الدعامات وابرز القوى المؤثرة في الرأي العام بل ان قوة الرأي العام مستمدة من الاحزاب السياسية وغيرها من المنظمات والنقابات .

ودور الاحزاب في خلق الرأي العام وتكوينه باهر الوضوح ولا يحتاج الى اقامة الدليل عليه . لذا فهي – أي الاحزاب – تسهم والى حد بعيد في خلـــق وتوجيه الرأي العام بما تنشره من دراسات سياسية وتثقيفية .

ان الاحزاب السياسية محكومة ببرنامجها وهي مدفوعة برغبتها العارمة في الوصول الى السلطة ، لتحرص حرصا كبيرا وكثيرا على كسب رضا الرأي العام . فكلما حدثت مشكلة ، انبرت الاحزاب السياسية بمعالجتها ولكن من وجهة نظر

« الحزب » • وهذه النظرة الحزبية وان كانت تجعل الرأي العام منقسما ، فانها تسهم ـ من غير ادنى شك ـ في خلق الرأي العام •

جـ ـ الاحزاب السياسية أجهزة مراقبة لاعمال الحكومة

ما اكثر ما تنحرف الاحزاب السياسية عن تحقيق الدعوة التي قطعتها على نفسها اثناء المعركة الانتخابية ! والشيء الواضح هو ان المعركة الانتخابية لابد وان تسفر عن فوز احد هذه الاحزاب بالسلطة • ولذا فان الاحزاب الاخرى والتي تسمى بالاحزاب المعارضة ، يكون عملها منصرفا الى مراقبة اعمال الحكومة في احترامها لنصوص الدستور وكذلك القوانين المرعية ، وبالتالى فان هذه الاحزاب المعارضة تعتبر عنصر (تلطيف) يخفف من غلواء واندفاع الحزب الفائز وهي ايضا عنصر محاسبة اذا ما اشتط الحزب الفائز أو خرج عن الجادة • ذلك ان عبء محاسبة الحكومة عن اعمالها اذا ما تعسفت واستبدت في ممارستها السلطة انما يقع قطعا على احزاب المعارضة •

وكثيرا ما يحدث ان الاحزاب عند وصولها الى السلطة وهي ما زالت منتشية بلذة الفوز والنصر ان تبتعد عن الطريق الذي به تعهدت ان تلتمز به امام الجماهير عند المعركة الانتخابية ، ولذا فان من واجب الاحزاب الاخرى ، المبادرة الى مراقبتها مراقبة فعالة وجادة ، لئلا يجنح الحزب الفائز مدفوعا بحمى الانتصار ومحكوما بالارتباطات الحزبية ، بان يتخذ من القرارات ، قد لا تتفق لا مع المصلحة العامة ولا مع التقاليد المرعية •

د ـ الاحزاب السياسية أداة خلق جهاز (خبير) لتولى الوظائف العامة

من المعلوم بالنسبة للاحزاب الكبيرة في الدول الغربية ان في داخل كل حزب انما توجد (حكومة) مصغرة ، وهذه تنبع في الاساس من الاقسام المختلفة في نطاق الاحزاب والتي تأخذ على عاتقها دراسة مختلف القضايا من سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية والخ ••

ولذا فانه وبمرور الايام وتوالى السنين تؤدي الى خلق كفاءات فنية قديرة

على تولي الوظائف العامة بالنظر الى ان الاحزاب انما تقوم دوما بدراسة كل المشاكل التي تحدث في البلد والحرص على ايجاد الحلول اللازمة لها حتى اذا ما جاء الحزب الى الحكم كان معدا ومستعدا الى وضع حلوله موضع التنفيذ ، والعمل على ازالة المشكلات واسباب التذمر والشكوى منها • وما حكومة (الظل) المعروفة في بريطانيا الا شاهد ودليل على ما نقول •

وفي الحقيقة فان جهاز الدولة بحاجة الى طاقة بشرية دافقة الدماء • ذلك ان الدولة باقية اما الاشخاص فانهم لزائلون • ان « استمرارية » الدولة يفرض عليها ان تقوم بواجباتها الكبرى تجاه المواطنين ولضمان سير دولاب العمل ، فان الدولة بحاجة الى كفاءات وطاقات جديدة شابة لتتولى امر الاشراف على ادارة شؤونها وتدوير ماكنتها وهذا ما تقدمه الاحزاب السياسية في المجتمعات الغربية فقط •

هـ ـ الاحزاب السياسية مظهر ودليل على الديمقراطية

رأينا كيف ان الاحزاب غدت لصيقة بالديمقراطية ، فكأنما أخيين أرضعا بلبان ! فلا وجود للديمقراطية بدون الاحزاب والعكس صحيح هو الاخر •

و ـ الاحزاب السياسية عامل وحدة البلد

اما وان كل حزب يحرص على شد أعضائه شدا محكما وانه يعمل جاهدا ومجتهدا على صيانة الحزب دون افساح المجال للانقسام أو الانفصام ، فانه بهذا يعمل على صيانة وحدة الحزب ، ولما كان الحزب يحوي على مجموعة بشرية ، لذا فان الاحزاب السياسية الاخرى كل تعمل على صيانة حزبها فان ذلك يؤدي بصورة غير مباشرة الى وحدة البلد •

هذه هي مجمل الحجج التي يستند عليها مؤيد الاحزاب للتدليل على ضرورة وجودها واهمية هذا الوجود •

وفيما يلي من سطور ، سنورد الحجج التي يحتج بها معارضوا الاحزاب في عدم ضرورة وجودها ويمكننا اجمالها كما يلي :

أ ـ الاحزاب السياسية عامل شق وحدة البلد

ان الحزب يعني (مجموعة من الناس تؤمن بمبادىء معينة وينتظمها تنظيم معين تهدف الى الوصول الى السلطة أو المشاركة فيها) • بمعنى ان وجود الاحزاب يعني وجود مجاميع بشرية مختلفة يمكن ترجمتها الى انها تؤدي الى (انقسامات) متعددة الى جانب وجود مبادىء وايدلوجيات مختلفة وهذا ما يؤدي الى تباعد المواطنين بعضهم عن البعض الاخر وهذا بدوره يفضي الى شق وحدة البلد الوطنية • لان الاحزاب السياسية في تطاحنها السياسي انما هي مدفوعة بمبادىء مختلفة فيما بينها• وهذا ما يؤدي الى ان يجعل الشعب منقسما الى شيع واحزاب •

ب ـ الاحزاب السياسية تشوه حقيقة الرأي العام :

لا مراء في ان الاحزاب السياسية عامل خلق للرأي العام الا ان الرأي الذي يتكون انما هو متأثر ومنحاز لانه محكوم بالمبادىء التي يدين بها الحزب وهذا ما يجعل الرأى المنبثق أو المتكون رأيا حزبيا أو منحازا وعليه فان الاحـــزاب السياسية تقضي وتفضي الى خلق رأى عام منحاز متحزب ومختلف وهذا ممـــا يؤدي ـ بداهة ـ الى صورة مشوهة لحقيقة الرأي العام •

جـ ـ الاحزاب تفضل مصالحها الحزبية على المصالح العليا

غير خاف على احد ان كثيرا من الاحزاب السياسية قد انحرفت عن اداء رسالتها التى تؤمن بها وابتعدت بها كثيرا عن تحقيق الاهداف والمبادىء التي جاءت بها عاملة على نشرها وذلك عند وصولها الى السلطة • بل انها كثيرا ما غالت بجعل (الحزبية) معيارا لتقييم المصالح العامة وهذا ايغل في اهدار المصلحة العامة التي ينبغي ان تكون الرائد الاول للاحزاب السياسية • ان اهدار مصالح الشعب واهمالها ثم الانغماس بتيار الحزبية نقد جد معيب وصارخ يوجهه معارضو الاحزاب اليها •

د ـ بعض الاحزاب تتبع توجيهات من جهات اجنبية

في كثير من الاقطار العربية وعلى سبيل المثال ـ العراق ـ وسورية ومصر ـ عندما وضع الغرب الاستعمارى الامة العربية تحت سلطانه ، أنشأ الاستعمـــار

الانكليزي احزابا ارتبطت مصالح هذه الاحزاب بمصالح الاستعمار فكانت هذه الاحزاب داعية تأييد الى الغرب وهي تتبع اوامره ونواهيه •

كذلك على اثر ظهور الاحزاب الشيوعية ووصول الحزب الشيوعي الى السلطة في روسيا ان قامت احزاب (شيوعية) في اجزاء كثيرة من العالم ولقد ارتضت هذه الاحزاب أن ترتبط وجودا وعملا ـ بقيادة الحزب الشيوعي الروسي كما ان احزابا قلة ارتضت ان تتبع اوامر الحزب الشيوعي الصيني • وفي كل هذه الحالات فان فيها برهانا لا ينقض على اهدار الاحزاب لسيادة الامة وتعريض لكرامتها •

هـ ـ الاحزاب عند توليها السلطة تغدو ديكتاتورية النزعة

عندما يستقيم الامر لحزب م نالاحزاب فان نشوة النصر تفقد الحزب احيانا كثيرة ـ نعمة البصيرة والحكمة لذا فانها تبتعد عن تحقيق الآمال التي قطعتها على نفسها محكومة بنزعتها نحو السيطرة والتحكم • ذلك ان طبيعة الاحزاب انما هي تحكمية •

هذه هي ـ اجمالا ـ آراء المؤيدين والمعارضين للاحزاب • وخلاصة القول ان الاحزاب السياسية حتى في الدول الديمقراطية انما هي في حقيقة امرها تقيم حكما السيطرة فيه الى الاقلية • ذلك ان اتجاه السلطة في الاحزاب السياسية اتجاه فردي وهذا ما يقضي على فكرة الديمقراطية التي تقوم على فكرة (الاغلبية) •

ان الاحزاب السياسية محكومة بالاوضاع التي تجتاح العالم اليوم تجنح كثيرا الى أن تغدو متسلطة ومتحكمة وآمرة فيكون النظام والتنظيم فيها مبنيا على الطاعة والاذعان وليس على الاقناع والادراك[1] •

---

(١) عكس هذا الرأي قاله شاتسنيدر اذ يرى ان « اهم تمييز في الفلسفة الحديثة بين الديمقراطية والديكتاتورية يمكن ان نجده في مفاهيم الاحزاب السياسية • واذن فليست الاحزاب مجرد زعانف للحكومة الحديثة ، وانما هي منها مثل القلب ، وتلعب فيها دورا حاسما وخلاقا » •

وردت في كتاب « سياسة الحكم » اوستن رني ـ المصدر السابق ـ الجزء الثاني ص ١ •

اما وقد أحطنا علما ببعض الجوانب العامة ذات الصلة الوثقى بدراسة الاحزاب ، ولما كنا قد درسنا الديمقراطية والاحزاب والثورة والانقلاب ، فانه يتعين علينا ـ محكومين بطبيعة البحث من جانب وخطورة الاوضاع العربية من جانب آخر ـ ان نبحث موضوع « وحدة القوى الثورية في الوطن العربي » ذلك الموضوع الذي فرض نفسه ـ ولا يزال كذلك ـ ليبحث دراسة وتحليلا •

وفيما يلي من صفحات سوف نحاول دراسة هذا الموضوع الخطير ، اذ من الامور البديهية بمكان ، ان الدراسة الحقيقية انما يجب أن تنصب اولا واخيرا على معالجة مشكلاتنا واوضاعنا قبل مشكلات وأوضاع غيرنا •

المبحث الثالث

(وحدة القوى الثورية في الوطن العربي)(١)

لا مراء في أن الظروف التي تمر بها امتنا العربية وتحيطها في الوقت الحاضر ظروف صعبة وخطيرة ، بل انها ـ قطعا ـ أخطر سنى حياتنا • فهناك اعتداء واقع علينا وجيش عدونا يحتل جزءا من ارضنا • ولئن كان الامر بهذه الخطورة من الاهمية فانه أمر لا يدعو الى اليأس قدر دعوته الى العمل • والبشرية شهدت ـ ولا تزال تشهد ـ صراعات وحروبا ، واسباب هذا الصراع مختلفة يمكن ارجاعها الى عوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية وفكرية (الصراع العقائدي) • كذلك تلعب المستويات الحضارية والمعتقدات الدينية والظروف التاريخية والجغرافية ادوارا في تلك الحروب والصراعات •

والامة العربية التي قاست ردحا طويلا من السيطرة العثمانية والاستعمار

---

(١) كان مندوب مجلة (روز اليوسف) القاهرية قد زارني مرتين فى داري طالبا مني الكتابة في هذا الموضوع ، ولقد سلمته مقالة يوم ٢٧ مارت ١٩٦٦ ولم ينشر المقال حتى الان • ولقد أجريت عليه بعض التعديلات ليتماشى مع الفترة الحاضرة التي نحياها ولكن لم تغير شيئا من جوهره •

الغربي هي الاخرى قد شهدت ـ ولا زالت تشهد ـ صراعات وحروبا • بل ربما كانت اكثر بقاع الارض تعرضا للحروب والغزوات حتى غدت ميدانا لها ومسرحا للمنافسات الداخلية والخارجية على حد سواء !

والامة العربية الآن تعيش ـ قطعا ـ احرج سني حياتها ، ذلك ان على ارضها ولدت « طلائع » ثورية استقرت واشتد ساعدها حتى غدت خطرا يهدد ـ بالزوال ـ معاقل الرجعية ربيبة الاستعمار وكذلك الاستعمار نفسه •

هذه القوى الثورية كان ميلادها ميلادا طبيعيا على ارضنا العربية التي كانت ترضخ لسيطرة الاستعمار ، تلك السيطرة التي شلت وكبلت ارادتنا وسلبت حريتنا في العيش احرارا نتمتع بخيرات ارضنا ، ولذا فان « الحرية » كانت مطلبا طبيعيا وتلقائيا من قبل جماهير امتنا العربية التي ترى ان الانسان يولد حرا على ارضها !

وكان الاستعمار قد مكن ـ بالباطل وبالقوة ـ لحفنة من الناس أو لطبقة منهم امتلاك الارض ومن عليها ، فكان ان تنبه الشعب العربي وادرك ان الكثرة الغالبة منه تشرق بالموت فقرا وبؤسا وان قلة من سكانه تغرق بالنعيم والغنى ، ومن هنا كانت « الاشتراكية العلمية » بتطبيقها العربي مطلبا جماهيريا وحلا جذريا واساسيا لمعالجة « تناقضات » المجتمع الصارخة ، ولتزهق باطلا فرض من غير حق ولتقضي على استغلال الانسان لاخيه الانسان •

وكان طبيعيا الا يعترف الشعب العربي الواحد بالحدود المصطنعة التي اقامها الاستعمار على ارضه • لذا فان الدعوة الى « الوحدة » ـ مطلب الجماهير العربية ـ دعوة أصيلة ونداء طبيعي ضد التجزأة والتي فرضت علينا ـ بالقوة ـ دون ارادتنا •

ومع ميلاد الطليعة الثورية في ارض الكنانة (ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢) ، أحست قوى الرجعية والاستعمار ان الارض تكاد أن تميد بهم وتخرجهم منها دون رجعة ، ولذا فانهما ـ الرجعية والاستعمار ـ قد سارعتا متحدثين متعاونتين لمواجهة خطر مصيري يهدد ـ مصالحها ـ بالفناء زوالا • ومن هنا كان الصراع

حتميا بين قوى ثورية مؤمنة خيرة وقوى رجعية فاسدة شريرة ، وعليه فان الصراع بينهما صراع مصير • ومن هنا نستطيع ان نفسر الاعتدائين الثلاثي على الشعب العربي في مصر عام ١٩٥٦ وعلى الشعب العربي عام ١٩٦٧ • ومن هنا ايضا ايضا تنطلق الفكرة التي تفرض نفسها الا وهي اعادة النظر في اوضاعنا ومعرفة مواقع اقدامنا لنكون على أهبة الاستعداد لخوض معركة مصيرية ضد الاستعمار العالمي • وما دمنا في حالة حرب فان موضوع (وحدة القوى الثورية في الوطن العربي) يكون بالضرورة أحق المواضيع دراسة وبحثا •

ولابد لنا ـ قبل الدخول في البحث ـ ان نتساءل لماذا استطاعت القوى الرجعية والاستعمارية ، على الرغم مما فيها من تناقضات ، ان تحقق لنفسها انتصارات في أرضنا العربية وفي غير أرضنا في اسيا وأفريقيا ؟

الجواب على ذلك هو ان كلاهما قد ارتبط مصيريا ـ بقاءا أو فناءا ـ بالاخر ، وهذا يفرض عليها بداهة ان تكون قواهما متحدتين : قلبا وقالبا هدفا وصفا فكرا وعملا • ثم ان وضوح الهدف بالنسبة لها عامل أخر في اسباب تحقيقها انتصارات ومكاسب وهذا يكمن في حرصهما محافظة على مصالحهما الحيوية وهذا ما يدفع بالقوتين الى أن تكون خطواتهما واحدة وخطتهما في العمل قيادة وتنفيذا واحدة هي الاخرى • هي تعرف ما تريد وتخطط تحقيقا ووصولا الى ما تبغي وتريد ألا وهو المحافظة على مصالحهما في أرضنا العربية من جهة وتصديها لكل محاولة تحمل معاني « التغيير » ضربا لمصالحها • ولذا فان هذه القوى المعادية تسير على تخطيط واضح يتلخص في فتح الثغرات والفجوات والاستفادة منها ابقاءا على مصالحها واستمرارا لبقائها •

أما القوى الثورية فأنها منقسمة على نفسها وموزعة ، لانها مختلفة في تحديد طريقها الثوري ولعدم وضوح الروءية لديها • ولان كل (فئة) من هذه القوى الثورية لها رأي يختلف عن الفئة الاخرى • وهكذا نجد أن هذه (الفئات) تدخل

فيما بينها في صراعات ومساجلات لا أول لها ولا اخر تفقدها كل طاقاتها • حتى اذا ما قامت القوى الاستعمارية والرجعية بهجومها ، كانت القوى الثورية ـ وهي منقسمة ـ أضعف من ان تصمد ولو لجولة واحدة أمامها •

ان التطاحنات الحزبية في أرضنا العربيـــة أعدام للطاقات الثوريـــة اذ تحولها ـ أي هذه التطاحنات ـ من هدفها الرئيس الا وهو ضرب القوى الرجعية والاستعمارية الى صراعات جانبية تجعل القوى الثورية من الضعف بحيث لا قبل لها للتصدي لاعدائها • ولذا فان القوى الرجعية والاستعماريـــة تكسب مـــواقع لها رغم تناقضاتها • ولكن ينبغي ان نبادر بالقول ان هذه المكاسب موضعية ومرحلية أي ليست لها صفة الحسم و الدوام ، ذلك ان القوى الثورية هي المنتصرة على المدى الطويل فيما اذا وحدت هدفها وواصلت ضغطها ـ حربا ـ على القـــوى الرجعية والاستعمارية • لقد علمنا التاريخ ان القوى الجديدة المؤمنة هي المنتصرة دوما في صراعاتها مع القوى القديمة الشريرة • ان الظلام لا يستطيع ان يصمد لحظة امام النور ! كذلك القوى الفاسدة لا تستطيع الوقوف امـــام القـــوى الثورية •

ولابد لنا في هذا المقام من التأكيد على « أستمرارية » الصراع من قبـــل القوى الثورية ضد القوى الرجعية ، لان استمرارية الصراع كفيل بدك حصون الاخيرة وسقوط قلاعها الواحدة بعد الاخرى • وخير عون للقوى الثورية في صراعها ضد اعدائها انما هو التحامها جماهيريا • ذلك انه كلما تفاعلت القوى الثورية مع الجماهير ـ الوعاء الذي لا ينضب ولا ينفذ في تزويد الحركات النضالية بالطاقات الثورية ـ كلما زاد ضغطها على القوى اليمينية ، وازداد الامل في القضاء عليها •

ذلك ان سند كل ثورة انما هو الشعب بجمـــاهيره الكادحة ذات الطاقات الثورية الهائلة • وفي الحقيقة والواقع فأن « المهادنة » لن تستفيد منها الا القوى الرجعية • واستمرارية الصراع استمرارية لنضال الجماهير وهو عامل يذكى

القوى الثورية ويزيدها صلابة ومنعة ومضاء .

وقديما قال الشاعر أبو تمام :

أنى رأيت وقوف المـــاء يفسده ... أن سال طاب وان لم يجر لم يطب

هكذا الثورة عمل دائب دائم كجريان الماء . كذلك المهادنة فأنها كوقوف الماء يفسد على القوى التقدمية طعم الحياة ويحيلها الى قوى راكدة خامدة !

اذن لابد ان تكون المعركة قائمة ولابد من توافر « قيادة » مؤمنة ، فوحدة القيادة شرط اساسى ورئيس لضمان كسب المعركة .

كذلك « وحدة التنظيم » فهي عنصر جوهري هام في كسب المعارك ، ولما كانت الرجعية في كل تحركاتها وخطواتها انما تقوم وفق تخطيط متقن وتنظيم رتيب ، فانه يتعين على القوى الثورية ان تكون خططها هي الاخرى قائمة على علمية التخطيط وقوة التنظيم .

كذلك يلعب « الفكر » دورا بالغ الخطورة والاهمية في حياة كل منظمة وكل نظام . فلكي ينتصر غريم على غريمه لابد ان تكون الاسلحة ـ على أقل تقدير ـ أسلحة واحدة .

وغير خاف على أحد ان هناك نواح سلبية في « وحدة العمل العربي » وهي بالتالى عون لاعدائنا ينفذون منها لضربنا ولعل أهم العيوب انما هي :

١ ـ ان الاحزاب السياسية قامت في اكثر البلاد العربية تقليدا مشوها للاحزاب الغربية

لقد قلنا عند دراستنا للديمقراطية ان الاحزاب السياسية في البلدان او الدول المتخلفة انما عيبها يكمن في كونها نسخا مشوهة وتقليدا أعمى للتنظيمات السياسية الغربية دون نظر او أدراك منها الى عمق التباين الاجتماعي والاقتصادي والفكري بينهما . وبداهة ، فأن الاصل في الاحزاب انها تنبع من المجتمع وتمثل حقيقة الواقع الاجتماعي أصدق تمثيل . وبدون ذلك فانها لا تعدو ان تكون هياكل من خشب خالية من روح الشعب !

٢ ـ كثرة التنظيمات السياسية في الوطن العربي

ان كثرة التنظيمات في بلد ما يؤدي الى انقسامه وهذا الانقسام عامل هام يؤدي الى ضعف هذا البلد • ذلك ان كثرة التنظيمات تؤدى من غير ادنى شك الى تشتيت القوى وتوزيعها •

في حين ان الظروف الخطيرة التي تمر بها امتنا العربية تفرض عليها ضرورة « وحدة » هذه القوى ، ان التعدد يؤدي الى التشتت • وهذا التشتت يؤدي الى عجز هذه القوى للوقوف أمام أعدائها •

ان الجيوش على تعددها وكثرة عددها انما تخضع لقيادة واحدة وهذا ما يمكنها من تحقيق الانتصار ، كذلك التنظيمات السياسية فانها احوج ما تكون الى وحدة القيادة ووحدة التنظيم ، فهما من الزم العناصر جمعا وتوحيدا للقوى الثورية •

ان الاحزاب الشيوعية تعد من أقوى الاحزاب دقة في التنظيم وخضوعا للقيادة • فليس في العالم حزبان شيوعيان يمارسان العمل السياسى على أرض واحدة !

ولكننا نرى في أرضنا العربية كثيرا من المنظمات السياسية ذات الاهداف المتشابهة ولكنها متفرقة كل تعمل ضد الاخرى وهذا ما يؤدي بدوره الى ضعف الحركات الثورية فيها • اذ لابد من وجود حزب واحد ـ وليست احزابا متعددة ـ يخضع لتنظيم واحد وقيادة واحدة • فما اجدرنا ـ نحن العرب ـ ان يكون تنظيمنا السياسى واحدا مادامت اهدافنا واحدة هي الاخرى • لقد كان لانقسام المعسكر الشيوعي الى كتلة سوفيتية واخرى صينية اثر واضح في وقف القوى الاشتراكية ، وكيف ان هذا الصراع عاد بأسوأ النتائج على معسكر (اليسار) وتراجعه الملحوظ امام قوى اليمين التي ظلت موحدة الاهداف والخطط (موقف فرنسا في مبادرتها الى مساعدة السنغال ضد قوات غينيا لنجدة نكروما من اجل عودته الى السلطة بعد الانقلاب ، دليل أقطع الدليل على ما نقول ، فعلى الرغم من

خلاف فرنسا مع الغرب ، الا ان الغرب ظل موحد الخطط والاهداف وقوفا ضد كل خطر يهدد مصالحه بالفناء) .

٣ ـ عجز التنظيمات السياسية القائمة من تحقيق اهداف الجماهير الكادحة

كثير من الاحزاب السياسية في الوطن العربي ، قامت لاسباب اقتضتها الظروف التأريخية التي مر بها النضال « الاقليمي » . فكانت دعوات هذه الاحزاب تنحصر في بلوغ الاستقلال كهدف لها حتى اذا ما حصلت « الاقطار » العربية على استقلالها ، جمدت تلك الاحزاب دون ان تستطيع مواكبة الجماهير العربية في تطلعها هدفا ومصيرا الى اقامة مجتمع الكفاية والعدل وتحقيق الوحدة العربية .

وما اكثر الاحزاب التي غيرت اسمها حبا منها في مواكبة الركب الثوري ، ولكن ظلت « حجيرات » الحزب عاجزة عن التفاعل الحقيقي مع الزخم الثورى للجماهير .

وما اكثر الاحزاب التي انقسمت وانشطرت ثم راحت تريد لنفسها « وجودا » بين الجماهير ولكنها كانت هي الاخرى تحمل « بذور » العجز والضعف نما لبثت ان ماتت دون ان تحقق شيئا !

٤ ـ غياب الوضوح الفكري لدى الاحزاب السياسية :

الامر الذى لا يختلف فيه اثنان هو ان « الفكر » يلعب دورا خطيرا وقياديا في شد الجماهير وتوجيهها ، ولقد دأبت الاحزاب ـ ولازالت ـ على تغذية برنامج الحزب بأفكار تصح لان تكون حلا للمشكلات التي يعانيها الوطن العربي . بل ان الاحزاب السياسية قد عانت كثيرا من عجزها (الفكري) بحيث استبقت الجماهير الاحزاب ، وكانت الاخيرة تجري خلف الجماهير لاهثة الانفاس لا تستطيع مواكبتها تفاعلا أو فاعلية .

ان « الفكر » عامل هام يعمل على ترسيخ العقيدة ، وبالتالى فأنه يخلق جوا ملائما لتلاحم الجماهير وسهولة قيادتها . فالايمان الفكري قوة دافعة لتحقيق الاهداف الكبرى التي تحرص على بلوغها التنظيمات السياسية .

ولقد عانت كثير من الاحزاب السياسية ما يعرف بالفراغ الفكري •

٥ ـ سيطرة البورجوازية على القيادات الحزبية :

ان كثيرا من التنظيمات الحزبية التي قامت في الوطن العربي كا نعيبها كامنا في قياداتها لان هذه القيادات انما كانت تسيطر عليها الطبقات البورجوازية ولذا فأن اندفاعها انما كان اصلاحيا وليس ثوريا • بل لقد تفننت (البورجوازية) في امداد الاحزاب بأبنائها فترى عائلة واحدة مثلا لها في كل حزب من يمثلها ! بل ان الاسرة الواحدة قد جعلت من الاب منظما الى حزب رجعي ، واحد ابنائه عضوا في الحزب « الشيوعي » وثاني ابنائه عضوا في حزب « البعث » وثالث ابناء اشتراكيا أو في « الحركة الاشتراكية » وهكذا ! فهذه القيادات البورجوازية انتهت بالوقوف عند تعرض مصالح هذه الطبقة الى الخطر وهذا ما يؤدي الى شل الماكنة الحزبية وعدم تلاحمها مع الجماهير العطشى الى التغيير !

ان الجماهير العربية ـ محكومة بالتخلف ـ تطمح الى اقامة البناء الاشتراكي للمجتمع العربي حيث تسود فيه الكفاية والعدل والمباراة • وعليه فان الجماهير قد لفظت تلك القيادات التي كانت سببا في ضعف التنظيمات الحزبية في وطننا العربي •

بعد هذا الذى قلناه ، ونظرا لطبيعة المرحلة النضالية لجماهيرنا العربية ، فأن وحدة القوى الثورية امر يفرض نفسه •

ولابد من قيام تنظيم سياسى جديد بدماء جديدة ، فلقد اثبتت « النكسة » المروعة في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ والتي أنتهت بهزيمة عسكرية للجيوش العربية التي شاركت في القتال ضد اسرائيل فشل الانظمة السياسية القائمة على الارض العربية ثم فشل الاحزاب والتنظيمات المختلفة • واثبتت ان العرب كانوا ـ كما كنت قد قلته مرة[1] ـ (يحسنون معالجة مشكلاتهم اقوالا

---

(١) من كلمة ارتجلتها بمناسبة يوم ذكرى التقسيم المشؤوم في ١٥ـ٥ـ١٩٦٧ فى قاعة الشعب وبدعوة من منظمة التحرير الفلسطينية •

ولا يحسنوا معالجتها أعمالا ، كذلك أكدت ما قلته مرة ايضا[٢] (ان مشاركتنا لتحرير فلسطين انما يقوم الكفاح من أجلها كفاحا من نواح وكان حريا ان يكون كفاحنا كفاحا يقوم على جراح !!) .

لقد أتبعت أسرائيل منذ قيامها اساليب علمية وتكنيكية بل انها حرصت على الموت في سبيل استمرار بقائها ، في حين انصرف العرب الى معارك جانبية اساسها التشهير وسداها المهاترات ثم الاستخفاف بالعدو قولا لا عملا !

لقد نجحت اسرائيل في كسب الرأي العام العالمي بفضل اجهزتها الصالحة والكفوءة رغم بطلان الدعوى الاسرائيلية التي لا تقوم على أساس لا من الحق ولا من العلم ولا من المنطق ، في حين فشلت الاجهزة العربية حتى في توضيح قضيتهم على الرغم من كون الحق في جانبهم وذلك لضعف هذه الاجهزة على المستوى الدبلوماسي والاعلامي .

ان بلدا يريد الحياة في عصر (الذرة) لابد له ان يتسلح بالعلمية وان يضع الرجل الصحيح في المكان الصحيح وأن توكل الامور الى أهلها . ولقد عبرت الجماهير العربية أصدق تعبير في ٩ من حزيران عن ثقتها بقيادة عبدالناصر لانه رجل المعركة .

ان التمشدق بالكلام والتحدث عن (ثورية) نظام ، لن يورث اصحابها سوى الفشل والهزيمة ، وانه آن للعرب ان يستفيقوا من سباتهم وينهضوا من كبوتهم ذلك ان طريق النضال ما كان الكفاح فيه جراحا وكلوما لا نواحا وكلاما !!

ان كثرة التنظيمات يعطل فاعلية القوى الثورية بل وجودها موزعة ومتعددة خطر كفيل بالقضاء عليها !

ان وحدة القوى الثورية في الوطن العربي ليست مجرد رجاء لتحقيق أمنية ، وانما هي قبل كل شيء ضرورة (حياتية) ومصيرية تستدعيها طبيعة الصراع على ارضنا ، الى جانب كونها تعبيرا نضاليا لتحقيق اهداف الشعب العربي في حياة

حرة كريمة • كذلك فأن في وحدة القوى الثورية ضمانا كدرع حصين وسياج متين يوفي الجماهير خطر اعدائها • ومادمنا كعرب نؤمن بالامة الواحدة من الخليج الى المحيط : مجتمعا حرا اشتراكيا ، فان وحدة القوى الثورية هي الطريق العلمي والعملي لتحقيق هذا الهدف • ان في وحدة الهدف صمام الامان لضمان مكاسب الشعب العربي فبدونها تكون « الثورات » انقلابات تضع الامة العربية تحت حكم ديكتاتوري أو أقامة سيطرة رجعية عميلة !

وبعد فأحسب ان « الاتحاد الاشتراكي العربي » في الجمهورية العربية يقع هو الاخر تحت طائلة اللوم والحساب ، ذلك ان الاتحاد الاشتراكي العربي لو تحول الى جهاز ثوري ، لكان قوة ثورية هائلة في تجميع الطاقات النضالية ليس على صعيد الجمهورية العربية فحسب وانما لتشمل الامة العربية من محيطها الى خليجها • فالعربية المتحدة كما يقول ميثاقها : (تؤمن بأنها جزء من الامة العربية لابد لها ان تنقل دعوتها والمبادىء التي تضمنتها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربي ولا ينبغي الوقوف لحظة أمام الحجة البالية القديمة التي قد تعتبر ذلك تدخلا منها في شؤون غيرها •

ان الثورة العربية لا تتجزء • ولابد منها لتشمل الامة العربية • ان وقوفها عند حدود قطر يؤدي حتما الى سقوطها ، فالثورة مستمرة ، ولابد من استمرارية النضال • لان النضال الثوري لا يقف ولا ينتظر ، لانه عمل دائم ومستمر •

كذلك ارى وجوب فتح ابواب « المعهد الاشتراكي العربي » الى الراغبين اليه انتماءا في الاقطار العربية فان تخريج « الكوادر » السياسية ركيزة اساسية في كل تنظيم ثوري من جهة ، ولتكون عاملا اساسيا في الالتحام نضاليا مع الجماهير من جهة أخرى •

ولما كانت هناك « معوقات » تحول دون وحدة القوى الثورية ، لعل اشهرها خطرا هو تسلل اعداء القوى الثورية أو أعداء الثورة العربية من عملاء وانتهازيين ، فان هذا الامر يؤكد أهمية الدور القيادي للكوادر في كشف العملاء والانتهازيين واستئصالهم من التنظيم السياسي •

بعد هذا الذى قلناه ، لابد لنا ان نتساءل ترى من هي القوى الثورية ؟!

ان تحديد وتعيين القوى الثورية ضرورة أساسية مادمنا نهدف الى وحدتها ومادمنا في معركة مع أعداء الجماهير •

في الاصل ليست هناك موازين نزن بها الثوري من غيره • ولكن هنـــاك معيارا يمكن ان يتخذ اساسا لتحديده ألا وهي المواقف التي تصدر من الانسان أزاء المشكلات التي يتعرض لها • ولكي نكون أكثر تحديدا لابد لنا من أعطـاء تعريف للثورى • وفيرأيي فأن الثوري هو ذاك الذي ارخص حياته في جهاده نضالا لاسعاد الجماهير دون استغلال ولا استعلاء !

ولعل أصدق معيار لتحديد القوى الثورية انما قدمته الينا احداث الانفصال الذى حدث في سورية عام ١٩٦١ • فما ان طبقت الاشتراكية حتى رأت الرجعية في سورية ، تؤازرها الرجعية العربية ، بتطبيقها خطرا يهدد بالموت وجودها •

والتاريخ العربي حافل بالشخصيات التي كانت داعية وحدة عربية وساعية الى تحقيقها ولكنها دعوات مزيفة تهتم بالمظهر دو نالجوهر • فمادامت المستويات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في البلاد العربية متخلفة ومتأخرة فان الدعوى الى الوحدة ليست سوى المحافظة على التخلف وابقـــاء الرجعية ومن ورائهـــا الاستعمار في أرضنا • فنوري السعيد كان ـ بالزيف ـ يدعو الى الوحدة وهناك حكام عرب كثيرون يدعون ـ بالزيف ـ الى الوحدة • ولكن لابد للوحدة من ركائز أساسية وقواعد جماهيرية حتى تستطيع ان تبقى حية دون خطر • ولـذا فان « الاشتراكية العلمية » بتطبيقها العربي هي في نظري فيصل التفرقة بين الثوار الحقيقيين من غيرهم •

ولما كانت انظمة الحكم مختلفة في الوطن العربي ، فأن التنظيم السياسي ينبغي ان يكون قطعا ـ وبالضرورة ـ تنظيما نابعا من القاعدة الشعبية وليس فرضا تفرضه هذه السلطات •

ان كل مواطن عربي مؤمن مدعو ومطالب بأن يشارك في دعم (الثـورة

العربية) وان كل منظمة سياسية مطالبة بالاسهام حتى التضحية في محاربة القوى الرجعية في هذا الظرف العصيب •

ان وحدة القوى الثورية نداء ـ يفرضه الواجب موجه الى القوى الثورية مادامت تسعى هى الاخرى مؤمنة بالعمل على تحقيق اهداف أمتنا في الحريـــة والاشتراكية والوحدة •

بعد هذا الذي قلناه ، لابد لنا ان نتعرف على الاحزاب السياسية • ترى ما المراد وما المقصود بالحزب السياسى ؟ ما هي عناصر الحزب ؟ وما هي تكويناته الداخلية والى غير ذلك من المواضيع وهذا ما سوف نتناوله بالبحث في الفصل الثـاني •

الفصل الثالث

الاحزاب السياسية

تميزت حياة المجتمعات ـ ولازالت كذلك ـ بانها دائمة النزاع ، دائبة الصراع ، تعج بالمنافسات وتسيطر عليها المشاحنات • ففي كل مجتمع صراع ! تارة يقوم ما بين الافراد واخرى يقوم ما بين الجماعات • وليس من شك ان هناك عوامل متعددة تعمل على تغذية هذا الصراع وذاك النزاع •

ويمكننا القول بان هناك صراعا فرديا وصراعا جماعيا ، كما ان في الحياة صراعا علنيا وصراعا خفيا ! ونستطيع ان نميز في الصراع الجماعي نوعين هما :

آ ـ صراع جماعي غير منظم •

ب ـ صراع جماعي منظم •

ومن القسم الاخير ينبثق ـ وبالتحديد ـ موضوع الحديث عن « الاحزاب والتنظيمات السياسية » وعليه فاننا سوف ندرس في هذا الفصل المواضيع التالية :

١ ـ تعريف « الحزب السياسي » •

٢ ـ نشأة الاحزاب السياسية •

٣ ـ الصراع السياسي •

ذلك ان الاحزاب السياسية انما هي في الاصل اجهزة صراع قامت لتقاوم الحكم التعسفي ، ولذا فاننا سوف نحاول ان نتعرف عما يراد بكلمة حزب سياسي ثم فكرة عامة عن نشأة الاحزاب السياسية محاولين بعدها ان نسلط الضوء على الصراع السياسي لما له من علاقة لصيقة ووثقى بدراسة الاحزاب السياسية •

المبحث الاول

تعريف الحزب السياسي :

الحزب لغة معناه قسم أو جزء وهو يضم مجموعة من الناس ، أما كلمة (سياسي) فان هذه الكلمة تعني معاني كثيرة أقربها هو أنها تتعلق بالسلطة .

وهناك تعاريف عديدة للحزب منها تعريف (بنيامن كونستان) اذ عرفه بانه (اتحاد اشخاص يعتنقون نفس المبادىء السياسية)[1] .

وعرفه الاستاذ (كلسن) بانها « تلك المنظمات التي تجمع بين رجال ذوى رأي واحد لتضمن لها تأثيرا حقيقيا فعليا في ادارة الشؤون العامة »[2] .

كذلك عرفه (بيرك) بانه (مجموعة من الناس اتحدوا للعمل بمجهودهم المشترك على تحقيق الصالح العام على اساس مبدأ بذاته يتفقون كلهم عليه »[3] .

والحزب في رأي (روبرت . م . ماكيفر) هو أداة الرأي في الديمقراطية الحديثة »[4] .

ولقد عرفه البرفسور (اوستن وني) بانه جماعة منظمة ذات استقلال ذاتي تقوم بتعيين مرشحيها ، وتخوض المعارك الانتخابية على أمل الحصول على المناصب الحكومية والهيمنة على خطط الحكومة »[5] .

أما انا فانى اعرفه بانه (مجموعة من الناس ينتظمهم تنظيم معين وتجمعهم مبادىء ومصالح معينة ويهدفون الوصول الى السلطة أو المشاركة فيها) .

ومن تعريفنا هذا للحزب نستطيع ان نميز بين الاحزاب السياسية والجمعيات الخيرية وكذلك جماعة الضغط .

---

(١) Mourice Durerger, Op. Cit., p.

(٢) هانس كلسن ـ الديمقراطية ـ المصدر السابق ص ٢٢ .

(٣) ورد في كتاب كراهام والاس ـ الطبية البشرية في السياسة ـ تعريب عبدالكريم احمد ـ ص ٧٨ـ٧٩ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٥٩ .

(٥) المصدر السابق ـ الجزء الثاني ص ٣ .

واساس التفريق يقوم على ان الاحزاب السياسية تسعى دوما الى الاستيلاء على السلطة أو المشاركة فيها • اما الجمعيات الخيرية فليس لها هدف سياسي معين •

أما بالنسبة الى جماعات الضغط ، فان بين الاثنين فروقا يحسن بنا الوقوف ـ ولو قليلا ـ عندها •

وقبل الحديث عن الفروق ما بين الحزب السياسي وجماعة الضغط ، لابد لنا من معرفة بعض خصائص جماعات الضغط ، ذلك ان هذه الخصائص هي خير عون لنا وسبيل يقودنا الى معرفة الفوارق بينهما •

الاصل في هذه الجماعات انها تقوم على المصلحة الخاصة أولا واخيرا • فهم جماعة عرفوا بذكاء فريد وقدرة لماحة ، قديرون على ان يتحركوا في كل مكان • مدفوعين بهدف المكاسب والارباح عن طريق العلاقة والصداقة وكذلك بتأثير المال وسلطانه الذي لا يقاوم !

ولذا فان جماعة الضغط انما في حقيقة جوهرها تشكل خطرا يهدد مصالح العامة من الناس • أما خصائصها فهي تضع المصلحة الخاصة في الاعتبار الاول من أهدافها وغاياتها وهي بذلك تضرب المصالح العامة للبلاد • في حين ان الاحزاب ليست كذلك نظريا ! وان كان بعض هذه الاحزاب قد يرتكب مثل هذا الخطأ عمليـــا •

كذلك فان جماعة الضغط تفتقر في عملها الى الاسلوب الديمقراطي لانها تقوم على الطاعة المطلقة للرئيس •

والديمقراطية ـ كما يفهم منها ـ انها احكم الشعب يقضي معناها ومبناهـــا أن تكون حريصة كل الحرص على « وحدة الامة » فهي ـ اى الديمقراطية ـ ضد كل تكتل أو تحزب ! بل هي حتى ضد كل احتكار !

كذلك يمكننا القول ان جماعات الضغط لا هدف لها سوى مصالحها الخاصة وبالتالي فان لها لعبتها الخاصة على النطاق الحكومي والنطاق المحلي ، فهي تبحث دوما عن تحقيق مصالحها وحماية مكاسبها دون اعتبار للمصلحتين الحكوميـــة والمحلية • كذلك تمتاز جماعة الضغط بانها تبرر كل عمل (الغاية تبرر الواسطة)

فهم لا يترددون اطلاقا في استعمال اسوأ السبل والافعال لتحقيق مصالحهم وغاياتهم المادية ، وهذا ما يدفعهم الى اتباع اساليب غير اخلاقية وصولا الى اهدافهم .

ومن هذه الخصائص نستطيع القول بان بين الاحزاب السياسية وجماعة الضغط فروقا ، وهذه الفروق هي كما يلي :

١ - الاحزاب السياسية تسعى عمليا ونظريا الى السلطة وترغب في الحصول عليها وممارستها كليا أو جزئيا عن طريق المشاركة .

في حين ان جماعات الضغط فهي ترغب في السلطة ولكن ليس مباشرة ولا يمارسها احد منهم بل ان هذه الجماعات تدفع الى السلطة شخصا يرتبط بها ارتباطا مصلحيا ومن ثم تؤثر عليه (بالضغط) !

٢ - ان جماعات الضغط وهي لا تريد السلطة ، ولكنها تحرص كل الحرص على أن تضمن لنفسها نتائج أفضل ضمانا لمصالحها الخاصة وتحقيقا لمنافعها الاقتصادية من غير ان تتحمل ، ولو قليلا ، من المسؤولية .

في حين ان الاحزاب السياسية تعمل جاهدة ومجتهدة من أجل الوصول الى السلطة وهي تتحمل المسؤولية السياسية مع نتائجها .

وهكذا يتلخص لنا مما تقدم ، ان جماعات الضغط أو الضاغطة تختلف عن الاحزاب السياسية ، اذ ان الاولى انما تمارس (ضغطا) لتوجيه الرأي العام وتعمل على وصول جهة معينة الى السلطة . وهذه لا تمت الى جماعة الضغط الا بصلة المصلحة ولذا فهي لا تهدف الى الوصول الى السلطة . كذلك ليس من دأبها المشاركة في ممارستها كما هو الحال في الاحزاب السياسية .

بعد هذا الذى قلناه عن الفروق بين جماعات الضغط والاحزاب السياسية ، نعود الى تعريفنا للحزب السياسي (مجموعة من الناس ينتظمهم تنظيم معين وتجمعهم مبادىء ومصالح معينة ويهدفون الوصول الى السلطة أو المشاركة فيها) .

ومن تعريفنا هذا للحزب يمكننا القول بان هناك عناصر أساسية في الحزب يقوم عليها ألا وهي :

١ ـ مجموعة من الاشخاص :

لابد في كل حزب سياسي من وجود جماعة من الناس ينضمون اليه طواعية ويعتنقون مبادئه ، مؤمنين به وبها عاملين على نشرها والدعوة لها والدفاع عنها • وليس بذي بال أن يكون عددهم كبيرا أو صغيرا في قيام الحزب وتكوينه • غير انه من الناحية السياسية فان اهمية كبرى تعطى للحزب الذي يمتلك قاعدة شعبية •

فكلما كان العدد البشري فيه كثيرا كلما كان وصوله الى السلطة امرا ميسورا ، فضلا عن ان هذه الكثرة الكاثرة تعطي كسبا للحزب معنويا وماديا اذ انهم ما أقبلوا على الانتماء الى الحزب الا لكونه حزبا شعبيا يحظى بتأييد شعبي الى جانب ان مبادىء الحزب وبرنامجه محيطان ومتفهمان لطبيعة الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ولذا أقبلت هذه الجموع ـ زرافات ووحدانا ـ انتماءا وانضواءا اليه •

٢ ـ وحدة المبادىء :

لابد في كل حزب سياسي من منهج يمثل وضوح الرؤية الفكرية متضمنا المبادىء التي يؤمن بها ويعمل جاهدا ومجتهدا على نشرها •

ولقد غدت للمبادىء أهمية بالغة في حياة الاحزاب وكذلك الانظمة السياسية • فالصراع الدائر الآن بين المعسكر الاشتراكي والعالم الرأسمالي انما هو صراع مبادىء وعقائد يعمل كل جانب على نشرها وكسب تأييد عالمي لها •

ولا مراء في ان العقيدة (الايدلوجية) تفعل أثرها في كسب الناس • فلابد لمن يريد الانتماء الى حزب أو لمن يريد تأييد نظام سياسي من تفهم لمبادئهما اولا ، وعند ذاك يكون هذا الفهم والادراك سببا في انتقاله الى الايمان بها والدفاع عنها والترويج لها •

وهكذا تكون المبادىء (العقائدية) المحور الذي يجذب ويكسب الجماهير الشعبية • ولن يعيش حزب ولا نظام سياسي اذا لم يكن لهما مبدأ أو عقيدة

فالانظمة السياسية وكذلك الاحزاب انما يميز بعضها عن البعض الآخر مبادؤها وايدلوجيتها .

٣ ـ وحدة التنظيم :

كما أن الجيش يخضع الى تنظيم صارم دقيق ، كذلك الاحزاب السياسية ينبغي أن يكون تنظيمها صارما . اذ لابد من خضوع المنضمين اليها خضوعا تاما ، ما دامت الاحزاب السياسية اجهزة صراع وصولا الى السلطة ، ولابد للحزب أن يواجه اعداءه . ولما كانت الحياة السياسية صراعا ـ كما قلنا ـ وجب أن يكون هذا الصراع منظما وأن يكون أعضاء الحزب مدركين حد الايمان معنى النظام وواجب الطاعة التي هي أساس لكل نضال .

والحزب لن يستطيع « تأدية هذه المهمات ، الا اذا كان هو نفسه يجسد نظام (الضبط) الطاعة وروح التنظيم »[1] . ولعل من فضول الكلام القول بان عنصر التنظيم والضبط يلعب دورا رئيسا ومهما في حياة الاحزاب السياسية ، اذ على مقدار قوة التنظيم وسيطرته يتوقف نجاح الحزب في حياته السياسية .

وفي الحقيقة والواقع ، فانه ما دامت في المجتمع نشاطات اجتماعية متضادة ، فان التنظيم يفرض نفسه كضرورة لا غنى عنها .

٤ ـ وحدة القيادة :

لابد لكل جماعة تبغي اهدافا معينة وتسعى الى تحقيقها ونشرها من تنظيم يجمعها وينسق عملها . والامر لا يقف عند حدود التنظيم اذ لابد لكل تنظيم من قيادة .

فوحدة القيادة امر بالغ الاهمية والخطورة للانظمة السياسية وكذلك الاحزاب .

والسلطة في الاصل واجبة الوجود لكل جماعة تريد ان تنتظم فيما بينها فكرا وعملا ورغبة في الوصول الى تحقيق اهدافها التي بها تؤمن وهذه السلطة

---

(١) ستالين ـ الحزب ـ دار بغداد ١٩٥٩ ص/١٠ .

لابد لها من (قائد) يدبر أمر الجماعة ويدير شؤونها ، فلا يمكن القول بان يكون على رأس منظمة أو نظام قائدان • اذ هيهات ان يجتمع اثنان في قرن • أو سيفان في غمد كما قال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) •

٥ ـ الوصول الى السلطة :

كل حزب له هدف واضح يعمل من اجله عملا حثيثا ومتواصلا الا وهو الوصول الى السلطة •

اذ عن طريق (السلطة) يكون في مكنة الحزب وقدرته تطبيق البرنامج أو المنهج الذي يتضمن مبادئه الرئيسة في العمل السياسي ، ونظراته وآراءه في اصلاح وتطوير الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية •

فما دام الحزب بعيدا عن السلطة ، تكون مبادؤه وبرنامجه نظرية فقط • ولكي يثبت الحزب اقدامه في امتلاك قلوب الناس ، لابد له من مجال عملي وتطبيقي حتى يعطى للجماهير دليلا قاطعا وبرهانا ساطعا على ايمانه بها فكرا وعملا ، نظريا وعمليا •

ولطالما تكشفت حقيقة كثير من الاحزاب عند وصولها الى السلطة اذ انها ابتعدت وعجزت عن تحقيق المبادىء التي كانت تنادى بها وتدعو النـــاس الى اعتناقها •

ان آفة الحزب انما هي حياته التطبيقية ، فهنا فقط تظهر حقيقته وليس الامر هنا مقصورا على الاحزاب وحدها بل يتعداها ليشمل الانظمة السياسية وكذلك الافراد •

وكلمة اخيرة ، لابد لنا من القول ان الاحـزاب السياســية تختلف عن الجماعات الدينية والثقافية ، ذلك ان الاولى ـ كما رأينا ـ حريصة على السلطة امتلاكا لها كليا أو جزئيا عند المشاركة فيها ، في حين ان اهداف الجمعيات الدينية انما هو التأثير على الرأى العام دون الرغبة في الوصول الى السلطة أو المشاركة فيهـا •

بعد هذا الذي قلناه ، عن تعريف الحزب ، يكون من الضرورى التعرض

ـ ولو بايجاز ـ الى اهمية الاحزاب السياسية • ولقد نوه احد المعنيين بدراسة الاحزاب السياسية عن أهميتها قائلا :

« بانه لا توجد من القوة المؤثرة في حياة الانسان ما اهملت دراسته كالاحزاب ، رغم انه لا يوجد ما يستحق العناية في دراسته مثلها »[1] •

ان اهمية الاحزاب السياسية كامنة وقائمة في الوظائف التي تقوم بها في النظام الديمقراطي[2] وهي !

١ ـ تحاول الاحزاب السياسية استقطاب المواطنين وتشجعهم للمساهمة بدور فعال في النشاط السياسي وبخاصة في الانتخابات •

٢ ـ الاحزاب السياسية تحدد وتعرف المشاكل والقضايا السياسية القائمة وتضع لها الحلول التي من المحتمل أن تسلكها الحكومة في معالجتها لهذه المشاكل •

٣ ـ الاحزاب السياسية اداة يستطيع المواطنون بواسطتها تنظيم انفسهم والمساهمة بصورة فعالة في رسم وتحديد السياسة العامة •

٤ ـ تتميز الديمقراطية بتركيزها على ضرورة انتخاب المواطنين لحكامهم ومن خلال المنافسة السياسية ما بين الاحزاب المتصارعة اثناء الانتخاب ، قد يستطيع المواطنون التعبير عن وجهات نظرهم بشأن انتخاب حكامهم •

٥ ـ حزب المعارضة في النظام الديمقراطي ، من خلال معارضته ونقده ، لنهج وأعمال السلطة يحاول لفت نظر الحكومة الى وجهات نظر سياسية لحزب

---

(١) وردت في كتاب كليفتون روسيتر ـ الاحزاب في امريكا ـ ترجمة الدكتور محمد لبيب شنب ، ص ٣ •

(٢) فائق علي الهاشمي ـ في رسالة الماجستير والتي هي تحت عنوان :

The City Manger Plan in Theory and Practics — a Thesis Presented to the Graduate Concil of The University of Tennessee — 1967, PP. 72-73.

الاقلية • فضلا عن ذلك ، فحزب المعارضة يحاول تقييم أعمال وانجازات الحكومة مؤكدا على مسؤوليتها السياسية ازاء الرأي العام •

٦ – من خلال النشاط السياسي للاحزاب السياسية تقوم الاخيرة بترشيح المرشحين للوظائف وتمنحهم الفرصة للاستمرار في مراكزهم لحقبة أخرى •

المبحث الثاني

« نشأة الاحزاب السياسية »

الحياة السياسية قديمة قدم الدنيا • والصراع السياسي ظهر منذ أن وجد الانسان على ظهر هذه الارض • وفي الحقيقة فان البشر كل يعمل على شاكلته ، ولكل منهم أهداف وآمال في هذه الحياة وهي تتأثر بعوامل معينة في أن تكون مواقفهم سلبية أو ايجابية • والافراد مختلفون من حيث الآمال والاميال ، فلكل واحد منهم افكاره ومعتقداته وطموحه • وليس من شك ان العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية تلعب دورها الاول والرئيس في اختلافات الناس التي تجعل الشعب الواحد (احزابا) و (شيعا) •

أن سوء توزيع الثروة : وفيرة حتى التخمة في قلة قليلة من الناس ، وفقر مدقع يسود الاغلبية منهم ، مصدر دائم وهام في اختلاف الناس وبالتالي انقسامهم وحدوث الصراع بينهم •

هذا التناقض وهذا الاختلاف فيما بين قوتين مالكة وهي حاكمة ومملوكة وهي محكومة (اختلاف المصالح الاقتصادية والاجتماعية) عامل من أبرز العوامل في نشوء الاحزاب السياسية • كذلك تلعب الافكار والتقاليد والاختلاف الديني والعنصري ادوارا هامة في تكوين ونشوء الاحزاب السياسية •

كذلك قد يؤدي تعسف السلطة واحتكارها للامتيازات وجعلها قاصرة على قلة من الناس دون أعمال للصالح العام أو لمصلحة الاغلبية ، عاملا من عوامل نشوء الاحزاب تغييرا للحكم وللطبقة الحاكمة • ولطالما عملت الجماهير ـ ولا زالت تعمل كذلك ـ على تغيير انظمة الحكم لانها ـ أي الانظمة ـ لا تعبر عن آمالها وتطلعاتها ولا تتحسس بآلامها وأوصابها •

هذه الصور المختلفة أسهمت في قيام ونشوء الاحزاب السياسية • ولقد عرفت الشعوب في الماضي الاحزاب السياسية (كما رأينا ذلك عند حديثنا عن

الديمقراطية) • ولكن الامر الذي ليس فيه شك هو ان الاحزاب في العهـــود السحيقة انما كانت (احزاب فكر) ، ولعلها هي المظهر الاول لقيام الاحزاب السياسية في أقدم العصور والدهور • الى جانب (احزاب المصالح) المتناقضـــة المتمثلة في احزاب (الاغنياء والفقراء) •

وعليه فان تلك الاحزاب لم تكن قائمة ومنظمة تنظيما علميا حديثا كما هو شأن الاحزاب في الوقت الحاضر •

ان دراسة الاحزاب دراسة حديثة وقيام الاحزاب أو نشوؤها نشوءا ـ حديثا وعلميا ـ انما يرجع الى عام ١٨٣٢ في بريطانيا[١] •

ويمكننا القول اضافة الى ما ذكرناه من أسباب قيام الاحزاب ، ان عوامل أخرى لعبت دورها ـ ولازالت تلعب دورها ـ في تكوين الاحزاب السياسية ويمكن حصرها بما يلي :ـ

عوامل اجتماعية ، اقتصادية ، ايدلوجية ، عوامل محلية وعوامل دينية الى غير ذلك •

كما يمكننا القول ان الرغبة في تغيير الطبقة الحاكمة بأخرى ، انما قويت بفضل انتشار المبادىء الديمقراطية وظهور مبدأ الاقتراع العام • كذلك الرغبة في التغيير الاجتماعي •

وعليه يمكننا القول (مع البرفسور ديفرجيه) ان هناك نوعين من العوامل ساهمت في نشوء الاحزاب الا وهي : ١ ـ برلمانية ٢ ـ خارجية •

آ ـ العوامل البرلمانية :

ان الاحزاب السياسية انما قامت بفضل نشوء الجماعات البرلمانية أو الكتل البرلمانية • فظهور (اللجان البرلمانية) انما كان سببا من الاسباب التي ادت الى نشوء الاحزاب •

---

(١) يرى البرفسور موريس ديفرجيه ان تاريخ الاحزاب السياسية في اوربا انما يرجع الى عام ١٨٥٠ •

صحيح ان المجالس السياسية وجدت قبل وجود الانتخابات ولكن الاخيرة تعد قطعا مظهرا اصيلا من مظاهر الحياة البرلمانية التي اقترن بها ميلاد الاحزاب السياسية الحديثة •

ولعلنا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ، ان الاحزاب في الماضي انما قامت لتكون جهازا انتخابيا نواتها اللجان الانتخابية • ولقد كانت الاحزاب تابعة وخاضعة الى سيطرة الكتل البرلمانية أو الى سيطرة قادة برلمانيين بارزين • حتى اذا ما ظهر الصراع الطبقي تبدلت الاحزاب من اجهزة انتخابية وأصبحت اجهـــزة صراع وكفاح !

ففي ظل الحياة البرلمانية ولمدة طويلة كانت الاحزاب تحيا حياتها مع البرلمان دونما تفريق كما يقول اوسترو كورسكي[1] •

وكانت الاحزاب في الغالب انما تمثل مصالح اقليمية متصارعة اكثر من كونها احزابا تمثل قواعد شعبية عريضة • حتى اذا ما جاء قانون عام ١٨٣٢ فان الامر في بريطانيا قد تبدل وتغير ، اذ رافق صدور هذا القانون ظهور تنظيمات حزب مركزي تعدى تأثيره وفعاليته لندن لتشمل المملكة كلها • وأول هـــذه التنظيمات انما هو نادي كارلتون الذي انشأه المحافظون • ومما يجدر الاشارة اليه ، ان الجماعات البرلمانية انما قد وحدها وشد بعضها الى البعض الآخر عوامل عدة لعل اهمها :

آ ـ المصلحة ب ـ وحدة الفكر ج ـ الاقليمية د ـ عامل المهنة •

اذ ليس من شك في ان المصلحة هي التي دفعت اللجان أو الجماعات البرلمانية لتتفق فيما بينها لتكسب تمثيل المناطق •

ويروى لنا التاريخ ، ان الجماعات المحلية كانت ـ وهي متأثرة بعوامل نابعة من المنطقة التي يمثلونها ـ قد أسهمت في ميلاد أحزاب سياسية وعلى سبيل المثال

(1) M. Ostrogorski — Democracy and the Organization of Political Parties. Volume 1: England, 1964, p. 70.

نذكر ان ممثلي المناطق أو الاقاليم المختلفة في فرنسا والذين كانوا يفدون الى فرساى ، قبل الثورة الفرنسية حيث يجتمعون هناك ليتذاكروا شؤون المنطقة وليسهموا في الدفاع عن المصالح الاقليمية التي يمثلونها • قد استأجروا (مقهى) يعقدون فيها اجتماعاتهم • وبمرور هذه الاجتماعات نشأت فيما بينهم وحدة الرأي تغذيها مشاعرهم الواحدة النابعة من مصالح الاقليم الذي يمثلونه • وكيف انه وبمرور الايام كانوا ينتقلون بعد مناقشتهم للمسائل الاقليمية الى المسائل العامة ذات الصبغة الوطنية • وهكذا صارت هذه الجماعة البرلمانية كتلة حرصت على ضم مختلف العناصر من الاقاليم الاخرى كلما وجدوا فيها ميلا في الاتفاق أو رأيا يتفق مع آرائهم وفكرة شبيهة لفكرتهم في حكمهم على القضايا العامة • وهكذا ولد ما يعرف بنادي (بريتون) •

حتى اذا ما انتقلت الجمعية الوطنية الفرنسية من فرساى الى باريس ، أصبح لزاما على النادي المذكور أن يجد مقرا يعقد فيه اجتماعاته ، ولما لم يجدوا (مقهى) ليتخذوها مقرا لهم ، فانهم ـ مدفوعين بعامل الضرورة واحكامها ـ قد اتخذوا احد الاديرة مقرا ،وعرف المجتمعون باسم (اليعاقبة) اقتباسا من اسم الدير ! وليس بيننا ـ من قرأ التاريخ الفرنسي ـ من لا يعرفه !

اما عامل المصلحة ، فمما لا ريب فيه هو ان كل نائب انما يحرص على دوام نيابته واستمرار تمثيله للبلاد •

ومن كان ليس عضوا في البرلمان ، فانه يعمل جاهداً ومجتهدا الى حد الاندفاع في صيرورته نائبا في المجلس • وليس الامر يقف في عامل المصلحة عند حد النيابة فقط بل هو حكم ساري على كل نشاطات الانسان وتطلعه تحقيقا لاهدافه التي بها يؤمن •

ب ـ العوامل الخارجية :

يمكننا القول بان الجمعيات الفكرية وكذلك النقابات والجمعيات السرية كلها قد لعبت ادوارا واضحة في تكوين الاحزاب السياسية •

فللتدليل على دور الجمعيات الفكرية في تكوين حزب سياسي ، نجد أن الجمعية (الفابية)[1] وهي جمعية فكرية اسهمت الى حد كبير وملحوظ في تكوين حزب العمال البريطاني (الحزب احاكم في بريطانيا الآن) •

كذلك اسهمت النقابات المهنية في تكوين نفس الحزب (العمال) •

اما بالنسبة الى النقابات فلقد لعبت النقابات الفلاحية والتعاونية دورا هـاما في تكوين الاحزاب السياسية اذ اسهمت في تكوين الاحزاب الفلاحية في الدول الاسكندنافية وأوربا الوسطى وسويسرا واستراليا وكندا •

كذلك لعبت الكنيسة دورها الكبير في نشوء كثير من الاحزاب السياسية • ففي الدول المنخفضة وعلى أثر ظهـور المذهب (الكالفيني) ، نشـأ حزب سياسي من المؤمنين بافكاره وآرائه ليقف في وجه حزب المحافظين الكاثوليكي •

ولقد أسس البروتستانتيون حزبا سياسيا ليقف هو الآخر في مواجهـة الكاثوليك وكذلك لمواجهة اتباع المذهب الكالفيني •

ولا نكران ما للافكار الدينية من أثر في تـكوين الاحزاب السياسية في أواخر عهد الخلفاء الراشدين وبعده • كذلك (جمعية الاخوان المسلمين) فانها مثل باهر الوضوح على ما نقول • كذلك تعتبر جمعيات المحاربين القدماء عاملا من العوامل الخارجية في نشوء وتكوين الاحزاب السياسية • فلقد كان دور هـذه الجمعيات كبيرا في ميلاد الاحـزاب الفاشية والنازيـة في كل من ايطاليـا والمانيا • وفي فرنسا قام حزب في عام ١٩٣٦ يحمل اسم (الحزب الاشتراكي الفرنسي) وما هو في الحقيقة الا جماعة من المحاربين القدماء •

---

(١) جمعية اصلاحية تأسست في انكلترة عام ١٨٨٤ • وترجع هـذه التسمية الى قائد روماني اسمه فابيوس (القرن الثالث قبل الميلاد) عرف بخطة (الانتظار) وتجنبه ما امكن الاحتدام في معارك حاسمة مع اعدائه • والجمعيـة الفابية تضم المثقفين البرجوازيين • ولقد وصفها لنين بانها تمثل اتجاه الانتهازية المتطرفة !

وتعتبر الجمعيات السرية ايضا من العوامل الخارجية لتكوين الاحـــزاب السياسية فكثيرا ما تقوم منظمات وجمعيات سرية لا يبيح لها القانون حق ممارسة نشاطاتها المختلفة ، فتعمد الى العمل السري وتتخذه أساسا لتحقيق اهدافها في قلب نظام الحكم وتغيير السلطة فيها أو تأخذ على عاتقها العمل على اشعال نار تحررية ضد السلطة الاجنبية • ومن الامثلة الواضحة على ذلك (الحزب الشـــيوعي الروسي) •

كذلك جبهة التحرير الجزائرية ، فلقد كانت منظمة سرية حتى اذا ما اندلعت الحرب التحريرية في الجزائر ، واستطاع هذا البلد العربي ان يحقق استقلاله بفضل ثورته المعجزة انقلبت المنظمة الى حزب سياسي بعد ان كانت منظمة سرية •

كذلك ينطبق القول على الحزب الشيوعي الروسي فانه كان يمارس نشاطه السياسي سرا حتى اذا ما نجحت الثورة وسيطر الثوار على الحكم ظهر حزبا سياسيا • وهناك امثلة أخرى في هذا السبيل •

ولربما يتساءل سائل ترى ما هي اسباب التأخر في نشوء النظام الحزبي ؟ ان اسباب ذلك كما أوضحها البروفسور ماكيفر تعود «الى الطابع الطبقي للدول التي نمت فيها الديمقراطية•وهذا الطابع اشد ما يكون بروزا في الطور الاوليغاركي الذي يسبق الطور الديمقراطي في هذه الدول • ففي هذا الطور الاوليغاركي تطغي المنافع الطبقية ، وتصبح المعارضة لذوي القدرة مقاومة من قبل الطبقات المستضعفة لاضطهاد الطبقة الحاكمة • ويظل التنظيم الحزبي متعذرا ، ما دامت الطبقيـــة مستفحلة الى هذا الحد • ولا يمكن ان ينمو هذا التنظيم الا بعد ان ينجلي التمييز بين الطبقة والحزب »[1] •

---

(١) روبرت • م • ماكيفر ـ المصدر السابق ـ ص/٢٦٢ •

المبحث الثالث

الحياة السياسية والقوى المتصارعة

قلنا ان الحياة صراع ومعركة • يتلاقى على أرضها متصارعون يختلفون في ألوانهم ومشاربهم ومعتقداتهم وقد يكون المتصارعون افرادا كما قد يكونوا جماعات • كذلك الصراع فانه تارة مكشوفا وعلنيا وأخرى مستورا خفيا !

ولقد قضت نواميس الطبيعة ان البقاء للاقوى وللاصلح • فالحياة معركة تجري بين قوى الخير وقوى الشر • بين الضعيف والقوى ، بين من يملك ومن لا يملك • كل ينافس الاخر ويريد ان يكون السبق له في هذه الحياة الدنيا •

والبشرية قد جنت خيرا وفيرا ، بعد ان ضحت كثيرا ، من ذلك الصراع وتلك المنافسة •

ان المجتمع حيث تعيش فيه قوى متصارعة : مؤمن طيب ، وكافر فاسد لابد لهما من ان يتصارعا ويتنازعا ليظهر الايمان ساطعا وليسقط الفساد صريعاً •

فلولا الشر لما عرف الخير ، ولولا الظلمة لما عرف النور ، ان تنازع الاشرار مع الاخيار ، وتصارع القوى المؤمنة مع القوى الباطلة ، انما يزيد في تعلق الناس بالخير وكراهيتهم للشر ويدفعهم الى التمسك بالفضيلة والعمل على اجتثاث الرذيلة •

قال الله في كتابه العزيز :

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض »[1] •

هكذا الحياة يتدافع ابناؤها نزاعا وصراعا ومنافسة • كل يعمل ما قدر له ان يعمل وما هو قادر عليه • والبشر مختلف الوانه كذلك مختلف عقائده •

---

(١) سورة البقرة ـ الآية (٢٥١) •

والانسن يعيش دوما يتطلع طموحا الى غايات واهداف ، وقد يسيطر عليه طموحه فيسير في الحياة بلا هداية ولا دراية الا ما توحي به نفسه من سوء وان النفس لامارة بالسوء •

هكذا الحياة اذن : صراع يقوم بين البشر ليدوم • وهكذا يتدافع الناس حتى ينصلح أمرهم •

وحياة الاحزاب السياسية صراع دائم • كل حزب بما لديهم فرحون • وكل يدعى ان الحق بجانبه وانه يمثل الاغلبية من الناس •

وليست الحياة السياسية وقفا على الاحزاب بل ان هذه الحياة تشارك فيها النقابات واجهزة الاعلام والمعتقدات كذلك تؤثر في الصراع الانتماء الطبقي والتكوين الاجتماعي والعوامل الدينية والعنصرية والاقليمية والى غير ذلك •

ولما كانت الحياة السياسية صراعا فان القوى المالكة للسلطة ترى في هذا الصراع شرا لانها تريد ان تستمر في انتفاعها بالسلطة والقوى المملوكة ترى في هذا الصراع خيرا لانه سبيلها الى التحرر مما هي فيه من ظلم وذل ومسغبة •

الفرع الاول

الصراع السياسي

من الجلي الواضح ان السلطة تحاول جاهدة ومجتهدة ان تستمر وتبقى • ولكي تبقى لابد لها ان تكون قوية ومتجددة • ومن الواضح الجلي ان القـــوة ليست باستعمال العنف وانما قوتها تأتي من شعبيتها ومقدار ثقة المحكومين بها •

ولما كانت السلطة تحاول ان تبقى حيث هي • وان هناك قوى اخرى تحاول الصعود لتمتلك السلطة ، فان الصراع دائر لا محالة بين السلطة التي تريد أن تبقى في القمة دون هبوط من جهة وبين القوى الجديدة التي تريد الصعود الى السلطة •

ولما كانت السلطة ايضا بطبعها أو بطبيعتها تفسد فان تجديدها أمر لازم وضروري • ان الجماهير تعبر عن رأيها في السلطة رضا أو سخطا حبـــا أو كراهية ، وهذه المشاعر انما هي انعكاسات الجماهير نحو السلطة • فلكم سخط شعب على حاكميه ولكم خشى الحكام من سخط الشعوب• وعليه فان الصراع يدور دوما وابدا ما بين الحاكمين وما بين المحكومين • بين الدولة والشعب • وعليـــه فان احتمالات تغيير هذه السلطة يكون امرا محتملا ووشيك الوقوع •

ذلك ان « الدولة ما هي الا جهاز قدير على استعمال السلطة والقسر ، مكونة من خبراء ومختصين في النظام والصالح العام • وهي آلة لخدمة الانسان[1]» فان هي خرجت عن ذلك ، شق الناس عليها عصا الطاعة •

والحياة السياسية ليست بعد كل هذا وذاك قاصرة على النصوص الدستورية• ان للحياة السياسية جانبا حيا متحركا يتمثل في القوى المتصارعة •

ويجدر بنا اذن ان نتساءل عما اذا كان طرف الصراع واحدا أو ان هناك اطرافا متعددة ؟

---

(1) Jacques Maritain — L'Homme et L'Etat — P.U.F. 1953, p. 12.

ثم ما هي سبلها في هذا الصراع وهل هناك انواع عدة للصراع وما هي ؟

يمكننا القول ان للصراع السياسي انماطا متعددة منها :

آ ـ صراع فردي وصراع جماعي •

ب ـ صراع أفقي وصراع عمودي •

جـ ـ صراع مفتوح علني وصراع مستور خفي •

وفيما يلي من سطور ، سنحاول وباختصار دراسة هذه الانماط من الصراع السياسي •

آ ـ صراع فردي وصراع جماعي :

قد يتصارع أفراد فيما بينهم للحصول على السلطة أو الحصول على امتيازات هذه السلطة ، كأن يحاول احدهم ان يكون (وزيرا) أو (قائدا للجيش) أو (نائبا) •

هذا النوع من الصراع يسمى (صراع جماعي) لانه يتمثل في رغبة رجال هم في الغالب سياسيون للحصول على مراكز تضفي عليهم صفة السلطة •

ان الصراع الذي يدور حول السلطة أو التمتع بامتيازاتها انما هو في الاصل صراع جماعي •

اما الصراع الفردي فهو الذي يكون على مستوى المحكومين وليس الحاكمين •

فقد يتسابق متسابقون لغرض الحصول على (وظيفة : بائع تذاكر) فهنا الصراع فردي لانه لا يمثل السلطة في قمتها •

وفي الحقيقة فانه ينبغي القول مع البروفسور ديفرجيه بان الفصل بين الاثنين دقيق ، لان الفصل بين الحاكمين والمحكومين ليس واضحا عند التفصيلات هو الآخر •

ويمكننا ان نضيف قائلين بان الصراع الجماعي انما يدور في الاصل بين منظمات كالاحزاب والنقابات والطبقات الاجتماعية والى غير ذلك (كجماعات الضغط مثلا) •

ونظرة المعنيين بدراسة الحياة السياسية تختلف فيما يخص الصراع الجماعي والفردي واهميتهما فهناك نظرة (يمينية) كما ان هناك نظرة (يسارية) .

فاليمين يرى في الصراع السياسي انه صراع فردي أو بين افراد ليس غير ! واليسار يرى في الصراع السياسي انه صراع جماعات وجماهير .

ولكن كلاهما يتفق في ان الصراع الآخر انما هو صراع ثانوي . بمعنى ان اليسار يرى في الصراع الفردي صراعا ثانويا بينما يرى اليمين في الصراع الجماعي صراعا ثانويا .

ب ـ صراع أفقي وصراع عمودي :

الصراع الذي يدور بين الافراد أو بين الجماعات لغرض السيطرة على السلطة أو المشاركة فيها أو التمتع بامتيازاتها انما هو صراع افقي .

واذا كان الصراع مستمرا كأن يكون ما بين القادة والجماهير ، فان هذا النوع من الصراع انما هو صراع عمودي .

ج ـ صراع مفتوح علني وصراع مستور خفي :

لما كانت الانظمة السياسية مختلفة في هذا العالم ، وان لكل نظام سياسي نظرته الخاصة في الصراعات السياسية والحريات العامة . لذا فان هناك نوعين من الصراع هما صراع مكشوف علني وصراع مستور خفي .

ففي ظل الانظمة الغربية ، الاصل فيها ان النزاع ظاهر ومفتوح ، وفي الدول الديكتاتورية يكون الصراع مستورا وخفيا .

ففي الغرب ، تقوم الحياة السياسية في الظاهر على انها مفتوحة وليس مغلقة ، اذ تتبارى الاحزاب والنقابات فيما بينها كذلك يمثل البرلمان وجها رسميا للصراعات السياسية ويقود الصراع السياسي في الدول الغربية الاحزاب السياسية وجماعات الضغط وكذلك وسائل الاعلام .

ولكن كما قلنا في حديثنا عن ديمقراطية الغرب ، انها ديمقراطية رأس

المال • كذلك الحياة السياسية فانها تجري حقا تحت الشمس وفي وضح النهار ولكن الشمس التي تسطع فوقها انما هي شمس (الدولار) أو (البارون) ! بمعنى ان رأس المال يمارس هو الآخر تأثيره الكبير والفعال في المعركة السياسية أو في الصراع السياسي •

ولسنا في حاجة الى القول ان الهدف من الصراع السياسي انما هو قطعا لاعتبارات منها ما كانت اقتصادية ومنها ما كانت لاعتبارات نفسية ومنها ما كانت لاعتبارات معنوية •

ان السلطة والقبض عليها تمنح القابض مالا وفيرا وتمنحه مجدا ورصيدا وتمنحه ايضا شعورا نفسيا يطفي شهوته الى السلطة والتمتع بها •

ثم كثيرا ما تسيطر على بعض الناس الرغبة في السيطرة ، وهو يرى في السلطة سبيله الوحيد لتحقيق رغبته ، فلذا تراه يندفع اندفاع من رشف الكؤوس في سبيل الوصول اليها مهما كان الثمن !

الباب الثاني

الهيكل العام للاحزاب السياسية

الفصل الاول

البنـــاء الحزبي

ليست كل الاحزاب متشابهة من حيث هيكلها العام • ذلك ان لكل حزب طبيعة خاصة به، يتأثر بالواقع الاجتماعي الذي فيه يعيش ليمارس نشاطاته الحزبية•

والاحزاب السياسية لا تتشابه أيضا من حيث عناصرها أو وحداتها الاساسية وكذلك من حيث الارتباط •

ويمكننا القول بأن هناك انواعا أربعة للاحزاب السياسية •

لكل نوع منها وحدات أساسية خاصة بها تخالف الوحدات الاساسية الاخرى لحزب آخر • ولها ايدلوجية معينة لا تشابه ايدلوجية الاحزاب الاخرى •

ان الاحزاب السياسية ، منظورا اليها من وحداتها الاساسية ، تنقسم الى أربعة انواع هي :

١ ـ الاحزاب المحافظة •

٢ ـ الاحزاب الاشتراكية •

٣ ـ الاحزاب الشيوعية •

٤ ـ الاحزاب الفاشستية •

وسوف نحاول فيما يلي من صفحات ان نلقي نظرة على كل نوع منهـــا محيطين بخصائصها العامة •

المبحث الاول

الفرع الاول

الاحزاب المحافظة

ان الذي يمثل الاحزاب المحافظة هما حزبا المحافظين والاحرار في بريطانيا وكذلك الاحزاب الامريكية •

ولقد كانت بريطانيا الارض الخصبة التي قامت فيها الديمقراطية ونشأت معها الاحزاب •

فهناك من يزعم بان بريطانيا قد عرفت ثنائية الحزبين منذ أمد طويل وان المعارضة الحقيقية انما يرجع تاريخها الى الحرب الاهلية فيها[1] •

فالتاريخ البريطاني يحدثنا كيف ان انتصار الملكية على عهد (تيودور) في القرن السادس عشر كان خاتمة المطاف للصراع الذي كان دائرا بين الطبقة النبيلة وبين حزب البلاط الملكي •

ولقد كتب احد المعلقين السياسيين كاردنر عام ١٦٤١ قائلا :

« ان هناك حزبين كانا متعارضين في مجلس العموم » •

والامر الذي ليس فيه شك ان الاحزاب الحديثة في بريطانيا انما تكونت بموجبه لائحة الاصلاح لعام ١٨٣٢ • ولقد كانت أول حكومة حزبية تكونت في بريطانيا برئاسة بت (Pitt) الثاني في عهد جورج الثالث»[2] •

كذلك يحدثنا التاريخ ان القرن السابع عشر كان بداية منافسة ما بين التـــوريز (Tories) وبين الويكز (Whigs) ، وكيف ان حزب المحافظين

---

(١) الحرب الاهلية بدأت عام ١٦٤١ وانتهت عام ١٦٤٨ •

(2) Mabileau et Merle — Les Partis Politiques en Grande-bretagne — P.U.F., 1965, p. 11.

وحزب الاحرار ومعارضتهما الشديدة ما هي الا ابتداء المنافسة بين التوريز والويكز .

ولقد سيطرت المنافسة بين المحافظين والاحرار على التاريخ السياسي البريطاني حتى اذا ما بدأت بوادر القرن العشرين تلوح ، ظهر حزب العمال ، الذي سرعان ما أخذ مكانه على المسرح السياسي . ولقد شهدت بريطانيا ضمور نفوذ حزب الاحرار وظهور وزيادة نفوذ حزب العمال حتى انتهت بان اصبح الطرف الثاني سيطرة على الحياة السياسية في بريطانيا ووصوله الى السلطة غير مرة ، علما بانه الحزب الحاكم فيها في الوقت الحاضر .

والذي ينبغي ان يقال في هذا المجال ، هو ان الاحزاب البريطانية لم تكن في الماضي احزابا دقيقة التنظيم ، اذ كان يسيطر على الاحزاب النبلاء والاعيان . بل ان (تنظيم الاحزاب حتى عام ١٩٦٨ كان تقريبا مظهرا صرفا لتجمع السراة »[١] .

وكانت الخلافات فيما بين الاحزاب دينية في جزء منها ، واقتصادية في جزء آخر ، وفي احوال أخرى انما تعود الى التقاليد العائلية ومالها من آراء معينة ازاء المشكلات العامة .

ولطالما سيطرت الخلافات الدينية على الاحزاب البريطانية ، وفي الحقيقة فان الصراع ما بين التوريز والويكز انما هو صراع يعود في أصله الى خلاف ديني بينهما .

ذلك ان التوريز انما كانوا يدافعون عن الكنيسة الانكليكانية وكذلك الامتيازات الملكية . في حين ان حزب الويكز كانوا يدافعون عن الحرية الدينية وكذلك حقوق البرلمان . وهكذا فان هذا الخلاف انما كان ايذانا بميلاد حزبين متناقضين ، يناهض احدهما الآخر :

---

(١) Max Weber — Le Savant et le Politique — 1959, p. 144.

الاول يدافع عن مصالح الملك واتباعه ولذا فانه (حزب البلاط) أو (حزب التاج) • والآخر يدافع عن المصلحة العامة لذا فانه (حزب البلد) •

ولكن ليس من شك ايضا في أن للعوامل الاجتماعية والاقتصادية أثرا بعيدا وعميقا في الخلاف ما بين الحزبين • ذلك ان حزب (البلاط) انما يمثل اصحاب المقاطعات فهم طبقة الارستقراطية والآخرون يمثلون الطبقة البورجوازية • وهكذا قدر لهذا الخلاف ان يدوم قرابة قرنين •

ولابد لنا من القول في هذا المقام ان الاثنين لا يمثلان ـ حقيقة ـ حزبين كما هو المفهوم العلمي الحديث للحزب ، وانما كانا يمثلان أجنحة برلمانية وانتخابية • وكما رأينا في موضوع نشوء الاحزاب السياسية ان الاحزاب قد نشأت مع ظهور البرلمان • أو كما قال جراهام والاس :

« ان الحزب هو اكثر الموجودات السياسية تأثيرا في الدولة القومية الحديثة • وقد ظهر في الوجود مع ظهور الحكم النيابي على نطاق واسع ، ولم يعرقل نموه أي تقاليد قانونية أو دستورية ، وهو يمثل انشط المحاولات التي قام بها الناس لجعل انظمتنا السياسية ملائمة لحقائق الطبيعة البشرية الدافقة »[1] •

وما كانت لهذين الحزبين من اهداف عامة وانما كانت تدفعهم المصلحة التي سيطرت وهيمنت على الحياة السياسية •

علما بان الويكز ـ وكما جاء على لسان بيرك (Burke) كان يرى ضرورة أن يحكم الوزراء معتمدين على تأييد البرلمان ووفق منهج عام •

ويمكننا ان نقول ان وصول (Pitt) الى الحكم بوصفه رئيسا لحزب ، كان ايذانا بميلاد الاحزاب الحديثة في بريطانيا •

ولقد اصبح حزب التوريز يسمى حزب المحافظين وحزب الويكز حزب الاحرار •

---

(١) جراهام والاس ـ المصدر السابق ـ ص/٧٨ •

بعد هذه اللمحة السريعة لتاريخ الحزبين في بريطانيا ، فانه آن لنا الدخول لمعرفة خصائص الاحزاب المحافظة بصورة عامة وموجزة •

خصائص الاحزاب المحافظة :

من الملاحظ ان هذه الاحزاب تنصب اهتماماتها على نخبة من الناس تمتاز بمكانتها الاجتماعية البارزة أو بامتلاكها لثروات ضخمة أو بانتمائها الى طبقة لها رصيد ضخم من المكانة الاجتماعية وكذلك المستوى الثقافي • فهذه الاحزاب ـ المحافظة ـ لا تتطلع الى الجماهير الشعبية قط ، وهي خلوة من ايدلوجية معينة ، وطريق الاتصال بين الحزب والمنضمين اليه يتم عن طريق اللجان • اما ميزانية هذه الاحزاب فهي تقوم أساسا على المنح والهبات التي تأتيها من الاعضاء ذوى المكانة البارزة والثراء المعروف • اما نشاطات هذه الاحزاب فهى دورية وليست مستمرة تتعلق بالاهتمام بالمشاكل السياسية وكذلك في حالة اجراء انتخابات عامة أو جزئية • كذلك يلاحظ على الاعضاء الداخلين في نطاق هذه الاحزاب كونهم مدفوعين بعامل (المصلحة) اذ جل اهتمامهم انما ينصب على المحافظة على مصالحهم الخاصة والاحتفاظ بمراكزهم الممتازة في المجتمع •

كذلك هناك عامل آخر يعمل هو الآخر أثره في دفع قسم من الناس الى الانتماء الى هذه الاحزاب الا وهو عامل البيئة ، فنجد ان عنصر ـ الاعتياد ـ هو الآخر سبيل يدفع (الخلف) الى الانتساب الى حزب (السلف) فكثيرا ما يسير الناس اقتداءا ـ على آثار القدامى •

ولا جدال في ان الاحزاب البريطانية تشكل السمة البارزة بل انها اكثر السمات وضوحا وتأثيرا في النظام السياسي البريطاني • بل ليس في الامكان دراسة هذا النظام الا بدراسة النظام الحزبي فيه والذي يقوم على ثنائية الحزبين•

لقد كان حزب المحافظين وحزب الاحرار قطبي الصراع السياسي في بريطانيا كما اسلفنا ذكره ، أما اليوم فقد ظهر حزب العمال ـ كقوة ثانية ـ تسيطر على الحياة السياسية البريطانية بعد أن زال نفوذ حزب الاحرار تدريجيا

نتيجة لظهور حزب العمال الذي ترجع نشأته الى عام ١٩٠٠ • ومن المفيد الاشارة الى ان حزب العمال لم يتبع الطريقة التقليدية في نشوء الاحزاب البريطانية التي تقوم على أساس الكتل البرلمانية وانما قام نتيجة حركة شعبيـــة بعد قيام الثـــورة الصناعية في بريطانيا مطالبا باصلاحات اجتماعية وسياسية واقتصادية • ولكن يجدر بنا ان نشير ايضا الى ان هذا الحزب كسابقه حزب المحافظين – ينزع في سياسته الخارجية الى الاحتفاظ بمصالح بريطانيا الاستعمارية ولذا فانه لا يعد – قطعا – حزبا اشتراكيا •

أما وقد تكلمنا عن الاحزاب البريطانية ، التي هي – والاحزاب الامريكية – أمثلة ساطعة للاحزاب المحافظة ، فانه اكمالا للبحث ، يتعين علينا دراسة الاحزاب الامريكية ، ملقين عليها نظرة سريعة •

الاحزاب الامريكية :

اول شيء يلفت نظر الباحث في دراسة الاحزاب الامريكية كونها تختلف اختلافا أساسيا عن الاحزاب الاخرى ، ذلك ان الولايات المتحدة الامريكيـــة تنقسم الى ولايات متعددة تبلغ (٥١) ولاية ولكل ولاية نظامها وقانونها الخاص بها ثم ان علاقة هذه الولايات بالحكومة تؤدي الى تشدد هذه الولايات حرصا على مصالحها وهذا ما يدفعها الى الايغال في الحزبية •

ثم ان الولايات المتحدة الامريكية انما يقوم نظامها السياسي على فصـل السلطات ، كذلك طبيعة الولايات نفسها وعلاقتها بالحكومة كلها عوامل تسهم اسهاما كبيرا في تقوية الروح الحزبية فيها •

والاصل في الاحزاب الامريكية انها احزاب اقليمية محلية بحتة وليسـت احزابا على المستوى القومي للبلد • ولما كانت هذه الاحزاب محلية فان هـذه (المحلية) عامل يغذى ويقوى الحزبية • لانها تقوم على المصلحة فحسب • ذلك ان الولاية انما هي الوحدة المهمة والاساسية في عمليات الانتخاب • وفي الحقيقة ان الذى يسيطر على الحياة الامريكية انما هي المصالح المادية البحتة • ومـــا الحزب الا رابطة شكلية للفوز برئاسة الولايات المتحدة الامريكية •

والشيء الجدير بالملاحظة والاشارة اليه هو ان الشعب الامريكي خليط من جنسيات متعددة مختلفةوبالتالي فانه شعب يفتقد الى وحدة (بيولوجيه)وكذلكوحدة (ايديولوجية) • غير ان الاستغلال والسيطرة (وحدة المصلحة) هي التي تجمعهم • والشيء الذي ليس فيه ريب هو ان عامل (المصلحة) هو الذي يسير الولايات المتحدة وهو الذى يشد العناصر المختلفة المكونة لشعب الولايات المتحدة بعضها بالبعض الاخر •

والولايات المتحدة الامريكية تعرف نظام (ثنائية الحزبين) على الرغم من وجود احزاب متعددة وجديدة • فنظامها الحزبي يشابه النظام الحزبي البريطاني• غير ان الاول يختلف عن الثاني في بنائه ووظيفته •

ويقول البروفسور ماكيفر بان الولايات المتحدة قد اظهرت مقدرة فريدة على الاحتفاظ بالنظام الحزبي الثنائي بالرغم من تحديات الاحزاب الجديدة التي نشأت في مختلف الاوقات • والسبب في ذلك الوظيفة المزدوجة التي يؤديها هذا النظام على المستويين الفدرالي والمحلي • فيقرر على المستوى الاول مصير الحكومة الفدرالية على اساس مبدئي • واما عمله المحلي والاقليمي فانه يمتد للولايات كلها عبر مسافات قارية تعكس مظاهر كثيرة للتنوع الاجتماعي والثقافي • ويتطلب حكم هذه المنطقة الادارية الشاسعة نفقات مالية عامة واسعة ومتنوعة • فيتجه الصراع الحزبي المحلي نحو وضع اليد على هذه النفقات اكثر مما يتناول المبادىء • ويكون غالبا ـ الاتفاق في المبدأ بين الحزب المحلي والوطني عرضيا وتقليديا • فما الحزب ـ كما وصفه أحد الثقاة على المستوى الفدرالي ـ « ••• سوى رابطة واهية تسعى للفوز بالرئاسة »[1]

ان الاحزاب الامريكية خلوة من الايديولوجية ـ شأنها شأن الاحزاب المحافظة ـ وكذلك فانها مفتقدة الى اساس اجتماعي تقوم عليه • ذلك ان الاحزاب ـ كما قد درسنا ـ انما هي تعبيرعن الاوضاع الاجتماعية•وانعدام ما يعرف (بالطبقة

---

(١) ماكيفر ـ المصدر السابق ـ ص ـ ٢٧٠ •

الاجتماعية) سبب عدم قيام حزب اشتراكي فيها على الرغم من ان هذا النمط من الاحزاب قد غزا كافة انحاء المعمورة • ان الاشتراكية بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية مذهب دخيل ومستورد • فلم يعرف ـ كما يقول البروفسور كول ـ ان الولايات المتحدة الامريكية قد انجبت مفكرا اشتراكيا من طراز رفيع[1] •

ولعل من الطريف بمكان ان نذكر رأيا لوارنر سومبارت يقول فيه :

« لقد تحطمت سفينة الاشتراكية منذ زمن طويل على صخـــور الروزبيف وفطيرة التفاح »[2] •

ويسيطر على الحياة السياسية الامريكية سيطرة كاملة حزبان هما الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري •

وفي الاصل فان الصراع بين (الاتحاديين) و (اللااتحاديين) كان السبب والاساس في قيام هذين الحزبين • وهذان الحزبان خلـــوان من الايدلوجيـــة والعضوية فيهما ـ كما هو الحال في الاحزاب المحافظة ـ لا تقوم على أساس الكمية وانما على النخبة • وهي احزاب لا مركزية • ذلك ان كل ولايـــة مستقلة عن الاخرى وهي تتمتع باستقلالية كبيرة اذ كما يقول احد المؤلفين الامريكيين ان « التنظيم الحزبي في امريكا لا يقوم على أساس رئاسي ولكنه نظـــام مصاطب ، تستقل كل مصطبة (المدينة ، الولاية ، الدولة) عن المصاطب الاخرى »[3] •

ولكي نكمل الصورة عن الاحزاب المحافظة او الاحزاب الغربية (انكلترة وامريكا) يتعين علينا دراسة الاحزاب السياسية في اسرائيل أكمالا للبحث اولا ، واعمالا للقول المأثور (اعرف عدوك) ثانيا ولان كثيرا من الدراسات قد صدرت

---

(١) هـ • ج • تاريخ الفكر الاشتراكي ـ الماركسية والفوضويـــة ـ ص/٤٨٦ •

(٢) ورد في كتاب الاحزاب السياسية في امريكا ـ كليفتون روسيتر ـ ترجمة الدكتور احمد شنب/١٩٦٠ ص/١٠ •

(٣) نفس المصدر ص/١٥ •

في الغرب عن اسرائيل زاعمة ومصورة ان نظامها نظام ديمقـــراطي وان فيهـــا احزابا اشتراكية ثالثا .

وفيما يلي من صفحات سوف نحاول اعطاء صورة سريعة ولكنها مركزة عن الاحزاب السياسية في اسرائيل .

الفرع الثاني

الاحزاب السياسية في اسرائيل

نظرة عامة :

ان قيام اسرائيل ـ كدولة ـ في قلب أمتنا العربية حدث شاذ في التاريخ ، اذ لم يسبق له مثيلا • لقد قامت اسرائيل باطلا بالقوة في زمان كان الشعب العربي يعيش في غفلة من حقيقة أمره ، محكوما بأنظمة حكم خائنة ، وباستعمار جاثم فوق ارضه وبتخلف ضارب أطنابه في كل الارض العربية •

ان الاغتصاب لا يمكن ان يكون حقا ، ولقد اتبعت الدول الغربية اساليب قرصنة فرضتها القوة • وليس من شك في ان قيام هذه الدولة في قلب الامة العربية انما اغراضها توسعية واستغلالية ولكي تحول دون تحقيق ارادة الشعب العربي، ولتكون أداة الاستعمار في ضرب التحركات التحررية في الارض العربية تحقيقا لاهداف الامة العربية في الحرية والاشتراكية والوحدة •

لقد استطاع الصهاينة المجرمون ـ بالخداع حينا وبالقوة احيانا ـ ان يجدوا لانفسهم ـ باطلا ومن غير حق ـ ارضا ليقوموا عليها دولتهم • واذا كان الامر كذلك فما احرى العرب ـ وخصوصا عرب فلسطين ـ ان يعودوا الى ارضهم السليبة ماداموا اصحاب الحق فيها • ان ذلك لن يكون الا بالقوة والعنف الثوري الذي يقوم على الاستمرارية نضالا وقتالا ، تضحية وفداءا • وهذا ما تقوم به الان القوات الفدائية لتحرير الارض الفلسطينية •

ظهرت فكرة (الصهيونية) في القرن التاسع عشر مع ظهور الافكار الديمقراطية الغربية التي تنادي بالحرية والمساواة في المجتمعات الغربية • ولقد واكب ميلاد القرن التاسع عشر أفول الدين في اوربا بظهور حركة التسامح الديني ، غير ان اليهود حرصوا ـ كما هو شأنهم دائما ـ على عدم الاندماج في المجتمعات الغربية وغيرها خوفا من ذهاب حلمهم بأقامة دولة لهم (ان اقامة دولة

يهودية هدفه حفظ الشعب اليهودى من خطر التحرر والاندماج)[1] .

ولقد اقترن ظهور الصهيونية بأسم هرتزل ولكن لم يكن هرتزل اول الداعين الى اقامة وطن قومي لليهود اذ سبقه الى ذلك (ليون بنسكر) غير ان الاخير لم يذكر مكانا معينا لهذا الوطن . والصهيونية ـ كما هو معلوم ـ انما هي نسبة الى كلمة (صهيون) وهي اسم التلال التي قام عليها (بيت المقدس) وكان اول من استعملها رجل يهودي هو (ناثان برنبادم) .

وكان المؤتمر الاول للصهيونية العالمية الذى عقد في مدينة بال السويسرية هو الذى قرر انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

وهرتزل هذا يرى في قيام (الدولة اليهودية) ممثلة للحضارة الاوربية في الشرق . فلو تم لهم الحصول على فلسطين لصار اليهود (يشكلون انذاك جزءا من الرديف او السد الاوربي بوجه آسيا ، ومركزا طليعيا للمدنية ضد البربرية)[2] هكذا كان هرتزل يغازل المدنية الغربية لتكون أداة تحقيق قيام هذه الدولة !

ولقد تقرر في هذا المؤتمر العمل على :

١ ـ استعمار اليهود لفلسطين .

٢ ـ انشاء منظمة تربط يهود العالم بوساطة مؤسسات تابعة لها في كل بلد فيه يهود .

٣ ـ تقوية الشعور القومي اليهودي .

٤ ـ الحصول على موافقة حكومية لتحقيق هدف الصهيونية .

ولقد حرص الصهيونيون على تحقيق اهدافهم بكل السبل والطرق فقاموا بالاتصال بقيصر المانيا ففشلوا ثم اتصلوا بالخليفة العثماني فكان نصيبهم الفشل

---

(١) ناحوم جولدمان ـ ورد في كتاب اسرائيليات ـ احمد بهاءالدين ـ دار الهلال ص/٩ .

(٢) انجلينا الجلو ـ عوامل تكوين اسرائيل ـ دراسات فلسطينية ـ ١٩٦٧ ، صص/٢١ـ٢٢ .

ايضا فتوجهوا الى انكلترة حيث استطاعوا الحصول على (تصريح بلفور) بأقامة وطن قومي لليهود عام ١٩١٧ .

لقد صدر هذا التصريح حاملا وعد بريطانيا التي لم تكن تملك الامر في فلسطين الى اليهود بأقامة وطن قومي لهم . وليس هناك اروع من وصف الرئيس جمال عبدالناصر له حين قال (أعطى وعدا من لا يملك الى من لا يستحق) !

وكانت بريطانيا تهدف من وراء اقامة اسرائيل لتكون مقرا وممرا للاستعمار لحماية مصالحه في الشرق (المصالح البترولية ، قناة السويس) ولضرب الحركات التحريرية في الوطن العربي (احداث ١٩٥٦ و ١٩٦٧ قاطعتا الدلالة على ما نقول) .

لقد أتبعت اسرائيل منذ قيامها حتى الان اسلوبا عنصريا تتضاءل امامه اساليب النازية واننا لنترك الكلام الى المؤرخ الكبير أرنولد توينبي اذ يقول :

« ان اشهر الذين يزعمون انهم شعب مختار هم اليهود . فالحركات الصهيونية والنازية سواء في ادعاء هذه الصفة العنصرية غير الصحيحة .

ان الحركة الصهيونية قد جمعت بين جنبيها اسوأ ما في الحضارة الغربية : القومية العمياء والاستعمار ! فأن استيلاء الحركة الصهيونية على بيوت واراض وأملاك ٩٠٠ الف عربي في فلسطين ، هم الان لاجئون ليس أرقى من الناحية الاخلاقية من ابشع الجرائم التي ارتكبت خلال الخمسة قرون الاخيرة بواسطة الغزاة والمستعمرين . وهذا هو حكمي الاخير على تاريخ الصهيونية في فلسطين .

ان اليهود من بين كل شعوب العالم ، لهم اطول تاريخ في التعرض للاضطهاد . وقيام اليهود بتحميل طرف ثالث مسؤولية الاضطهاد الذى لاقوه على يد الغرب يشكك المرء في الطبيعة الانسانية كلها »[1] .

ليس من العدالة في شيء قيام النازية بأضطهاد اليهود ، ولكن انه لظلم صارخ

---

(١) ورد في كتاب – اسرائيليات – احمد بهاءالدين – ص/١٦٦ .

أن يدفع الشعب العربي ثمن ذلك الاضطهاد • لقد نشأت الصهيونية في أوربا • حيث اضطهدت الاخيرة اليهود ، وما كان الشعب العربي مضطهدا احد !

والعجيب في الامر ان يتباكى المعتدون الصهاينة المجرمون على الحقوق وخلفهم تقف مرددة الدعاية الغربية كلها هذا الادعاء على الرغم من بطلانه •

ان الثورة العربية الفلسطينية هي الرد الحاسم والعمل الملائم ليعيد الحق الى نصابه والى أهله وليسكت الى الابد الدعاوي الباطلة •

ان الثورة الفلسطينية جزء من الثورة العربية والثورة العربية جزء من الثورة العالمية بل ان الثورة العربية بتجاربها الغنية والعديدة متمثلة في ثورة (٢٣) تموز في ارض الكنانة والثورة الجزائرية والثورة اليمنية قد زودت الشعوب المغلوبة على أمرها دروسا في فن الثورة ، فلطالما ثار الشعب العربي ضد الاستعمار وضد التخلف وهو بثورته العربية في الجزائر قد قدم تضحيات زادت على المليون شهيد وهي ثورة فريدة من نوعها اذ جاء الفرنسيون وسكنوا الجزائر (١٣٢) عاما حتى اصبحت ـ في نظرهم ـ فرنسية ولكن الحق انتصر في النهاية لان الباطل دوما كان زهوقا !

والثورة الفلسطينية التي اججها ابناؤها تعطي لونا جديدا للثورات ، اذ جاء شعب بلا أرض واحتلوا ارض غيرهم وأجلوا شعبها • ان التجارب العديدة التي مرت بها الثورات العربية وما فيها من خصائص ترقى بالثورة العربية الى مصاف (ثورة عالمية) •

بعد هذه اللمحة السريعة ، نبادر بالدخول الى دراسة الاحزاب السياسية في اسرائيل •

الاحزاب السياسية في اسرائيل :

من طبيعة قيا مإسرائيل وتكوينها ، نبادر بالقول ان اسرائيل دولة حرب السلطة فيها عسكرية • وهذا القول بحد ذاته كاف ليدحض دعوى القائلين بان

اسرائيل بلد ديمقراطي • واننا قبل الدخول في هذا الموضوع يتعين علينا تبيان الخصائص العامة لهذه الاحزاب • وهذه الخصائص يمكن اجمالها فيما يلي :

١ ـ الظاهرة الاولى للاحزاب السياسية الاسرائيلية أنها نشأت قبل قيام اسرائيل :

من المعلوم ان الاحزاب السياسية انما هي تعبير عن واقع اجتماعي معين حيث تمارس فيه نشاطاتها • ولكن الاحزاب الاسرائيلية انما قامت في اوربا الشرقية (روسيا وبولونيا وغيرها) وعليه فان الاحزاب لا تمثل المجتمع الاسرائيلي وبالتالي فان وجودها ليس اساسيا في تقييم النظام •

٢ ـ الظاهرة الثانية للاحزاب الاسرائيلية انها متعددة :

كثرة الاحزاب في اسرائيل لا تعدم الحقيقة القائلة بان هذا التعدد انما هو في الشكل والمظهر وليس في المحتوى والجوهر • ذلك انها قامت كلها من اجل هدف واحد الا وهو تحقيق الاطماع الصهيونية •

٣ ـ الظاهرة الثالثة للاحزاب الاسرائيلية أنها ادوات عدوانية :

وهذه انما مستمدة من الظاهرتين الاولى والثانية ، ومن ثم فان تاريخ قيام هذه الدولة قاطع الدلالة على ما نقول •

٤ ـ انها احزاب متعددة النشاطات :

الاصل في الاحزاب انها تهدف اهدافا سياسية اما الاحزاب في اسرائيل فان لها أهدافا اخرى اجتماعية وسياحية ونشاطات رياضية •• الخ وهذا ما يؤكد كون هذه الاحزاب أنما وجدت لتجمع اليهود على أساس عنصري •

٥ ـ الظاهرة الخامسة أنها احزاب عنصرية :

لا يقبل في الاحزاب الاسرائيلية الا من كان يهوديا مؤمنا بقيام دولة اسرائيل والدفاع عنها •

٦ ـ الظاهرة السادسة انما هو تأثير العامل الديني على الاحزاب الاسرائيلية لذا فانها مركزية السلطة •

وهذا العامل الديني في الحقيقة انما مستمد من الصهيونية التي هي دين

جديد ، اذا جاز هذا التعبير وليست مستمدة من الدين اليهودي •

ان دولة قامت في ارض غيرها ، وارتضت لنفسها اغتصاب الارض وطرد أهلها لا يمكن ان تكون دولة ديمقراطية ، لان الديمقراطية انما هي حكم الشعب ، والحكم الذى يقوم في اسرائيل لا يعبر عن رضى الشعب الاصلى •

ثم اننا بعد ان ذكرنا الخصائص العامة لهذه الاحزاب ، ولما كانت هذه الاحزاب اداة عدوانية يحركها الحكم العسكري لذا فان اسرائيل ليست بلدا ديمقراطيا وان كان تعدد الاحزاب فيها ، لان هذا التعدد شكلي ولانها نابعة من عير الارض التي اغتصبتها الى جانب كون هذا الاغتصاب نفسه يدحض ادعاء القائلين بانها بلد ديمقراطي • ان اغتصاب شعب لشعب اخر لا يمكن ان يكون ديمقراطيا • اما كون اسرائيل بلدا اشتراكيا فان هذا الامر لا يدعو الى كثير من المشقة لتبيان باطله • يكفي ان اسرائيل في خدمة الاغراض التوسعية والاستغلالية للامبريالية العالمية •

ان الاستعمار العالمي ليقف كله خلف اسرائيل ، يمدها بالمال وادوات القتال ويعينها على البقاء بالقوة • فلو كنت اسرائيل بلدا اشتراكيا لما وقفت امريكا حامية الاستعمار في العالم خلفها • ان اسرائيل كما قال معلم جماهير امتنا العربية جمال عبدالناصر هي امريكا وامريكا هي اسرائيل •

المبحث الثاني

الاحزاب الاشتراكية

يجدر بنا قبل الحديث عن هذه الاحزاب ان نتعرض ـ ولو قليلا ولكن بصورة مركزة ـ الى كلمة اشتراكية • والحقيقة ان ليس هناك رأي ثابت يقطع بمن كان اول من استعمل هذه الكلمة : اشتراكية أو كلمة اشتراكي •

فالكتاب على هذا الامر مختلفون • فمنهم[1] من يذهب الى أن اول ظهورهما مطبوعين بالايطالية انما كان في عام ١٨٠٣ • ولربما جاء ذكرهما عرضا دون قصد أو غاية يرجوها كاتبها • ولقد أعقب ذلك فترة من الزمن كادت الكلمة أن تصبح نسيا منسيا لولا أن انصار (أوين) عادوا الى استعمالها من جديد حين استعملوا كلمة (اشتراكي) في مجلة التعاون ، وكان ذكرها هذه المرة عن قصد يراد به تأكيدهم على اتباع مبادىء روبرت أوين في التعاون أو التعاونية •

اما كلمة (اشتراكية) فكان اول ظهورها مطبوعة في مجلة فرنسة ـ لاكلوب ـ عام ١٨٣٣ • وهناك من يرى[2] أن أول ظهور لكلمة الاشتراكية انما كان عفويا في فرنسا وانكلترة ما بين عامي ١٨٣٠ـ١٨٤٠ • وكان معناها عاما من غير تحديد • فمثلا يرى (بيير ليرو)[3] انها ضد الفردية • في حين انها تعني بالنسبة (لاوين) نظام جمعيات تعاونية •

وكان (ريباو) قد كتب هو الآخر مقالة مسلسلة في مجلة (العالمين)وكان عنوان المقالة (الاشتراكيات الحديثة) حتى اذا ما جاء عام ١٨٤١ ظهر كراس مؤلف من قبل (روبرت أوين) وكان بعنوان : ما هي الاشتراكية[4] ؟

---

(١) ج • هـ • كول ـ تاريخ الفكر الاشتراكي ـ الرواد الاول ـ ترجمة عبدالكريم احمد ـ ص/٨ •

(2) Jean Touchard — Histoire Des Idees Politiques — Tome 2, 1959, p. 550.

(٣) P. Leroux من مقالة كتبها في مجلة الانسكلوبيديا في تشرين الثاني عام ١٨٣٣ •

(٤) What is Socialism?

وكلمة اشتراكية قد أثارت جدلا ونقاشا ـ ولا زالت تثير ـ كبيرين حول معناها الحرفي • وفي الحقيقة فان كلمة الاشتراكية (Socialisme) الفرنسية و (Socialism) الانكليزية و (Sozialismus) الالمانية انما معناها الحرفي هو (الاجتماعية) وليست الاشتراكية • أي مجموعة المبادىء التي تخص المجتمع والتي تهدف الى رفاهيته وتقدمه •

والاصل ان العبرة بالمقاصد والمعاني لا بالالفاظ والمباني ، وعليه فان الاشتراكية تعني مبادىء معينة تهدف الى خدمة المجتمع كليا • ولقد كان ظهور الافكار الاشتراكية مقترنا بتقدم الافكار الديمقراطية وحصول الشعوب على حقوقها بعد أن كانت منحا من الملوك •

يقول العلامة كول : « وكان لفظ « الاجتماعي » يستعمل في هذا المجال كمقابل للفظ « فردي » • فكان « الاشتراكيون » هم اولئك الذين يؤكدون أهمية العنصر الاجتماعي في العلاقات البشرية ، في معارضة التأكيد السائد لمطالب الفرد ، ويحاولون أن يدفعوا المشكلة الاجتماعية الى مركز الصدارة في الجدال العظيم حول حقوق الانسان ، وهو الجدال الذي اطلقته من عقاله الثورة الفرنسية والثورة الاقتصادية المصاحبة • وقبل ان تتداول كلمة اشتراكية « كان الناس يتحدثون عن النظم الاجتماعية » بنفس المعنى تقريبا • وكانت كلمة (اشتراكيين) تعنى اولئك الذين يدعون الى احد « النظم الاجتماعية » العديدة التي كان يناضل بعضها البعض وتتحد في نفس الوقت في عداوتها للنظام «الفردي» السائد في الاقتصاد ، للتفوق الذي كانت تحظى به المسائل السياسية على المسائل الاقتصادية والاجتماعية في وجهات النظر والاتجاهات المعاصرة عن العلاقات البشرية والتنظيم السليم للشؤون العامة »[1] •

والشيء الذى يذكر هو خلو هذه الاشتراكية من الصراع الطبقي • حتى

(١) ج • هـ • كول ـ المصدر السابق ـ ص/١٠ •

اذا ما حدثت حركة كراكوس بابيف[1] ، فان افكار الصراع الطبقي والبروليتاريا قد اخذت مكانها البارز في الافكار السائدة انذاك . صحيح ان الافكار الاشتراكية قد بدأت قبل الثورة الفرنسية ، بل ان هناك من يرجعها الى تاريخ قديم جدا يتصل باليونانيين ، فان الاستاذ (كول) يرى أن (سنة ١٧٨٩ نقطة بداية لدراسة نمو الافكار الاشتراكية) الحديثة[2] .

ثم يقول في موضع آخر « والواقع ان احداث الفترة ما بين عام ١٧٨٩ وهزيمة « مؤامرة الاكفاء » بزعامة كراكوس بابيف بعد ذلك بسنوات قليلة جعلت صراع الطبقات ـ رغم انه كان على نطاق ضيق ولفترة قصيرة ـ حقيقة واضحة لاول مرة في مجتمع حديث ، وادت ـ خلال المعركة بين الاغنياء والفقراء ـ الى تشكيل مذاهب اشتراكية تمثل عنصرا جديدا في النمو التاريخي للمجتمع الغربي وان لم تحظ في أي وقت من الاوقات الا بعدد قليل من الانصار المباشرين »[3] .

والاصل في الاحزاب الاشتراكية انها تعتمد على العمال (اكثر الطبقات عددا ، واشدها فقرا) كما يقول سان سيمون .

تمتاز هذه الاحزاب بان لها (ايدلوجية) تلعب دورا كبيرا في نشاطات الحزب وليس أمرها يقف عند النواحي السياسية فحسب بل يتعداها الى الثقافة العامة ، اذ ان الاحزاب الاشتراكية ، في الاصل ، انما تؤمن باهمية الفكر لذا فانها تحريصة ـ دوما ـ على تثقيف اعضائها .

ثم ان هذه الاحزاب تقوم على تعبئة الجماهير ولذا فان نشاطاتها مستمرة وليست دورية . وان العمل فيها انما يجري عن طريق (الاقسام) التي هي عصب الحركة فيها .

---

(١) Babeuf ـ ولد في سان كنتان (١٧٦٠ـ١٧٩٧) قام بحركته الثورية ولكنها فشلت وقد عرفت بـ (مؤامرة الاكفاء) .

(٢) كول ـ المصدر السابق ـ ص/٢٢ .

(٣) كول ـ المصدر السابق ـ ص/٢٤ .

أما مالية هذه الاحزاب فانها تقوم على موارد ثابتة نسبيا هي بدلات الاشتراك التي يدفعها اعضاؤها •

ولابد لنا ، ما دمنا نتحدث عن الاحزاب الاشتراكية ، من التفريق بينها وبين الاحزاب المحافظة • فالاخيرة ـ أي الاحزاب المحافظة ـ تحركها دوافع مصلحية غالبا في حين ان الاحزاب الاشتراكية ـ منظورا لها من حيث أساس قيامها وطبيعتها ـ حيث كان ظهورها ـ كما قد رأينا ـ نتيجة حتمية لظهور الجماهير على المسرح السياسي ومشاركتها في الحياة السياسية العامة مشاركة فعلية • لذا فان دوافع هذه الاحزاب المصلحة العامة غالبا •

ولابد لنا من التنبيه في هذا المقام ان كثيرا من الاحزاب تزعم بانها احزاب اشتراكية كحزب العمال البريطاني الحاكم ، والحزب الاشتراكي الفرنسي الذى شارك في الاعتداء على مصر عام ١٩٥٦ وكذلك حزب الامة الاشتراكي في العراق فهذه كلها وغيرها ايضا احزاب رجعية ليس لها من الاشتراكية الا الاسم ! وما ينطبق على الاحزاب ينطبق على الافراد • فان كثيرا منهم يدعي انه اشتراكي وهو أبعد الناس عنها •

ان الاحزاب الاشتراكية هي تلك التي تؤمن فكرا وعملا نظريا وعمليا بالمبادىء الاشتراكية التي تحول دون سيطرة شعب على آخر وتمنع استغلال شعب لآخر ! وتعمل على القضاء على التناقضات الاجتماعية دونما استغلال انسان لاخيه الانسان •

المبحث الثالث

الفرع الاول

الاحزاب الشيوعية

هناك آراء متعددة ومختلفة قيلت عن نقطة الابتداء بالنسبة الى الافكار (الاشتراكية) وكذلك (الشيوعية) • فهناك من يرى في حركة بابيف بانها المظاهرة الاولى للبروليتاريا في عمل ثوري[1] •

وهناك من يرجع (الاشتراكية) و (الشيوعية) الى الفكر اليوناني القديم ، وهنا كايضا من يرجعها الى شيوعية الكنيسة المسيحية الاولى ، وهناك من يرى في المظاهر الشيوعية في حياة الاديرة في العصور الوسطى نقطة انطلاق لهما •

وهناك من يرى ايضا بان (المدينة الفاضلة) التي كتبها توماس مور هي نقطة البدء في هذه الافكار !

أيا كانت البداية وأيا كان هذا الرأي ، فان الذي يعنينا من الامر هنا انما هو الحزب الشيوعي ومثله البارز الحزب الشيوعي الروسي •

يمكننا القول ان ميلاد هذا الحزب كان قد سبقته عدة تنظيمات ، فمثلا (جماعة تحرير العمل) التي أسسها بليخانوف عام ١٨٨٣ • فهذه الجماعة تعتبر أول جماعة ماركسية منظمة ساهمت والى حد كبير في نشر الافكار الماركسية في روسيا •

والسبب الذى يدعونا الى ذكرها هو ان روسيا في السبعينات من القرن التاسع عشر كانت أبعد الدول عن التأثر بالافكار الماركسية •

يقول البرفسور كول : « وقد ظلت معرفة روسيا بالماركسية قليلة حتى السبعينات من القرن الماضي »[2] •

ثم يقول في موضع آخر « ولكن الامر لم يقتصر على ان روسيا لما تكن بها

---

(١) كول المصدر السابق ص/٣٣ •

(٢) كول الدولية الثالثة ـ ترجمة عبدالكريم احمد ـ ص/٥٦٠ •

حركة ماركسية فحسب ، بل ولم تكن فيها أية جماعة تأثرت بافكار ماركس »[1].

وفي الثمانينات بدأت الماركسية تغزو روسيا ، وكانت أكثر الجماعات المؤمنة بالماركسية غير قادرة على الصمود أو الاستمرار أو سرعان ما تتحطم .

ولقد كان لظهور (لنين) أثر بعيد الغور في دفع الحركة الماركسية في روسيا الى الامام ، اذ استطاع ان يؤلف عام ١٨٩٥ (عصبة الصراع من اجل تحرير العمال) في بطرسبورغ اذ كانت في هذه المدينة عدة جماعات ماركسية تبلغ العشرين جماعة ، فعمل لنين خلال سنتين حتى استطاع توحيدها مجتمعة وهي تضم كل حلقات العمال الماركسيين .

ونستطيع ان نقول ، بعد هذا العرض الموجز ، ان عام ١٨٩٨ يمكن ان يعتبر مطلع ميلاد الحزب الشيوعي حين اجتمعت (فئة صغيرة) من الديمقراطيين الاجتماعيين الروس في مدينة (منسك) .

ولقد استطاع لنين بعد خروجه من المنفى عام ١٩٠٠ ان يعمل كثيرا من أجل وحدة الحزب . ذلك ان الحزب الروسى ظل يعاني انقساما حادا في داخله ، ذلك الانقسام الذي عرف ما بين البلشفيك والمنشفيك .

وفي الحقيقة ، فان الاسباب الظاهرية لهذا الانقسام كما يقال ، انما يعزى الى اختلاف المؤتمر الى حد الانقسام حول أساس العضوية في الحزب وليس حول برنامج الحزب .

ولقد اشتجر هذا الخلاف وقامت معركة كبيرة بين لنين وبليخانوف من جهة ومارتوف وتروتسكي من جهة أخرى .

فلقد كان لنين يرى ان العضوية مفتوحة لاولئك الذين يقبلون برنامج الحزب ويؤيدونه ماديا وبالاشتراك الشخصي في منظمة من منظمات الحزب .

أما مارتوف فكان يرى ان تحذف العبارة الخاصة بالاشتراك الشخصي في منظمة من منظمات الحزب .

---

(١) كول الدولية الثالثة ـ ترجمة عبدالكريم احمد ـ ص/ ٥٦٠ .

والشيء الذي ليس فيه شك ، ان الخلاف أعمق من هذا بكثير وهو يتعلق بمفهوم الحزب • ذلك ان لنين كان يريده حزبا يقوم على المؤمنين به وكأنهم مجاهدين ، مستعدين دوما لكل بذل وفداء عند كل أمر يصدر من الماكنة أو المنظمة الحزبية •

وهكذا عرف ان الحزب الشيوعي فيه جناحان ديمقراطيان احدهما البلشفيك والثاني المنشفيك • اما القول انهما حزبان فلا يمكن الاخذ به لان كلا الجناحين كان يؤمن بوجود حزب واحد فقط •

ولقد أدت الظروف التي مرت بها روسيا ولاسيما امام ثورة ١٩٠٥ ، والتي حدثت على أثر هزيمة روسيا في الحرب مع اليابـــان ، الى ان يتناسى الجناحان خلافاتهما موقتا ، ليفترقا بعد ذلك • وصار كل جناح يدعى انه الممثل الحقيقي للحزب •

ان الشيء الذي لا يختلف فيه اثنان هو ان روسيا بسوء أوضاعها ونكران القياصرة لحقوق الشعب ، كان يدفع الشعب الى الثورة حتما[1] •

ولكن هذا المناخ الثوري لم يستغل ، اذ أدت الاحداث التى اعقبت ثـورة ١٩٠٥ ولاسيما عام ١٩٠٧ الى اختفاء الحركات الثورية داخل روسيا اختفاءا يكاد ان يكون كاملا •

ولقد شهد (الحزب الديمقراطي الاشتراكي) صراعا مريرا بين مختلف الاجنحة التي تكونه ، ولقد كان الخلاف يدور حول مفهوم الحزب والطبقـة وكذلك حول مفهوم القومية والثورة الدائمة • ولقد استمر هذا الصـراع من عام ١٩٠٦ حتى ١٩١٤ وهو العام الذى قامت فيه الحرب العالمية الاولى •

ثم كان لنجاح الثورة الروسية عام ١٩١٧ السبب الاول في ظهور هذا الحزب علنيا (بعد ان كان حزبا سريا) وتوليه السلطة في الاتحاد السوفياتي •

---

(١) يقول البرفسور كول : « بيد ان الروسيين كانوا يشتركون في شيء واحد ، هو أنهم جميعا كانوا ثوريين » ـ الدولية الثانية ـ ص/٥ •

ويعد الحزب الشيوعي الروسى الجهاز الوحيد القابض على السلطة في كل الاتحاد السوفياتي ، فهو الذى يدير الشؤون العامة ويقود الجماهير لانه الطليعة الثورية لها • وهو أبرز واخطر جهاز في النظام السوفياتي •

وهذا الحزب انما يقوم ـ من حيث التنظيم ـ على قواعد هي (الخلايا) المنتشرة في كنف انحاء الاتحاد السوفياتي ، فهناك مثلا خلايا المصانع والمحلات والقرى ثم هناك (خلايا) الاقسام أو الشعب • ثم هناك ايضا خلايا المناطق ومن اجتماع الاخيرة يتشكل الحزب لجمهورية واحدة من الجمهوريات الروسية والتي عددها (١٥) خمسة عشر جمهورية •

ويمتاز هذا الحزب بانه وحده الذي يمارس الحياة السياسية ولا يسمح لاي حزب بمباشرة الحياة العامة سواه • وعليه فان الحزب الروسى يتبع نظام الحزب الواحد[١] • وسبب ذلك ان الحزب ـ في المفهوم الماركسى ـ ما هو الا تعبير عن طبقة ، ولما كان الاتحاد السوفياتي ـ في زعم الماركسيين ـ خلوا من الطبقات فلا مجال لوجود احزاب متعددة وانما حزب واحد •

واليوم وقد انتشرت في انحاء مختلفة وكثيرة من العالم احزاب شيوعية تدين بالولاء للاتحاد السوفياتي فان ذلك يدل دلالة قاطعة على الاهمية التي يحتلها هذا النوع من الاحزاب •

والاحزاب الشيوعية المنتشرة في انحاء مختلفة من المعمورة ترى في الاتحاد السوفياتي (أرض الثورة) الاولى •

وفي الحقيقة فان الثورة الروسية قد حطمت نظاما قيصريا فاسدا وضربت الرأسمالية ضربة قاصمة •

ولقد اثبتت الثورة ـ كما يقول العلامة ج•هـ• كول ـ انها ـ ان خيرا او شرا ـ اهم حدث عالمي منذ (الثورة الفرنسية) في سنة ١٧٨٩ »[٢] •

---

(١) يصف دستور الاتحاد السوفياتى الحزب الشيوعى بانه « طليعة الشعب العامل » •

(٢) كول ـ تاريخ الفكر الاشتراكي ـ الجزء الخامس ـ ترجمة عبدالكريم احمد ـ ص/٤ •

الفـرع الثاني

الحزب الشيوعي الصيني

اما وان العالم الاشتراكي منقسم اليوم بنتيجة الصراع العقائدى ما بين الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية ولما كانت الصين تزن بثقل كبير على مجريات الاحداث العالمية وان هناك احزابا شيوعية تدين بالولاء الى بكين وليس موسكو ، ولان التجربة الصينية تجربة رائعة ، فلقد آثرنا ان نخصص للحزب الشيوعي الصيني بحثا ندرس فيه ـ دراسة موجزة ـ احوال الصين والحزب الشيوعي فيها •

لم يكن للصين ـ كما هو الامر لروسيا ـ دور يذكر في الدولية الثانية • كانت الافكار الاشتراكية قبل كارل ماركس حكرا للمدرسة الفرنسية باستثناء أوين الذى كان انكليزيا •

والصين بلد متخلف ، كبير التعداد السكاني ، يعتمـــد على الزراعة ، ولا يستطيع المرء ان يتحدث عن ثورة اشتراكية في الصـــين ولا عن فكر اشتراكي فيها ، فالثورة الصينية التي حدثت عام ١٩١١ـ١٩١٢ لم تكن ثورة اشتراكية •

والفكر الذى كان ينادى به (سان يات سن) لم يكن فكرا اشتراكيا ، ربما كانت فيه بعض اللمحات ، اذ كان الدكتور سن وطنيا مؤمنا بحق بلاده ضد الاستعمار •

وليس من شك ، في ان للدكتور سن يات سن تأثيرا عميق الاغوار في بث الروح الاستقلالية لدى الصين • وليس من شك ايضا ان الصين كانت مثلا صارخا للفساد والتخلف !

ويمكن تلخيص فلسفة سن بانها تقوم على ثلاثة امور هي :

١ ـ القومية

٢ ـ الديمقراطية

٣ ـ توفير مصدر الرزق •

لقد كان سن « قوميا نبذ مفهوم الصراع الطبقي تماما ورفض الاعتراف بان الرأسمالية ، بوصفها متميزة عن الامبريالية الاجنبية ، هي العدو الذي يجب على الشعب الصيني ان يقاتله • وكان يؤمن بحماس بالديمقراطية الشعبية ويقف ضد السلطة المركزية بأستثناء الفترة التي يكون فيها الصراع الثوري قائما فعلا »[1] •

الحركة الشيوعية في الصين :

يمكن ارجاع تأريخ نشوء الحركة الشيوعية في الصين الى عام ١٩١٨ ، اذ تكونت مجموعة للدراسات الماركسية في بكين على أثر نجاح الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧ ، وكانت هذه الدراسات تحت ادارة استاذين من جامعة بكين هما : لي ثا شاو وشن ثي هسيو •

وكانت أول حركة جماهيرية ـ غير انها ليست شيوعية ـ تلك التي عرفت بحركة (الرابع من مايس) قام بها المثقفون ولاسيما الطلاب وقد جذبت كثيرا من الطبقة العاملة •

ولقد شهد عام ١٩٢٠ ميلاد (جماعة الشباب الشيوعي) الفها الطلبة الصينيون المقيمون في باريس • وهذه تعتبر اول منظمة شيوعية • ولقد عاد بعض الطلبة الى الصين وهناك أتصلوا بشن ثي هسيو الذي كان موجودا في شنغهاي ، فبدأوا بانشاء جماعة (الشباب الشيوعي) في مدينة شنغهاي • وفي حزيران عام ١٩٢١ اجتمعت هيئة مؤلفة من (١٢) مندوبا في مؤتمر افتتح في شنغهاي ليعلن ميلاد الحزب الشيوعي برئاسة شن ثي هسيو • وكان من بين الاثني عشر مندوبا ماوتسي تونك زعيم الصين الشعبية حاليا •

« وكان هناك « الكومنتانغ » هو حزب سان يات سن والثورة الوطنية ، حزبا فضفاض التنظيم ، وكان حزبا وطنيا يقوم على قاعدة واسعة ، يضم عناصر

(١) كول ـ المصدر السابق ـ الدولية الثانية ـ ص/٥٣٩ •

بورجوازية كبيرة وليس متحدا مطلقا فيما يتعلق بسياسة سان الراديكالية ، بل والاشتراكية في كثير من جوانبها »[1] .

غير ان الكومنتاغ كان « المنظمة الجماهيرية الوحيدة الموجودة للثورة الصينية ، وما كان الشيوعيون يستطيعون تجنب تحديد موقفهم منه[2] .

والظاهرة الجديرة بالملاحظة والحرية بالتسجيل ، هي ان ماوتسى تونك اعطى كل اهتمامه الى الفلاحين عاملا على ان يجعل منهم قوة ثورية ، في حين ان زعامة الحزب الشيوعي ما كانت لتعطى اية اهمية تذكر الى الفلاحين كقوة ثورية بل كانت ترى وتصر على ان بروليتاريا المدن هم وحدهم القادرون على القيام بالثورة .

ومن الواضح الجلي ، ان ماوتسى تونك ، كانت نظرته أعمق واكثر ادراكا لحقيقة الوضع في الصين . فالصين ـ كما قلنا ـ بلد زراعي تشكل الطبقة الفلاحية النسبة الرئيسة من سكانه ، وعليه فالاعتماد على هذه الطبقة أكثر ضمانا لنجاح الثورة .

ان الثورة في اهدافها عالمية ، ولكن الوصول اليها تحقيقا له طرق مختلفة . ان حرص القيادة الشيوعية على الاعتماد على البروليتاريا ـ اقتداءا بالثورة الروسية ـ لم يكن اقتداءا علميا لان لكل بلد ظروفا خاصة به . ثم انه حتى الثورة الروسية لم تتم على البروليتاريا في بادىء أمرها .

ولقد اعترف الكومنترن وكذلك الزعماء الشيوعيون الصينيون بالدور القيادي للفلاحين . ومنذ ذلك الوقت ارتفعت شخصية « ماو » وغدا رجل الموقف في الصين .

وقد قام ماوتسى تونك عام ١٩٣٤ « بالزحف الطويل » الشهير حيث اجتاز به عبر القارة الصينية . وكان ماوتسى تونك قد اختير عام ١٩٣١ في اول مؤتمر

---

(١) كول ـ المصدر السابق ـ الجزء الثاني من المجلد الرابع ـ ص/ ٣٧٠ .
(٢) كول ـ المصدر السابق ـ الجزء الثاني من المجلد الرابع ص/ ٣٧٠ .

سوفيتي لعموم الصين في يواشين في كيانجسى ، رئيسا للجنة المركزية للحزب الشيوعي كما أختير رئيسا لجمهورية السوفيتية الصينية • ان الصين اليوم انما يحكمها الحزب الشيوعي الصيني بقيادة « ماو » الذى كان رئيسا للجمهورية ثم تنازل عنها محتفظا بمنصبه الحزبي وهو رئيس اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني • وفي الصين احزاب اخرى غير ان وجودها شـــكلى اذ السلطة التي تمارس الحياة الحزبية انما هو الحزب الشيوعي الصينى •

ان التجربة الصينية تجربة فريدة من نوعها ، انتصرت الثورة فيهـا بفضل الدور القيادي الذي تولاه الفلاحون وليس العمـال الصناعيـون • وهكـذا و « بوحي ماو ، قد اخذت طريقها باستقلال متزايد عن الكومنترن والنفـوذ الروسى ، ووضعت لنفسها تفسيرها الخاص بها للانجيل الماركسى »[1] •

بعد هذا الذي قلناه عن الاحزاب الشيوعية (الروسية والصينية) فان للحزب الشيوعي خصائص ينفرد بها عن غيره من الاحزاب • كما ان هناك خصائص تجمعه مع الاحزاب الفاشستية • وعليه فاننا نرجىء الحديث عنها لنتولى دراسة الاحزاب الفاشستية ، وبعدها سوف نتعرض لدراسة هذه الخصائص المتفقة منها والمختلفة •

---

(١) ج • هـ • كول : المصدر السابق ـ الجزء الثاني من المجلد الرابع ص/٣٩٢ •

المبحث الرابع

« الاحزاب الفاشستية »

في الاصل يراد بكلمة (فاشستي) ذلك النظام الذى اقامه (موسوليني) في ايطاليا من عام ١٩٢٢ عند قيامه بالزحف على روما الى عام ١٩٤٣ حين انتهى النظام وانتهى معه مبدعه بالاعدام من قبل الشعب الايطالي •

وعندما أستولى هتلر على السلطة في ألمانيا عام ١٩٣٣ فان النظام النازي قد اخذ الكثير ـ تأثيرا ـ من المبادىء الفاشستية • ولذا فاننا حين نقول الاحزاب الفاشستية فانما المراد بها الحزب الفاشستي الايطالى والحزب النازى الالماني وكذلك الاحزاب التي سارت على منوالهما • وليس من شك في ان الفاشستية قد تأثرت كثيرا باراء نتشه وسوريل وبارتو وغيرهم • وهي فلسفة ـ اذا جاز التعبير ـ غير عقلانية اذ تهاجم العقل وترى في الدم والتقاليد والعائلة والجنس عوامل رئيسة واساسية في حياة البشر وكذلك فأن هذه الفاشية متأثرة باراء نيتشه[١] وكذلك بارتو[٢] فيما يخص عدم سواسية الناس : ذلك ان فيهم من يولد أهلا للقيادة وفيهم من يولد تابعا !

وفي الصفحات التالية سوف نبحث في الفرع الاول الفاشية وفي الفرع الثاني النازية ثم ندرس الصفات التي تلتقى فيها مع الاحزاب الشيوعية والفروق التي تقوم بينهما •

---

(١) فردريك نيتشه : (١٨٤٤ـ١٩٠٠) احد مشاهير الفلاسفة الالمان وهو صاحب كتاب هكذا تكلم زرادشت •

(٢) فليفريدو باريتو ـ سوسيولوجى واقتصادى ايطالى (١٨٤٨ـ١٩٢٣) يعتبر فيلسوف الفاشية •

الفرع الاول

الحزب الفاشي

كثر النقاش حول الاسباب التي أدت الى وصول الفاشية الى الحكم في ايطاليا • وفي الحقيقة فان هذه الاسباب متعددة منها : ما هو متعلق بفشل النظام البرلماني في معالجة المشاكل الى جانب سوء الاوضاع الاقتصادية •

او بعبارة أخرى فلقد (كان نموها متأثرا تماما بالظروف الاقتصادية للعصر ، والمعنويات اليائسة التي اثارتها الكارثة الاقتصادية في عقول الصغار ولكنها لم تكن حركة اقتصادية من حيث الاساس ، بل مجرد ظاهرة قومية عدوانية تستند الى العواطف الحادة لعامة الجماهير)[1] • ولقد عمل موسوليني ، بعد ان قام بالزحف على روما في الثامن والعشرين من شهر تشرين الاول عام ١٩٢٢ ، على ألغاء الاحزاب السياسية ، وأباح الحرية السياسية لحزبه فقط • وجعل هذا الحزب أداة الدولة • وذلك بعد ان سيطر على السلطة التشريعية التي خولته حق اصدار قانون يعطي المراسيم التنفيذية مفعول القوانين التشريعية •

وكان نظام حكمه نظاما شخصيا ، نظم الحزب تنظيما تسلسليا فجعل زعامة الحزب المحلية قاعدة له ، اما القمة فهو المجلس الفاشستي الاعلى •

ولقد فرض على المؤيدين له أداء يمين الطاعة لنظامه ولشخصه • وعمل على نشر مبادئه بين منظمات الشباب بل وشكل جيشا خاصا من فرق القمصان السوداء تتصل به مباشرة وتعمل وفق أوامره • اما النظام الملكي فكان صورة بلا روح فقط ! اذ كان الملك يملك ولكن لا يحكم • وكان الحاكم الحقيقي انما هو موسوليني • وكان جل اعتماد الدوتشي منصبا على كتائبه الفاشية التي تدين له بالطاعة العمياء !

---

(١) ج • هـ • كول ـ الاشتراكية والفاشستية ـ ترجمة عبدالحميد الاسلامبولي • ص/١٩ •

« ان الفاشية ديكتاتورية شخصية ، طابعها الشخصي ظاهر في خلوها من اية فلسفه ايجابيه واضحة المعالم »[1]

اما نظامها الحزبي فنضيف الى ما اسلفناه من قول ، انه نظام قائم على المصالح لا المبادىء • فغالبيه زعمائه انما يلتفون حول شخصية الدزتشي تحقيقا لمصالحهم ولاطماعهم •

اما شخصية موسوليني فانها كانت متقلبة • بدأ حياته السياسية اشتراكيا ثم انتهى بان اصبح العدو الاول للطبقة العاملة حين اصبح فاشيا •

كان حزب موسوليني الاشتراكي قد وقف موقف المعارض من اشتراك ايطاليا في الحرب الى جانب الحلفاء • وكذلك كان موسوليني غير انه سرعان ما غير رايه في تشرين الاول عام ١٩١٤ وغدا من دعاة اشتراك ايطاليا في الحرب جنبا الى جنب مع الحلفاء • ولقد كان موقفه هذا سببا في قرار الحزب بطرده • وكان هذا الطرد عاملا نفسيا دفع موسوليني الى تكوين ما يعرف (الفاشى دى كومبايتمنتو) التي كانت النواة للحركة الفاشية •

ولقد اتبع موسوليني أساليب الاغتيال والعنف لتحقيق اهدافه في الوصول الى السلطة • « والواقع ـ كما يقول كول : ان الفاشيين كانوا قد شرعوا فعلا في حملة العنف غير المشروع التي ستدمر في سنوات قلائل الحركات الاشتراكيـة والنقابية وتضع السلطة العليا في يد موسوليني • فكانت جمـاعات (آردتي) التابعة لموسوليني متهمكة فعلا في القيام بأعمال عنف متفرقة ضد الاشتراكيين وغرف العمل أبان الشهور الاولى من ١٩١٩ ، وفي أبريل نفذ موسوليني اول عمل مسرحي انتقامي ضد زملائه السابقين • فقد قامت قوة من (الاردتي) تنفيـذا لاوامره بحرق مكاتب (افانتي) في ميلانو ونهبها ، ومرت الجريمة بلا عقـاب ولا أنتقام مضاد • وان كان عمال ميلانو ردوا على ذلك باضراب عام ، وجمع رصيد كبير لاعادة بناء المكاتب التي دمرت ، ومنذ هذه اللحظة بـدأ موسوليني

---

(١) روبرت م • ماكيفر ـ المصدر السابق ص/٣٠٥ •

يتطلع الى كبار اصحاب الاعمال لتأييده في قتاله العنيف المدمر ضد الاشتراكية »[1]

نكتفي بهذا القدر في حديثنا عن الفاشية متنقلين منها الى دراسة النازية ، ومرجئين عقد المقارنة بين الاثنين اولا ، ومن ثم بينهما وبين الشيوعية بعد الفراغ من دراسة النازية .

(١) ج . هـ . كول ـ الاشتراكية والفاشية ـ المصدر السابق ـ ص/٢٥

الفرع الثاني

« الحزب النازي »

لا مراء في ان وصول هتلر الى السلطة في المانيا ، كان له تأثير كبير وبعيد الاثر على السياسة العالمية • ولقد استغل هتلر وجماعته من النازيين الظروف السيئة الاقتصادية والظروف النفسية لشعب خرج من الحرب ذليلا ومكبلا بعار الهزيمة ومقيدا بقيود معاهدة جائرة الى جانب كونه مثقلا بغرامات الحرب • كل هذه الاسباب خلقت الجو الصالح لانتشار الدعوة النازية ووصول هتلر الى السلطة •

لقد أحسن هتلر أثارة الشعور القومي في الشعب الالماني وبذلك تهيأت له ظروف طيبة فتحت له الباب ليتولى الحكم في المانيا •

والغريب العجيب هو ان النظام النازي رغم تصديه بالعنف ضربا للحركات العمالية ، فانه استطاع ان يكسب كثيرا من العمال تأييدا الى الدعوى النازية • ذلك لان الشعور بالالم ، ألم الهزيمة واليأس الذى اصاب المانيا بعد الحرب « قد أثر في العمال بقدر ما أثر في المنتمين الى الطبقات المسيطرة سواء بسواء ، ومكن للنازيين ان يتسنموا السلطة باسم بعث الامة ، وليس بدعوى كراهية الطبقات الاقتصادية للمستوى الاشتراكي • وانى هنا لاكرر مرة اخرى ، اني لا أزعم ان الملامح الاقتصادية لم تكن غير ذات موضوع ، وانما اقول يقينا ، انه لخطأ جسيم ان نعتبر هذه الملامح الاقتصادية موضع الاهتمام كله ، أو ان نفسر النازية بكل بساطة على انها النزع الاخير في الاندحار الرأسمالى »[1] •

ولكن الامر الذى ليس فيه شك ، هو ان النازية وكذلك توأمها الفاشية ، حركتان سياستان جاءتا لتحول دون انتشار الفكر الاشتراكي في كل منهما ، بل انهما قاما بضرب القوى العمالية لئلا تقع السلطة في ايدى هذه القوى ، وعليه فاننا

---

(١) ج ـ هـ • كول ـ الاشتراكية والفاشية المصدر السابق ص/٢٥ •

نرى في الحركتين كونهما رجعيتين وليستا بثوريـــة • ان اندحـار القـــوى الاشتراكية ساعد كثيرا على وصول الحزب النازى الى السلطة •

وفي الحقيقة فان نجاح الثورة الروسية وقيام دولة السوفييت قد نبه الى حد بعيد القوى البورجوازية في كل من المانيا وايطاليا الى الخطر المحدق بها من جراء احتمالات وصول القوى الاشتراكية الى السلطة فيهما ، ولذا فان هـــذه الامور كانت اسباباً رئيسة في قيام الفاشية في ايطاليا والنازية في المانيا •

ان الحزب النازي الذى شارك في الانتخابات العامة لسنة ١٩٢٨ قد احرز أثنا عشر عضوا في (الرايخشتاغ) •

ولكن هذا الحزب استطاع في عام ١٩٣٢ ان يحصل على (٢٣٠) عضـــوا وكانت عدد الاصوات التي نالها ١٣٫٧٥٠٫٠٠٠ صوت • (هذه الانتخابات جرت في شهر تموز) وفي شهر تشرين الثاني من نفس العام ، هبطت اصواتهم الى ١١٫٧٥٠٫٠٠٠ صوتا واصبح عدد نوابهم (١٩٦) نائبا •

وفي شباط ١٩٣٣ اصبح هتلر مستشارا للدولة ، وحين اجريت الانتخابات ، نال الحزب النازى ١٧٫٢٥٠٫٠٠٠ مليون صوتا • وهكذا تـــم للحزب النازى الحصول على الاغلبية المطلقة في البرلمان ، الذى طرد منه الشيوعيون •

أوجه التشابه والاختلاف ما بين النازية والفاشية :

لا نكران ان طبيعة كل من المانيا وايطاليا مختلفة ، ثم ان ظروفهمـــا غير متشابه الى جانب ان الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية متباينة • وهذه الامور تلقى الضوء الكثير على طبيعة كل النظامين وكذلك اختلاف شخصية كل من هتلر وموسوليني •

فمثلا لقد خرجت المانيا من الحرب العالمية الاولى مقهورة ومدحورة ، في حين ان ايطاليا خرجت من الحرب منتصرة مع الحلفاء ، غير ان ايطاليا لم تكن راضية لان دورها كان ضعيفا ومن ثم فان ما نالت من مغانم لم يرض طمعها في كسب أكثر •

وهذا الاختلاف بعينه قد يكون سببا يجمع بين الاثنين في كونهما غير راضيين عن النتائج ولكن ليس من شك ان ايطاليا كانت غير راضية في حين ان المانيا كانت تغلي استياءا وسخطا وتتحين الفرص للانتقام •

ولذا فان الاثنين قد عملا على كسب هذا السخط وذاك الاستياء لدى الشعب الايطالي ولدى الشعب الالماني •

ثم ان وجود التشابه بين الاثنين انما تقوم على كونهما حركتين سياسيتين نشأتا بين ابناء الطبقة الوسطى • ولقد اتبعت كلاهما اسلوبا في اثارة العواطف والمشاعر لدى الجماهير في حركة ترمي الى البعث القومي لكل منهما •

كذلك فان وجوه التشابه بين الاثنين تقوم على فكرة الاستعلاء ، فالفاشية كانت دوما تحلم باعادة مجد روما القديم • وكانت الفكرة النازية تقوم على أن المانيا فوق الجميع •

كذلك فان كلا الحركتين قد اتبعتا اسلوبا عنيفا دمويا في ضرب خصومهما وفي استخدام اجهزة البوليس السري وفرق القمصان السوداء أو شرق (الاس • أس) الصاعقة الالمانية في كبت وضرب كل حركة مناوئة بلا رحمة !

ثم ان من وجوه التشابه أيضا قيامهما على تقديس فكرة (الزعيم) وان كانت النازية الالمانية اكثر اغراقا في الذهاب اعجابا بشخصية الزعيم •

ثم ان التشابه بينهما يقوم على نظرتهما الى الدولة • فكلاهما لا يؤمنان بالفرد ولا بالحقوق الفردية • يقول الاستاذ ماكيفر « والدوتشي يبشر بخضوع الفرد للدولة ، ويدعوه لاتخاذها المثل الاعلى لولائه »[1] •

أما بالنسبة لالمانيا فان في برنامج الحزب النازي قولا مأثورا ومشهورا يقول فيه : « انك لا شيء •• شعبك هو كل شيء » !

"Du bist nichts, dein Volk ist alles"

---

(١) ماكيفر ـ المصدر السابق ـ ص/٣٠٥ •

أما اوجه الخلاف ، فهي قطعا تتعلق بـ [illegible] الشعبين وكذلك قوة الايدلوجية .

فالشعب الالماني شعب يحب النظام ويتعشق الى حد التقديس شخصية هتلر ، في حين ان الشعب الايطالي لم يكن كذلك . علما بان الشعب الالماني اكثر تقدما من الشعب الايطالي وكذلك فان (العقيدة النازية تهيمن على النفس بيقينتها هيمنة تامة . والعقيدة الفاشستية تقلبية وانتهازية)[1] .

اما فيما يتعلق بشخصية الدوتشي (موسوليني) والفوهرر (هتلر) فان البرفسور ماكيفر قد عقد مقارنة بينهما وهو يقول : « وكانت شخصية هتلر تختلف عن شخصية موسوليني . فهتلر هو مثال الديكتاتور المتعصب وموسوليني هو مثال الدكتاتور المغامر »[2] .

لقد أحرز هتلر نجاحا منقطع النظير في اكتساب التأييد الشعبي له . ولم يكن لموسوليني هذا التأييد ، علما بان المانيا ، كما اسلفنا ، بلدا صناعيا متقدما في حين ان ايطاليا أقل منهما تقدما وصناعة . وعليه فاننا نرى ان هتلر شخصية قادرة ، يتمتع بمواهب ومزايا ، في حين ان موسوليني كان ـ كما يقول ماكيفر ـ شخصية مغامرة !

بعد هذا العرض السريع ، عن الاحزاب الشيوعية والفاشستية ، آن ان نقول أن هناك خصائص تجمعها معا .

ذلك ان كلاهما يتبع نظام الحزب الواحد . وكلاهما يقوم على الارتباط العمودي ثم ان هذه الاحزاب تقوم على فكرة مركزية السلطة .

كذلك تمتاز هذه الاحزاب (الشيوعية والفاشية) بان لها ايدلوجية قوية تخضع افرادها الى نظام صارم . فلا سبيل للتفريق بين اعمال وحياة عضو الحزب الخاصة وبين اعماله وحياته العامة .

---

(١) ماكيفر ـ المصدر السابق ـ ص/٣٠١ .
(٢) ماكيفر ـ المصدر السابق ـ ص/٣١٠ .

« كانت صورة الاحزاب الفاشستية في ايطاليا والمانيا كالاحزاب الشيوعية نوعا من الديانة الارضية التي هي في حالة حرب مع المذاهب الاخرى »[1] •

ان كلا النظامين يقوم على فكرة متسلطة ومتحكمة وتلعب العقيدة دورا هاما في حياة الحزبين •

غير أنه ينبغي القول الى أن هذا التوافق والتشابه لا يعدم الحقيقة ، وهي أن هناك فروقا أصيلة بين هذين النوعين من الاحزاب • وهذه الفروق هي :

١ ـ من حيث التنظيم :

يرتكز الحزب الشيوعي في تدوير نشاطاته وادارة اعماله على الخلايا ، في حين ان الاحزاب الفاشستية انما ترتكز في تدوير اعمالها على المليشيا •

٢ ـ من حيث الطبقة الاجتماعية :

الاحزاب الشيوعية تقوم على أساس الطبقة العاملة وديكتاتورية هذه الطبقة • في حين ان الاحزاب الفاشستية تقوم على الطبقة البورجوازية •

وبمعنى آخر ان الشيوعية بطبقتها البروليتاريا تحاول جهدها الوصول الى السلطة والاطاحة بالطبقة الرأسمالية • في حين ان الاحزاب الفاشستية تحاول جهدها المحافظة على سلطة الطبقة البرجوازية والعمل جاهدة ومجتهدة دون وقوع هذه السلطة في ايدى الطبقة العاملة •

٣ ـ من حيث الفلسفة :

تتسم الشيوعية بانها اكثر تكاملا من الناحية الفلسفية من الفاشستية • ثم ان نظرة الشيوعية الى العالم نظرة تفاؤلية باسمه • فهي تؤمن بلتقدم البشريي وتتغنى بالغد السعيد •

في حين ان الفاشستية تمتاز بتشاؤمية قائمة • وهي لا تؤمن بالغد وانما

---

(١) اوستن رني ـ المصدر السابق ـ الجزء الثانى ص/٤٠ •

وتتغنى بالماضى الغابر والمجد المندثر وترى ان الامس خير من اليوم •

٤ ـ من حيث القومية :

ان الشيوعية تقوم ـ نظريا ـ على عالمية الفكرة • ونقول نظريا لان الواقع قد أثبت عكس ذلك •

فالصراع العقائدي الدائر ما بين الاتحاد السوفياتي ـ والصين الشعبية ، في رأينا ، ليس الا صراعا بين دولتين تحرص كل واحدة منها على مصالحها القومية العليا • « ان هذا الصراع يعطينا انطباعا بان المصالح القومية هي دوما فوق العقيدة • وان هذه ـ أي العقيدة ـ لا تستطيع ولن تستطيع ان تأخذ المكان الذي تحتله المصلحة القومية »[1] •

بينما الفاشستية تقوم على قومية الفكرة وهي قومية استعلائية تقوم على العنصر والدم •

٥ ـ من حيث الايمان :

تؤمن الشيوعية بالجماهير ـ البروليتاريا ـ التي هي صاحبة المصلحة في النظام المذكور • لذا فانها تقوم على فكرة المساواة •

بينما الفاشستية ـ وكما رأينا ـ لا تؤمن بالجماهير فانها ثورية في حين ان الفاشستية لا تؤمن بالجماهير فهي محافظة •

نكون بهذه الدراسة قد أحطنا علما بانواع الاحزاب السياسية ، واننا في الصفحات القابلة سوف ندرس التكوين الداخلي للاحزاب •

---

(١) اطروحتنا للدكتوراه ـ المصدر السابق ـ ص/٣٦١ •

الفصل الثاني

« التكوين الداخلي للاحزاب السياسية »

قلنا عند تعريفنا للحزب السياسي بانه « مجموعة من الناس » وعليه فالاحزاب السياسية انما هي في حقيقة الامر وجوهره مجموعات بشرية لها منهـــج معين ويحكمها مبادىء ومصالح معينة • وكما نعلم فان في نطاق كل مجتمع بشـري فريقين :

أ ـ فريق آمر حاكم

ب ـ فريق مأمور محكوم

الاول يأمر ويقود والثاني يخضع ويطيع • ومن الواضح ان كل مجتمع انساني ـ كما يقول الفقيه الفرنسي دكي ـ ينقسم الى حاكمين ومحكومين •

كذلك شأن الاحزاب السياسية فأن في نطاقها دوما فريقين :

القادة ومن ثم الاعضاء •

ولابد عند دراسة التكوين الداخلي للاحزاب السياسية من معرفة ما يلي :

١ ـ التكوين المباشر وغير المباشر للاحزاب

٢ ـ الوحدات الاساسية المكونة للحزب

٣ ـ الارتباط العام لهذه الوحدات

وفيما يلي من صفحات سنحاول دراسة هذه المواضيع بصورة متتالية •

المبحث الاول

التكوين المباشر وغير المباشر للاحزاب السياسية

الاصل في الاحزاب انها تتكون تكوينا مباشرا ، والاستثناء انما هو التكوين غير المباشر ، وعليه فان هناك نوعين او شكلين للتكوين الداخلي للاحزاب السياسية وهما :

أ ـ تكوين مباشر

ب ـ تكوين غير المباشر

آ ـ التكوين المباشر :

اجتماع مجموعة من الناس يوحدهم ويجمعهم تنظيم ومبادىء ومصالح معينة يتفقون فيما بينهم على انشاء حزب معين ثم يشعرون السلطات باتفاقهم هذا وعند اجازة الحزب قانونا يكون تكوين الحزب تكوينا مباشرا بأرادة اعضائه .

و « العضوية » في هذا التكوين تقوم على تقديم طلب تحريري من قبل شخص راغب في ان يكون عضوا في الحزب ، ويفصح في طلبه عن رغبته في الانتماء الى الحزب معلنا أيمانه بمبادئه وأستعداده لدفع بدل الاشتراك الشهري او السنوي .

ان موافقة الحزب على الطلب يفتح لصاحب الطلب حق الدخول الى الحزب وعليه فأن له حق الحصول على الهوية الحزبية او بطاقة العضوية . وهذا يعطيه ويمنحه حق حضور الاجتماعات الحزبية وكذلك الاجتماعات العامة والمؤتمر العام وغير ذلك .

ان المثل على هذا التكوين انما هو الحزب الاشتراكي الفرنسي .

ب ـ التكوين غير المباشر :

في هذا النوع من التكوين نجد ان جمعيات مهنية ونقابية وعمالية وثقافية

قائمة ، بمعنى ان لها وجودا قانونيا ، تسهم في خلق حـــزب يضـــم المنتسبين اليهـا •

ان المثل على هذا التكوين انما هو حزب العمال البريطاني في عام ١٩٠٠ وهنا لابد لنا من القول ان العضو حين ينظم الى نقابة انما ينظم اليها بأعتبارها جماعة أو فرقة اجتماعية وليس باعتبارها حزبا سياسيا •

ونعرض توضيح العلاقة بين التكوين المباشر للاحزاب وبين التكوين غير المباشر لها ، فانه يمكننا ان نتخذ من الدولة الموحدة والدولة الاتحادية مثـــلا يغنينا على فهم فكرة التكوين المباشر للاحزاب والتكوين غير المباشر لها •

ففي الدولة الموحدة نجد ان المواطنين يرتبطون بالدولة نفسها دون وجود واسطة لتقوم بذلك • وهذا هو عين الشيء بالنسبة للحزب ذي التكوين المباشر حيث يرتبط المنضمون اليـــه بالحزب من غير واسطة او رابطة من جهـــات أخرى •

وهذا على العكس من الدولة الاتحادية حيث يرتبط المواطنون بها عن طريق الدول الاعضاء المكونة للاتحاد ، وكذلك الحزب ذو التكوين غير المباشر فانه ينشأ من اتحاد مجموعة مختلفة تمثل طبقة اجتماعية او مهنية • ولذا فلا يمكننا القول ان هناك عضوية في حزب غير مباشر • فالعضو حين ينظم الى نقابة او جمعية فانما هو ينظم اليها باعتبارها جماعة أو فرقة اجتماعية وليست حـــزبا سياسيا •

واتماما للبحث ، فانه لمن الضروري ، ان نذكر ان هناك ثلاثة انماط للاحزاب غير المباشرة وهي :

١ ـ الاحزاب الاشتراكية (العمالية) :

في هذا النمط من الاحزاب غ يرالمباشرة نجد ان نقابات العمـــال والنقابات التعاونية هي التي تكون (مادة الحزب) • وهكذا فان الحزب يمثل مجموعة

من الاحزاب هما : حزب العمال البلجيكي وكذلك حزب العمال البريطاني عام ١٩٠٠ .

٢ ـ الاحزاب الكاثوليكية :

وهنا نجد ان الحزب يمثل ، والى حد ما ، اتحادا للنقابات العمالية او التعاونية متحدة مع الجمعيات الفلاحية والتجارية والصناعية .

وهكذا تكون هذه الاحزاب جامعة لطبقات اجتماعية مختلفة ، وكل منها تحتفظ بخصائصها الاصيلة . ومثل هذه الاحزاب هما : الحزب الشعبي النمساوي والكتلة الكاثوليكية البلجيكية .

٣ ـ الاحزاب الزراعية :

في داخل هذه الاحزاب ، تلعب النقابات والتعاونيات الزراعية نفس الدور الذى تلعبه النقابات والتعاونيات العمالية في نطاق الاحزاب الاشتراكية . وتعد الاحزاب الزراعية اكثر الاحزاب غير المباشرة تنظيما . ومثلها الاحزاب البلقانية ولاسيما حزب المزارعين البلغاري وكذلك حزب الريف الاسترالي .

المبحث الثاني

الوحدات الاساسية للاحزاب السياسية

يراد بالوحدات الاساسية تلك المنظمات التي يتكون منها الحزب • وهي تتفاوت من حيث التكوين ، من حزب لاخر •

فلو اننا اخذنا الحزب المسيحي في بلجيكا والحزب الراديكالي في فرنسا والحزب المسيحي في ايطاليا وحزب المحافظين في بريطانيا فاننا نجد ان كلا من هذه الاحزاب يتصف بأصالة واضحة ، كما انها تختلف الى حد ما من حيث التنظيم ، وكما أسلفنا القول عند الحديث عن الاحزاب السياسية والتي كل منها انما هي حصيلة ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية وفكرية ، كذلك الوحدات الاساسية لاي حزب فأن لكل منها تكوينا اصيلا هي الاخرى ، فمثلا لجنة الحزب الراديكالى الاشتراكي الفرنسي وخلايا الحزب الشيوعي الروسي وميليشيا الحزب الفاشستي وقسم الحزب الاشتراكي الفرنسي نجد ان بينهما اختلافات جوهرية واسعة ، وعليه فيمكننا القول بان الوحدات الاساسية للاحزاب السياسية انما هي اربعة :

أ ـ اللجنة

ب ـ القسم

جـ ـ الخلية

د ـ الميليشيا

أ ـ اللجنة : اول ما تمتاز به انما هي اقتصارها على عدد محدود من الناس فهي تضم عددا قليلا من الاعضاء دون الرغبة في زيادتهم ، وذلك لانها تشكل فريقا (مغلقا) لا يدخل اليه كل من يرغب وانما يصار الى عضويتها اما عن طريق الترشيح او عن طريق التعيين •

وعلى الرغم من ذلك فأن اللجنة تتمتع بسلطة كبيرة ، وقوتها تأتى ، الى

حد كبير ، من النوعية وليس من الكمية • فهي تقوم بداهة على الطبقة البارزة في المجتمع • ان نطاق عملها الجغرافي يكاد يكون الى حد ما كبيرا ويكاد يشبه المنطقة الانتخابية ايضا ، ففي فرنسا مثلا نجد ان اللجان تباشر اعمالها ضمن (القسم) وذلك تحت ظل الجمهورية الثالثة • اما عن نشاطات اللجنة فانها دورية وليست دائمة ، وهي تشتد وتنشط كلما اقترب موعد الانتخابات ، وفيما عدا هذه الاحوال فانها لا تتحرك ويمكننا تقسيم اللجان الى نوعين :

١ ـ لجان مباشرة

٢ ـ لجان غير مباشرة

بالنسبة للاولى فان المثل عليها لجان الحزب الراديكالي الاشتراكي الفرنسي ، حيث يضم مجموعة من سراة الناس البارزين في المجتمع اختيروا بسبب كفاءتهم الشخصية وقابلياتهم الفردية كأصحاب الاملاك والاطباء في المدن والارياف وهؤلاء لا يمثلون اية طبقة او جماعة وانما يمثلون اشخاصهم فقط •

اما بالنسبة للجان غير المباشرة فان لجان حزب العمال البريطاني التي تتكون من اجتماع ممثلي الوحدات الاساسية المحلية خير مثال عليها •

ويلاحظ ان هؤلاء انما هم اعضاء فيها ليس بسبب شخصياتهم وقابلياتهم الفردية وانما بسبب التفويض •

ويمكننا اضافة نوع اخر من اللجان الا وهي (اللجان الفنية) حيث يقوم عليها جماعة من الفنيين ذوي الخبرة الذين ينتخبون بسبب خبرتهم في الانتخابات ، وهذا ما هو موجود في الاحزاب الامريكية •

صفوة القول ان اللجان انما هي العنصر المحرك لنشاطات الاحزاب المحافظة ، وهي تعبير عن الطبقات البرجوازية المحافظة •

ب ـ القسم : وهذا يشتمل على مجموعة من الناس اكبر مما تشتمل عليه اللجنة • والقسم يمتاز بانه (مركزي) الى حد ما بالقياس الى اللجنة ويلاحظ

ان الاحزاب الاشتراكية تعتمد في تدوير اعمالها وادارة نشاطاتها على الاقسام • ولئن كانت اللجنة مغلقة في وجه من يريد الدخول اليها فان القسم مفتوح لكل من يرغب الدخول اليه • كذلك فان القسم يحتوى على طبقة من الناس شعبية التكوين في حين ان اللجنة قاصرة على الشخصيات البارزة في المجتمع •

اما نطاق القسم على المستوى الجغرافي فانه اقل من النشاط الذى تمارسه اللجنة • ويمكن القول بان الاقسام تمتاز بانها مركزية الارتباط ، في حين ان اللجان غير مركزية • وهناك ايضا فرق جوهري هام بين اللجان والاقسام وهو ان الاولى ـ كما اسلفنا ـ تعبير سياسى لطبقة البرجوازية في حين ان الاقسام انما هي تعبير لطبقة الجماهير •

والاصل ان الاقسام تعتبر من بدع الاحزاب الاشتراكية وهي محكومة بمخاطبة الجماهير والعمل على نشر التثقيف والوعي السياسى • كما ان قاعدة الاقسام تعتبر واسعة بالقياس الى اللجنة التي تقتصر على فئة قليلة • كذلك يمكن القول بان نشاطات الاقسام مستمرة وليست دورية كما هو الحال في اللجان •

جـ ـ الخلية : وتمتاز هذه الوحدة الثالثة من الوحدات الاساسية للاحزاب السياسية بحبكة التنظيم وان اعمالها محاطة بالسرية والكتمان • وهناك صفتان رئيستان للخلايا تميزانها عن الاقسام : قاعدة التجمع وعدد الاعضاء •

فلئن كانت الاقسام تعتمد على قاعدة محلية وهي (الاساس الجغرافي) فان الخلية تستند على الناحية المهنية • ولذا فان عامل المهنة هو الذي يملي على تكوينها وليس العامل الجغرافي كما هو الحال في اللجان والاقسام • فهذه الخلايا تضم المنضمين الى الحزب والموجودين في مكان معين حيث يمارسون اعمالهم وهكذا يمكننا ان نميز بين خلايا المصانع وخلايا المكاتب والادارة والمحلة والمنطقة •• الخ • وقد يحدث ان يكون في الشارع الواحد خليتان • ومما يؤخذ على الخلايا التي تقوم على اساس مهني انها تسقط المسائل السياسية العامة من اهتمامها لان اهتمام الاعضاء يكاد يكون محصورا في محيط عملهم •

فالعامل ولا ريب يحرص دوما على اثارة المناقشات اذا كانت تتعلق بتحسين حالة ورفع مستواه المعاشي او رفع اجور عمله ، وهذا ينطبق على الخلايا الاخرى التي يكون اعضاؤها ذوي مهن متشابهة • ولـــذا ارتؤى ان يكون اساس تنظيم الخلايا (المحلة) وبذلك يتهيأ للخلايا وجود مستوى منوع حيث تتوافر فيها مختلف الشخصيات واصحاب المهن المختلفة • فيجتمع الفـــلاح والاستاذ والمحامي والعامل والطبيب •• الخ • فذا ما اثيرت المناقشات فانها تكون متنوعة المواضيع وتعني بمختلف الشؤون الخاصة منها والعامة ، ويكون النقاش بالتالي عاملا على رفع المستوى الثقافي والفكري لاعضاء الخلية •

اما عدد اعضاء الخلية فانه ولاشك اقل كثيرا من عدد اعضاء القسم وقد لاحظ احد اعضاء الحزب الشيوعي الفرنسي في تقرير قدمه الى مؤتمر الحزب عام ١٩٤٥[1] والذى اسمه (موريس موفيه) ان وجود عدد من الاعضاء يزيد على المئة عامل يثبط من فعاليات الخلية ، وبالتالي يصبح في غير مقدورها القيـــام بواجباتها على الوجه المطلوب • وهو يرى ان اقتصار الخلية على عدد يتراوح ١٥ ـ ٢٠ عضوا احسن بكثير من احتوائها على عدد ضخم ، ذلك انه ينبغي على المسوءول عن الخلية ان يحيط علما باعضائها ويكون ملما بظروفهم المعاشـــية ومحلات اقامتهم وعملهم ، وحيث انه يتعذر على هذا المسوءول ان يحيط بظروف مائة عضو ، فحينئذ يكون اقتصار الخلية على عدد يتراوح ما بين ١٥ـ٢٠ عضوا هو سبيل افضل للقيام بالواجبات المطلوبة ولعل من المفيد ان نذكر ان عـــدد اعضاء خلايا الحزب الشيوعي الايطالي هو سبعة اعضاء فقط • امـــا الحزب الشيوعي العراقي فالخلية فيه يتراوح عدد اعضائها ما بين ٣ـ٥ اعضاء •

ولئن كانت اللجان من خلق الاحزاب المحافظة ، والاقسام من خلق الاحزاب الاشتراكية فان الخلايا من بدع الحزب الشيوعي الروسي اذ جاء في مقررات

---

(1) Maurice Duverger, Op. Cit., P. 59.

المؤتمر الثالث للشيوعية الدولية عام ١٩٢٤ وجوب الاخذ بنظام الخلايا من قبل كافة التنظيمات الشيوعية •

د ـ الميليشيا : وهي نوع من الجيش ولكنه خاص يعبيء الاعضاء ويعدهم اعدادا عسكريا ويخضعهم لنفس النظام الصارم الذى يخضع له الجندي ، اللباس والمظهر ، ولكن يظل هؤلاء الاعضاء مدنيين • والميليشيا هي من بدع الاحزاب الفاشستية ، صحيح ان هناك ميلشيا في الاحزاب سبقت الفاشستية الا كانت ثانوية الدور ، ولم تكن من الوحدات الاساسية لتكوين الحزب •

وما من حزب من الاحزاب قام تكوينه على الميليشيا قصرا ، فليس هناك حزب قام تكوينه على اساس الوحدات الاساسية بمفردها ، اللهم الا الاحزاب المحافظة في القرن التاسع عشر ، وهو استثناء لهذه القاعدة ، اذ قامت على اللجان فقط •

ونستطيع ان نتبين نوعين من الاعضاء في هذا التنظيم :

١ ـ الاعضاء العاملون

٢ ـ الاعضاء الاحتياط

في النوع الاول يقوم الاعضاء بأعمال ذات خطورة وتتعلق بحماية اجتماعات الحزب وضرب خصومه والعمل على نشر منشوراته وكذلك ترويج الدعاية له • اما الاعضاء الاحتياط فهم اولئك الذين تجاوزوا الخامسة والثلاثين من عمرهم ويشغلون وظائف معينة فيه او تكون هذه الوظائف اقل خطورة مما يقوم به الاعضاء العاملون عادة •

ولقد قامت الميليشيا بدور فعال في وصول موسوليني الى السلطة ، اذ ان زحفه على روما (١٩٢٢) واستلامه السلطة كان الدور الاول فيه للميليشيا وكذلك كان شأنها في تثبيت اقدام هتلر عند وصوله ـ هو الاخر ـ الى السلطة •

والحقيقة فان فكرة الميليشيا تقوم في المذهب الفاشستي على اساس ان

الطبقة المختارة هي التي يقوم عليها العبء الاول في توجيه المجتمع والسيطـــرة عليه ، وليس من ضير لهذه الاقلية ، وهي النخبة ، من استعمال اساليب العنف والقوة في سبيل اخضاع الاغلبية والحصول على اذعانها وتأييدها •

ويلاحظ ان الاحزاب الفاشستية ولا سيما الحزب النازي كان هو الآخر قد أخذ بنظام الخلية على صور موسعة ، كذلك أخذت احزاب كثيرة بنظام الميلشيا كالحزب المسيحي البلجيكي والحزب الاشتراكي النمساوي وكذلك الاحزاب الشيوعية في اوربا ابان الاحتلال النازي لها • وهذا مما دعى الاستاذ (موريس ديفرجيه) الى القول بان هناك ترابطاً عاما بين هاتين الوحدتين الميلشيا والخلايا • أليست الخلايا تتضمن التعبئة المدنية والميلشيا تتضمن التعبئة العسكرية[1] ؟

بهذا نكون قد انهينا دراسة الوحدات الاساسية للاحزاب السياسية وبذا يكون موضوع البحث القابل انما هو الارتباط العام •

---

(1) Maurice Duverger, Op. Cit., P. 60.

المبحث الثالث

الارتباط العام

اما واننا قد درسنا الوحدات الاساسية للاحزاب السياسية فانه يتعين علينا معرفة كيف يتسنى لهذه الوحدات ان ترتبط الواحدة بالاخرى مكونة في مجموعها حزبا سياسيا ثم كيف انها تقوم بواجباتها ونشاطاتها تحقيقاً لاهداف الحزب ؟ هذه الاسئلة هي التي يجيب عليه موضوع الارتباط العام • وفي الحقيقة فانه موضوع يملك اهمية سياسية خاصة على الرغم انه في مظهره يعطي أهمية فنية فحسب •

ان الاساس الذي يقوم عليه الارتباط العام هو التقسيم الاداري لدولة ما • فالعراق مثلا يتكون من أربعة عشر لواءا ، فاللواء اذن هو الاساس الذي يقوم عليه ارتباط الحزب بالنسبة لوحداته الاساسية فنرى ان الوحدات تثبت في النواحي والاقضية والالوية حيث تتصل كلها بالمركز العام في بغداد العاصمة • ففي كل حزب هناك القواعد الشعبية المنبثة في قطر ما وهذه ترتبط بدورها الى المنظمات التي هي اعلى درجة فالناحية حيث توجد وحدات أساسية حزبية فانها ترتبط فيما بينها مكونة فرع الحزب في الناحية حيث يرتبط بفرع القضاء وهذا بدوره يرتبط بفرع اللواء ، ثم ترتبط كل هذه الفروع في الالوية بالمركز العام • ولذا فان ارتباط الوحدات الاساسية يتخذ شكلا هرميا من القاعدة حتى القمة • والدول تختلف انظمتها الادارية ففي سويسرة مثلا يقوم النظام على أساس « الولاية »[1] وفي بلجيكا يقوم النظام الاداري فيها على اساس القسم ، وفي فرنسا تقوم على أساس اللواء حيث ترتبط الاقسام والخلايا بالفرع الموجود في اللواء وهكذا •• وفي هولندة يقوم التقسيم الاداري على المنطقة •

---

(1) Canton.

وكثيرا ما تأخذ بعض الاحزاب سبيلا يخرج بها عن هذه القاعدة فالحزب الشيوعي الفرنسي أخذ ـ ولمدة طويلة ـ بنظام المناطق التي هي تكوين حزبي وليس لها علاقة بالتقسيم الاداري • كذلك قسم الحزب الشيوعي العراقي الى ثلاثة مناطق شمالية ووسطى وجنوبية وهذا التقسيم انما هو الآخر لاغراض حزبية بحتة لا علاقة لها بالتقسيم الاداري • كذلك الحزب النازي فانه قسم المانيا الى (٢١) قسما ، كذلك في مناطق الحزب الاشتراكي الدمقراطي الالماني فانها لا تتفق مع التقسيم الاداري فيها •

ولابد لنا عند الحديث عن الارتباط العام من دراسة مواضيع عدة منها الارتباط الضعيف والارتباط القوى ، ارتباط أفقي وارتباط عمودى واخير المركزية واللامركزية في الاحزاب وهذا ما سنتناوله فيما يلي :

١ ـ الارتباط الضعيف والارتباط القوى :

هناك احزاب ارتباطها ضعيف وأخرى ارتباطها قوى ، فالاحزاب ضعيفة الارتباط ومثلها الحزب الراديكالى الاشتراكي الفرنسي ، نجد ان هذا الحزب يتكون أساسا من اللجان والاتحادات المختلفة للحزب مجتمعة • وليست هناك قواعد ثابتة ولا محددة لبيان كيفية تكوين الفروع والمنظمات التابعة لها • فكقاعدة عامة ، الاتحادات في الاقاليم وحدها لها حق الانخراط مباشرة لان النظام الاساسي لا يسمح بمشاركة لجنة الا اذا كانت مسجلة في فترة أو دورة الاتحاد • ولكن ليس هناك شيء محدد فيما يتعلق بالتكوين الداخلي بحيث ان كل اتحاد أو لجنة تستطيع أن تنظم نفسها بالشكل الذي تراه ، وارتباط اتحادات الاقاليم أو الفروع بالحزب ارتباط ضعيف • صحيح ان النظام الاساسي يتحدد تمثيلا معينا بالنسبة الى المؤتمر أو اللجنة التنفيذية غير ان ذلك ليس دقيقا • كان الحزب

الراديكالي قبل عام ١٩١٤ مكونا من منتخبي الحزب وممثلي الشعب واللجان واتحادات الفروع ولكن من غير تحديد عددهم ولا بيان كيفية تعيينهم أو ترشيحهم. أما الآن فان اعضاء الاتحادات أو اللجان اذا ما دفع أحد منهم بدل الاشتراك يحق له الحصول على بطاقة تخوله حق حضور جلسات المؤتمر .

اما فيما يتعلق بالمكتب التنفيذي أو كما يسمي (اللجنة التنفيذية) ، وهو يعد من أهم المنظمات فيه ، ليس هو الآخر بأحسن حالا من سابقيه ، فهذاالمكتب يضم اعضاء معينين بحكم النظام وكذلك اعضاءا منتخبين من قبل المؤتمر العام . اما اعضاؤه المعينون بحكم القانون فهم اعضاء مجلس الشيوخ واعضاء مجلس الجمعية الوطنية (النواب) الذين هم أعضاء الحزب ، والمستشارون العامون مستشارو المجالس البلدية للمدن التي يزيد عدد سكانها عن ٥٠٫٠٠٠ خمسين الف نسمة ، وكذلك الرؤساء أو نوابهم الحاليون والسابقون كذلك السكرتيرون العامون والسابقون ، ورؤساء وسكرتيرو الاتحادات الاقليمية . كان الاعضاء الذين ينتخبون من قبل المؤتمر العام قبل عام ١٩١٤ وعددهم اثنان لكل اقليم يزيد عدد سكانه على ٢٠٠٫٠٠٠ المائتي الف نسمة .

وبعد ذلك ينتخب المؤتمر لكل اقليم يزيد عدد سكانه على ١٠٠٫٠٠٠ مائة الف نسمة عضوا واحدا ، وكذلك عن كل ٢٠٠ من دافعي الاشتراك عضوا واحدا .

ولكن منذ عام ١٩٤٥ بقى الصنف الثاني هو المعمول به وهي تمثل ربع اللجنة التنفيذية ، اما ثلاثة أرباع اللجنة فانما يأتون عن طريق التعيين بحكم نظام الحزب . ومما لا شك فيه ان ثلاثة ارباع اللجنة التنفيذية ، وهم معينون وليسو منتخبين ، يعطي توضيحا باهرا لضعف الارتباط في الحزب الراديكالي الفرنسي . وهكذا عوضا من ان يعتمد الحزب على قواعده الاساسية التي تشكل قوته الحقيقية ، نجد ان هذا الحزب يضع مجموعات غير متجانسة

يربطها رباط واه ضعيف • وهذا الرباط الواهي يخفي في الحقيقة علاقات شخصية ومنافسات حزبية وصراعات كتل من الشخصيات •

اما الارتباط القوى والذي مثله الحزب المسيحي الاشتراكي البلجيكي فانه جد مختلف عن الارتباط الضعيف • ارتباط الحزب المسيحي الاشتراكي البلجيكي فيه تعليمات محددة ودقيقة بحيث يضمن مشاركة كل عنصر من العناصر الاساسية للحزب • فالاقسام المحلية تنتخب كل سنة ممثلين ، واحد لكل مائة عضو (أو اثنان كأقصى حد) • وهؤلاء الممثلون بضمنهم البرلمانيون واعضاء المجالس البلدية فهؤلاء يكونون الجمعية العامة حيث ينتخب من نطاقها رئيس واثنا عشر عضوا ، وهؤلاء بدورهم يختارون ستة اشخاص (يمثلون نصف العدد المنتخب) وهكذا من المجموع وعددهم تسعة عشر عضوا تتكون اللجنة المركزية في الاقاليم حيث تسير على ادارة شؤون الحزب المحلية فيها • وكل لجنة تنتخب نفسها ممثلين الى المؤتمر العام • وهكذا يختار عضو واحد من كل (٢٥٠) مائتين وخمسين عضوا في اقسام الحزب • ومن المؤتمر العام ينبثق المكتب الذي يشرف على ادارة شؤون الحزب بصورة دائمية الا وهو اللجنة الوطنية • وهذه اللجنة ممكن توسيعها في مجلس عام يضاف اليه رؤساء لجان الاقسام • وهذا المجلس العام انما هو وسط بين المؤتمر العام واللجنة الوطنية •

وما دمنا بصدد الحديث عن الارتباط القوي فانه يتبادر الى الذهن سؤال هل من علاقة بينه وبين الديمقراطية ؟ وبينها ـ أي الاخيرة ـ والارتباط الضعيف •

ليس من شك ـ كما رأينا ـ ان الارتباط الضعيف ليس ديمقراطي • ذلك ان تكوين الحزب الراديكالي الفرنسي يبعد ـ والى حد كبير ـ الروح الديمقراطية لانه يقوم على التعيين لان السلطة فيه تقوم على حفنة صغيرة من الشخصيات وليس للقواعد الحزبية أثر في هذا الاختيار •

اذن هل الارتباط القوي ديمقراطي ؟ قد يكون ديمقراطيا وقد لا يكـــون ديمقراطي ـ كما هو في الاحزاب الاشتراكية ـ حيث الانتخاب على كافة القواعد ـ من القاعدة حتى القمة • الى جانب مراقبة صارمة ودقيقة الى التمثيل وكذلـك التصويت فهذه الامور ولا شك تخلق جوا ديمقراطيا باهر الوضوح •

اما في الاحزاب الديمقراطية والمسيحية (الترشيح ـ في حالة الحزب المسيحي الاشتراكي البلجيكي) فان الترشيح عامل يحدد ويقيد كثيرا من الديمقراطيـة كذلك الاحزاب الشيوعية ، التي هي الاخرى قوية التنسيق ، فالتعيين فيها ـ تعيين القادة من قبل المركز ـ يفضي الى خلق تحكم وتسلط واضح • وهكذا تغـــدو صفة الارتباط القوي سبيلا يحد بل يقضي على الديمقراطية ويقوي من سيطرة القادة على القواعد الحزبية •

انه من المناسب ان نتساءل هل هناك من عوامل تدفع احزابا الى القـــوة والضعف في الارتباط ؟

ربما تسهم طبيعة البلد وتقاليده وظروفه الى حد ما ولكن هذا ليس بعامـــل كبير ، فالاحزاب الاشتراكية الاسكندنافية أقوى ارتباطا من الاحزاب الاشتراكية اللاتينية (جنوب اوربا) والاحزاب الايطالية أقل ارتباطا من الاحزاب الفرنسية ولكن ذلك ليس بدائم اذ لو أخذنا الحزب الشيوعي الفرنسي أو الايطالي فانـه ولا شك أقوى ارتباط امن الاحزاب الاشتراكية في المانيا أو الدول الاسكندنافية والحزب الاشتراكي الفرنسي أقوى ارتباطا من حزب المحافظين البريطاني •

ربما ايضا يمكننا اعتبار بعض الظروف التاريخية عاملا من عوامل اتجاه حزب معين نحو الارتباط القوي • فالصراع السرى في أوربا عندما كانت تحت احتلال المانيا النازية فان العمل السري قد دفع الاحزاب الى ان ترتبط ارتباطا قويا •

كذلك يلعب النظام الانتخابي دورا ملحوظا في ذلك • على ان العنصر الرئيسي الذي يدفع حزب نحو الصلابة في الارتباط انما طبيعة الحزب نفسه أي طبيعة الوحدات الاساسية التي يقوم عليها • فالاحزاب المحافظة التي تعتمد على اللجان انما هي احزاب ضعيفة الارتباط • اما الاحزاب الاشتراكية التي تقوم على الاقسام فانها قوية الارتباط • والاحزاب الشيوعية التي تقوم على الخلية وكذلك الاحزاب الفاشستية التي تقوم على (الميلشيا) تعتبر قطعا أقوى الاحزاب ارتباطا • وما دمنا بصدد الحديث عن الاحزاب الفاشستية فان الحزب الفاشستي الايطالي كان أضعف قليلا • من حيث الارتباط ـ من الحزب الالماني ـ • فهنا تدخل طبيعة الشعب الالماني وحبه للنظام كعامل في ذلك •

٢ ـ الارتباط العمودي والارتباط الافقي :

لابد لاعطاء صورة واضحة عن الارتباط العام للاحزاب السياسية • ذلك ان الارتباط القوي والارتباط الضعيف لا يعطيان هذه الصورة الواضحة بل انها تصنف الاحزاب ولذا فان من الضروري دراسة الارتباط العمودي والافقي ـ حتى الى جانب دراستنا لمركزية الاحزاب واللامركزية نكون قد ألمنا بالموضوع الماما كافيا •

ترى ما المراد بالارتباط العمودي ؟ يراد به تلك العلاقة التي تربط منظمتين تنفرد الاولى بالسلطة على الاخرى • فتمتلك الاولى القدرة على التوجيه والامر وتخضع الثانية اذعانا وطاعة • والارتباط العمودي معروف ولكن الحزب الشيوعي اسهم الى حد ملحوظ في تحسينه وتأسيس أصوله • كمثل اتباع اتحاد اقليمي الى اللجنة المركزية أو قسم حزبي يتبع نوع الحزب وهكذا •

اما الارتباط الافقي فهو على العكس من الارتباط العمودي حيث في الاول نجد ان هناك منظمتين على قدم المساواة لا استعلاء للاولى على الاخرى ، ولا سيطرة لها على الثانية • مثل العلاقة بين قسم وقسم أو اتحاد لحزب ما في لواء

مع آخر • فالاحزاب التي تتبع الارتباط العمودي فان هذا الارتباط لا يترك مجالا لتطبيق الارتباط الافقي • فالاحزاب عمودية الارتباط لا تستطيع الوحدات الاساسية وقواعدها الانتقال فيما بينها الا عن طريق القمة • وهـذا يفـرض ـ بداهة ـ عدم امكانية ظهور ارتباط افقي كما اسلفنا من قول •

ان الاحزاب الشيوعية ـ و لاسيما الروسي ـ يعطينا فكرة توضيحية لانـه يقوم على ارتباط عمودي متكامل • فخلايا الحزب الشيوعي لا تستطيع الاتصال فيما بينها الا عن طريق القسم الذي يكون الجهاز الاعلى للخلايا •

ومن مزايا هذه الطريقة انها تحول دون خلق انقسام في الحزب أو تكوين (فئات) داخل الحزب فلو حدث انقسام في خلية أو انشقاق فان ذلك لن يحدث في نطاق الخلايا المجاورة • كذلك فانها تؤدي الى وحدة الحزب وهذا الارتباط يتساوق كثيرا مع طبيعة العمل السري •

وليس الارتباط العمودي وقفا على الاحزاب الشيوعية بل عرفتها الاحزاب الفاشستية والنازية فالحزب النازي كان يقوم أساسا على الارتباط العمودي • كذلك الحزب الاشتراكي الالماني قبل صدور قانون الجمعيات الذي أصـدره بسمارك كاجراءات ضد الاحزاب وتقييدها فقد دفعت هذا الحزب الى اتباع طريق يقوم على الارتباط العمودي هي الاخرى • فكانت كل مجموعة محلية من هذا الحزب تنتخب في اجتماع عام (رجل ثقة) ومن اجتماع هؤلاء يتكون جهـاز الحزب • فليس لاقسام الحزب الاشتراكي الالماني الاتصال فيما بينها وانما يتم ذلك عن طريق رجال الثقة • ومن الواضح ان قوانين بسمارك كانت مناهضـة للاشتراكية وكان يهدف منها القضاء على الاحزاب الاشتراكية •

اما بالنسبة للاحزاب المباشرة ، فان الارتباط الافقي يحتفظ بأهمية خاصـة ليس كطريقة للاتصال الداخلي وانما في علاقات خارجية مع المنظمات الاخرى • فكثيرا ما تعمد هذه الاحزاب الى اتباع الارتباط الافقي لكي تسيطر على المنظمات

الملحقة للحزب أو لغرض ضرب حزب معارض ، لضم الاولى والسيطرة عليها من قبل القادة • ولاغراق الحزب المعارض بدعاية سياسية يقوم بها الاعضاء • وهكذا يصل الى قيادة المنظمات الملحقة قادة من الحزب نفسه •

وكثيرا ما يكون الارتباط خفيا كما في حالة النقابات والجمعيات الثقافية والرياضية فانها في الاصل أو في الظاهر ـ رسميا ـ مستقلة عن الحزب ولكن في الحقيقة والواقع جميع المناصب الرئيسية في هذه المنظمات والجمعيات انما هي بيد الحزب •

بعد ان انهينا بحث موضوع الارتباط العمودي والارتباط الافقي فان ذلك يقودنا الى الحديث عن المركزية واللامركزية في الاحزاب •

٣ ـ المركزية واللامركزية :

هل ان المركزية تعني الارتباط العمودي ؟

وان اللامركزية تعني الارتباط الافقي ؟

لئن تلتقي الفكرتان معا في بعض النقاط فانها تختلف من حيث الاصل • ذلك ان الارتباط العمودي والارتباط الافقي تتعلقان ـ والى حد كبير ـ بعملية « التنسيق » بين الوحدات الاساسية المكونة للحزب • اما في حالة المركزية واللامركزية فانها تبحث في كيفية توزيع السلطة على مختلف مستويات القيادة •

وكما ان الدول تختلف في اخذها بالنظام المركزي واللامركزي في ادارة شؤون الدولة على الصعيد القومي والمحلي • كذلك تختلف الاحزاب السياسية هي الاخرى •

فالاحزاب المركزية هي التي يكون المركز جهة الاختصاص في اصدار القرارات وتوجيه نشاطات الحزب المختلفة • واللامركزية تعني اعطاء قدر كبير من الاستقلالية للفروع تتولى بنفسها معالجة مشاكل الحزب وتدير شؤونه المختلفة• واللامركزية في الاحزاب تتخذ انماطا أربعة هي :

آ ـ اللامركزية المحلية •
ب ـ اللامركزية الايديولوجية •
ج ـ اللامركزية الاجتماعية •
د ـ اللامركزية الاتحادية •
وسنتولى شرحها تباعا •

آ ـ اللامركزية المحلية : ان مفهوم اللامركزية يتساوق مع (المحلية) وهي تقوم على أساس ان القادة المحليين لحزب ما يتمتعون بسلطة واسعة في اتخاذ القرارات المهمة ومعالجة مشاكل وتصريف أمور الحزب المحلية • وليس للمركز من سلطة عليهم الا ضئيلة •

وقد تتساوق فكرة اللامركزية المحلية مع ارتباط ضعيف كما تتساوق مع فكرة الارتباط القوي • مثل الاولى الحزب الراديكالي الاشتراكي الفرنسي وكذلك الاحزاب الامريكية ومثل الثانية الحزب الاشتراكي الفرنسي •

وتلعب اللامركزية المحلية دورا خطيرا في الاتجاهات السياسية للاحزاب ولكن لما كانت اهتمامات (الفروع) الحزبية عليه لذا فان عيبها يكمن في «محلية» اهتمامها وضيق نشاطاتها واسقاطها الاعتبارات السياسية والقومية والدولية من هذا الاهتمام •

وان الاعتبارات المحلية الضيقة ربما تفسر لنا الكثير من الحياة السياسية الفرنسية تحت ظل الجمهورية الثالثة وكذلك الاتجاهات السياسية الامريكية •

ب ـ اللامركزية الايديولوجية :

وهذا النوع من الايديولوجية يقوم على فكرة تمتع الفئات أو « الاتجاهات » في داخل حزب معين بحرية ملحوظة تقوم على استغلالها وتأكيد شخصيتها الى حد ما ، اذ مما لا ريب فيه ان داخل كل حزب تيارات واتجاهات فكرية مختلفة• فالحزب الاشتراكي الفرنسي قد طور هذا النمط من اللامركزية كثيرا • اذ كانت الاتجاهات الفكرية السياسية تتمتع في داخل هذا الحزب بتنظيم قوى حتى

عام ١٩٤٥ حيث مثلت هذه القوى في اللجان الادارية للحزب • وقد الغي النظام الجديد للحزب هذه القاعدة • ولكن ـ عملا ـ ظلت بها معمولة • في الحقيقة والواقع فان اغلب الاحزاب الاشتراكية المباشرة قد عرفت هـذا النـوع من اللامركزية • فما البولشفيك الا اتجاه (الاغلبية) في نطاق الحزب الشيوعي السري في روسيا والمنشفيك الا اتجاه (الاقلية) • وعند وصول الحـزب الى السلطة فقد ظلت هذه الاتجاهات موجودة ولقد عمل الحزب طـويلا لجعلها « مركزية ايديولوجية » حيث تم له ما اراد عام ١٩٣٦ •

ولئن كان عيب هذا النمط من اللامركزية انها تفضي الى الانقسام أو حدوث الانشقاق في وحدة الحزب فان محاسنها لمثيرة اذ انها تؤدي الى خلق جسـر فكري يقوم على المناقشة وهذا ما يؤدي الى توسيع آفاق العضو الحزبي ـ الفكرية والسياسية ـ الى جانب اهتماماتها بالمسائل السياسية العامة •

ج ـ اللامركزية الاجتماعية : وهذه تقوم بداهة على طبقة اجتماعية معينة ولذا فانها تتعلق بالاحزاب غير المباشرة (كالاحزاب الكاثوليكية) فهذه تقوم على اعطاء صلاحيات واسعة الى الاقسام التعاونية •

ويشوب هذه الطريقة من اللامركزية عيب الاهتمام بمصالح فئة خاصة لذا فان اهتماماتها هي الاخرى ـ كاللامركزية المحلية ـ خاصة وليست عامة تخص فريقا أو طبقة اجتماعية كالفلاحين (المزارعين) • ولكن يظل نطاق وطبيعـة الاهتمام مختلفا في اللامركزية الاجتماعية عنها في المحلية • وذلك لان العمل وتقسيم العمل وكذلك التقدم العلمي كل هذه عوامل تخفف في هذا العيب • وهكذا تغدو اللامركزية الاجتماعية اكثر فعالية من المحلية حيث ان الاخيرة تكون المصالح اقليمية بحتة • كذلك تسهم في معالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ولكن من دون وصول الى حلول جذرية في هذا الشأن • لان كل « جماعة » ترى وسائلها أصوب من غيرها وأحق بالاهتداء والاتباع •

اما عيبها فهي تفضي ـ كما هي الحالة في اللامركزية الايديولوجية ـ الى الانقسام والانشقاق • وحزب الكتلة الكاثوليكية البلجيكي خير مثال على ذلك •

د ـ اللامركزية الاتحادية : قد يقوم في الاحزاب تنظيم سياسي حزبي يعكس التنظيم الاتحادي لدولة ما • ففي سويسرة حيث النظام الاداري فيها يقوم كما رأينا ـ على الولاية ، ففي كل ولاية تشكل الجماعات الوطنية قاعدة للاختلاف السياسي والاداري للدولة الاتحادية • فاستقلالها داخل الحزب يكاد يقرب اللامركزية المحلية حيث لكل ولاية نظامها الخاص بها وهذا ما يسمح ـ ولا شك ـ بان يفصح كل فريق سياسي عن رأيه أو يعبر عن أصالته وشخصيته داخل المنظمات الحكومية •

وفي نطاق دولة ما حيث توجد جماعات من الناس مختلفة العنصر فان هذا الاختلاف العنصري يفضي الى عدم ظهورها مجتمعة وانما موزعة • وهذا واضح في الاتحاد الذي كان واقعا بين النمسا وهنغاريا قبل عام ١٩١٤ حيث كان الحزب الاشتراكي موزعا في سبعة منظمات مستقلة تمثل الجماعات المختلفة وهم : الالمان ، الهنكاريين ، الجيك ، الروتين ، السلوفاين ، الايطاليون ، البولونيون •

كذلك حزب الكتلة الكاثوليكية البلجيكي حيث أعيد تنظيمه عام ١٩٣٦ على اساس اتحادي حيث نجد قسمين فيه : الحزب الكاثوليكي الاشتراكي (الفالون اهل بروكسل) ولكن الحرب حالت دون ذلك ولكنها أدت الى خلق الحزب الاشتراكي الذي يضم جناحين الاول (فلاماند) والثاني (الفالون) وكلا الجناحين الممثلين في اللجنة العمومية والمجلس العام يضم عددا مساويا • وكل جناح يعقد اجتماعا منفصلا عن الآخر •

وكثيرا ما تعلن الاحزاب انها لامركزية في نظامها الاساسي وهي في حقيقة الامر وجوهره مركزية • ذلك ان الاحزاب تحرص على اكتساب الشخصيات المحلية البارزة فاعلانها (لامركزية) سبيل يقنع هذه الشخصيات البارزة الى ان لها دورا رئيسا وقياديا ولذا فليس من ضير ولا خطر عليه من انضمامها الى حزب ما •

واحزاب أخرى تعلن صراحة انها مركزية ولكن تغطي هذه المركزية

بثوب مغر • كالحزب الشيوعي الروسي حيث يعلن انه يتبع (المركزية الديمقراطية) وهذا يجرنا الى الحديث عن المركزية •

يمكن القول ان هناك نوعين من المركزية هما :

١ – مركزية اوتوقراطية •

٢ – مركزية ديموقراطية •

في الاولى يراد بها ذلك النمط من الادارة حيث تكون القرارات صادرة وموجهة من أعلى وتطبيق هذه القرارات في المناطق المحلية يخضع هو الآخر الى مراقبة ممثلين تعينها وتختارها القمة • كالاحزاب الفشستية والنازية • وكذلك حركة تجمع الشعب الفرنسي التي انشأها الجنرال ديغول • فالى جانب كل مجلس اقليمي نجد ان هناك ممثلا من قبل المركز هو الذي يمتلك السلطة الحقيقية وما المكتب أو المجلس الاقليمي الا سلطة استشارية •

اما المركزية الديمقراطية – وهي النوع الثاني – فان الحزب الشيوعي الروسي الذي يتخذها كقاعدة أساسية له فهو يرى – لغرض تطبيقها – انها تقوم على ما يلي :

١ – وجوب استطلاع رأى القاعدة على مختلف درجاتها في كل قرار يريد ان يتخذه المركز •

٢ – عند صدور قرار من المركز ينبغي على القواعد الشعبية كافة الخضوع •

٣ – خضوع الاقلية الى رأي الاغلبية •

وهنا ينبغي الوقوف قليلا اذ ان جهة الاختصاص في اصدار القرارات انما هو المركز • معنى ذلك ان الحزب الشيوعي السلطة فيه مركزية • وهي ديمقراطية لان القرارات انما تتخذ بعد معرفة الآراء المختلفة للقواعد الحزبية • ولكن يفترض ان المناقصة تجري قبل اتخاذ القرار ولكن الذي يحدث دوما هو صدور القرار ! ثم من الذي ينقل المناقشة على صعيد الخلايا ؟ ان الذي ينقل ذلك انما القادة المحليون وهؤلاء انما تنتخبهم القواعد ولكن مسؤوليتهم انما هي

امام الجهات الاعلى وليس امام تلك القواعد • ثم ان المناقشـــه ينبغي الا تمس ايديولوجية الحزب وهي « المبادىء الماركسيه ـ اللينينيه » • وهكذا يتضح ان هذه « المركزية الديمقراطيه » ما هي الا تغطية لمركزيه واضحه •

بعد ان اوضحنا المركزية واللامركزيه في الاحزاب ترى ما هي العوامل التي تدفع حزبا الى ان يكون ارتباطه مركزيه او ارتباطا لامركزيا ؟

هناك عوامل مختلفة منها :

١ ـ تاريخية : وهي تلك التي تتعلق بكيفية نشوء الاحزاب فلقد لوحظ ان الاحزاب التي يرجع نشؤوها الى كتلة برلمانية أو انتخابيه فهذه الاحزاب تميل الى اللامركزية اما الاحزاب التي تكونت بفعل عوامل خرجية (كما درسنا ذلك) فانها تميل الى المركزية لان هذه الاحزاب انما ولدت في الحقيقة ـ بقرار من قبل المركز وليس القاعدة •

٢ ـ عامل الدين : الاحزاب التي تتكون بتأثير الدين تميل واضحا الى المركزية • ذلك ان للدين اثرا بالغا في التأثير على الاعضاء ، ايمانا وخضوعا ، ولـذا فان هذه الاحزاب تعرف بمركزية شديدة مثلهـــا الاحزاب الكاثوليكية وكذلك حزب الاخوان المسلمين •

٣ ـ عامل المال : حيث يوجد المال توجد الســـلطة ومن يمتلك المـال يمتلك السلطة •لذا فان المال يلعب دورا خطيرا جدا في حياة الاحزاب السياسية •

ففي الاحزاب المحافظة حيث يقوم ـ في العادة ـ المرشحون انفسهم بتمويل عملية الانتخاب لذا فان اللجان المحلية تعتبر اكثر ثراءا من ـ المركز ـ لذا فان المرشحين المحليين يمتلكون القدرة على التأثير على المركز • في حين لو ان المركز هو جهة الانفاق على العمليات الانتخابية لذا فان المركز يتمتع بمركز مرموق في التأثير على مختلف الجماعات المحلية •

٤ ـ نظام الانتخاب : كذلك يلعب نظام الانتخاب دورا معينا في اتجاه حزب نحو

المركزية أو اللامركزية فالتصويت الموحد بالاغلبية يفضي الى اللامركزية • لان هذه العملية تعطي الارجحية الى الشخصيات المحلية معنى ذلك استقلالية واضحة الى الهيئات المحلية وفروع الاحزاب ولكن التصويت بقائمة يفضي هو الاخر ـ نسبيا الى اللامركزية • ذلك ان الاحزاب التي تعطي اهمية ثانوية للانتخاب تكون مركزية الاتجاه • فالاحزاب الفاشستية وكذلك النازية التي لا تقوم على الانتخاب انما السلطة متمركزة ومركزية كذلك الحزب الشيوعي • والحقيقة ان الاحزاب تتجه دوما الى المركزية •

الفصل الثالث

العضوية في الاحزاب

لابد لنا ـ ونحن ندرس الاحزاب السياسية ـ من معرفة العضوية كذلك معرفة من هو العضو الحزبي وهل هناك درجات لهذه العضوية أم لا ؟

ذلك ان العضوية تختلف من حزب لاخر وشروط قبول العضو هي الاخرى مختلفة وهذا يؤدي الى ان العضو يختلف من حزب لاخر • فمفهوم العضوية في الحزب الشيوعي تختلف عن مفهوم العضوية في حزب الاشتراكي •• الخ •

والواقع فان في نطاق كل حزب سياسى نجد انواعا مختلفة او اصنافا للعضوية فحزب العمال البريطانى ومنذ عام ١٩١٨ يعرف نوعين من الاعضاء : فرديين واعضاء مجموعة • اما الاحزاب المباشرة فهي لا تعرف الا نوعا واحدا من الاعضاء الا وهو الاعضاء الفرديين وهذا ما يضفي على تلك الاحزاب تناسق العضوية والاعضاء • ومع ذلك فان هناك اعضاء • كما ان هناك مؤيدين أو مؤازرين كما ان هناك الدعائيين وكذلك « الجنود » في الحزب او المجاهدين •

ينبغي قبل الحديث عن طبيعة المشاركة وتبيان ماهية العضوية ودرجاتها وكذلك شروطها من القول انه على أثر اضمحلال شأن الدين في اوربا ان ظهر دين جديد وهو « سياسى » ولذا فلقد غدت المعتقدات السياسية سمة مميزة للحياة الاوربية وتراجع الدين كعامل مؤثر في الحياة السياسية • كذلك ادت الثورة الفرنسية والثورة الصناعية الى الاهتمام بالجماهير ولذا فان ظهور الجماهير على المعترك السياسى الاوربي ميزة ثابتة تتصف به االحياة السياسية هناك •

وهكذا لعبت الايديولوجية فعلها في الجمهور فانطلقت احزاب جديدة تتميز بايديولوجية وتنظيم حزبي قوى وغدا هذا التنظيم عامل جذب واخضاع لتلك الحشود من الجماهير في حين ان الاحزاب القديمة كانت تتصف بالركود

وتنظيم ضعيف وارتباطاتها لامركزية اذ ليست هناك ايديولوجية تشد الاعضاء الى الحزب • وهكذا عرفت الاحزاب الكلية نظاما يشبه النظام العسكري بالنسبة للجيوش حيث الطاعة والاذعان قانون اساسى يسود ويشد القواعد الحزبية بعضها الى بعض امتثالا للقمة •

المبحث الاول

فكرة العضوية

لا شك ان « الاعضاء » يشكلون المادة الاساسية الحية للاحزاب السياسية وعليه فان موضوع « العضو » و « العضوية » ذات اهمية كبيرة في دراستنا للاحزاب ولابد لنا من التفريق بين العضو والمؤازر (وقد يسمى احيانا نصير) فالعضو هو ذاك الذى ارتضى طواعية ـ ايمانا منه بمبادىء الحزب ـ الدخول في حزب والخضوع الى الانظمة المرعية عاملا على نشر مبادىء الحزب والدفاع عن مصالحه • اما المؤازر فهو ذاك الذى يعلن تأييده الى مبادىء حزب معين ولكن يظل خارج منظمة الحزب • وهكذا يتضح الفرق بين الاثنين وهو ان المؤازر ليس بعضو حزبي • ولكن هذه الفروق تتضاءل شيئا فشيئا كلما راح المؤازر مؤيدا ومدافعا عن الحزب ومبادئه •

وفي الحقيقة والواقع ان اختلاف العضوية يرجع الى المنظمة الحزبية نفسها ذلك ان الاحزاب القديمة في اوربا ليس مفهوم العضوية فيها كما هو مفهومها في الاحزاب الاشتراكية او الشيوعية او الفاشستية • هذا الخلاف في مفهوم العضوية يجرنا الى الحديث عن احزاب اشخاص واحزاب جماهير •

احزاب اشخاص وأحزاب جماهير :

لكي نعطي صورة واضحة عن الفرق بين الاثنين ، لابد لنا من عقد مقارنة بين حزبين يمثل كل واحد منهما هذين النوعين من الاحزاب (اشخاص وجماهير) •

فاحزاب الاشخاص (ومثلها حزب المحافظين البريطاني) تحرص كل الحرص على اكتساب الشخصيات البارزة والتي من اجتماعها تكون طبقة تعمل على كسب الانتخابات • فالمهم في هذه الاحزاب انما هي الصفات الشخصية

للعضو كمركزه الاجتماعي او مكانته السياسية او كونه سليل اسرة غنية • وهكذا تلعب الاسماء ـ والتي لها رصيد كبير ـ اثرها في عملية الفوز بالانتخابات • حيث يتوافر للجماعة الاولى شخصيات بارزة (غنية) تتولى الاشراف على عملية الانتخاب وتنظيم الحملة الانتخابية ثم يأتي دور الشخصيات المالية حيث تقوم بعملية تمويل الحملات الانتخابية والانفاق عليها • وهكذا يتضح ان هذا النوع من الاحزاب يقوم دوما بالاختيار • وفكرة العضوية فيها انما هي شخصية ، تبنى الاختيارات فيها على المركز المرموق الذى يشغله فرد ومركزه المالى •

وهكذا تكون العضوية ـ والى حد كبير ـ مغلقة الا في وجوه من تتوافر فيه هذه الصفات • واذا كان مفهوم العضوية ينصب على ان فردا يرتضي طواعية التوقيع على طلب يتعهد فيه بالامتثال الى قرارات الحزب والايمان بمبادئه ثم انه يقوم بدفع بدل الاشتراك فان هذا المفهوم لا ينطبق على الاحزاب المحافظة • اذ ليس هناك اعضاء • وبالمناسبة فلقد نشرت عام ١٩٣٩ مقالتان عن الحزب الراديكالى الاشتراكي الفرنسي ذكر فى الاولى ان عدد اعضائه (٨٠٫٠٠٠) وفي الثانية ٢٠٠٫٠٠٠ ، فحيث يتعذر معرفة عدد اعضاء حزب بالضبط معنى ذلك ان لا اهمية لهذا الامر مطلقا في مفهوم هذه الاحزاب • لان هذا الحزب ـ وكذلك الاحزاب المحافظة في اوربا وامريكا ـ لا يهمها أمر الحصول على الاعضاء قدر اهتمامها بالحصول على شخصيات بارزة •

اما احزاب الجماهير فالامر جد مختلف • فعدد الاعضاء يشكل امرا جوهريا فى الحزب على النطاقين السياسي والمالي • فمن الناحية السياسية فان احزاب الجماهير يهمها الجمهور لذا فهى تحرص على تثقيفه ثقافة سياسية ولذا فان الثقافة السياسية لها اهمية بالغة في حياة هذه الاحزاب • اذ تحرص على تكوين « نخبة » من بين الطبقة العاملة قديرة على ان تتولى المسؤولية جديرة بأدارة ماكنة الدولة • ولذا فان الاعضاء هم « مادة » الحزب وبدونهم لا يكتب لهذا الحزب الحياة أو

البقاء فمثله كمثل محاضر وليس في القاعة مستمع كريم واحد « أو كعود بلا وتر » .

اما من الناحية المالية ، فان الحزب يعتمد في تكوين ماليته على الاشتراكات التي تقدم من قبل الاعضاء ، عكس الاحزاب المحافظة حيث تقوم العطايا والهبات والتبرعات مقام الاشتراكات وهكذا تحرص على تكوين « ماليتها » حتى تستطيع أن تحقق رغبتها في التثقيف والتوعية السياسية . وتضمن نشاطها الحزبي . وكذلك الانفاق على عملية الانتخابات . ففي الانتخابات تنطلق الاحزاب الجماهيرية في نداء الى جماهيرها طالبة التبرع بقدر معين للمساهمة فى عملية تمويل الانتخابات وهي بذلك تؤمن عدم وقوعها تحت نفوذ ـ الرأسماليين ـ واصحاب المشاريع والبنوك ـ كما هي الحال في احزاب الاشخاص . وهكذا تخضع احزاب الاشخاص الى سيطرة الرأسماليين حيث يشكل المال السلطة الحقيقية فيها في حين ان احزاب الجماهير مستقلة فلا تخضع الى ارباب المال . ان الامثلة على احزاب الجماهير كثيرة منها الاحزاب الشيوعية ، الاحزاب الفاشستية وكذلك الاحزاب الاشتراكية .

اما احزاب الاشخاص فامثلتها الاحزاب المحافظة فى اوربا وكذلك الاحزاب الامريكية . وهناك احزاب وسط تقف بين الاثنين ، مثلها الاحزاب غير المباشرة . غير انها لا تشكل ـ كما يرى البروفسور ديفرجيه ـ نوعا ثالثا لها .

ولقد كان لتطبيق الاقتراع العام اثر لا يجحد في قيام احزاب جماهيرية . فعلى اثر تطبيقه قامت احزاب اشتراكية في اغلب الدول عدا الولايات المتحدة الامريكية ، حيث ان الظروف الاجتماعية والسياسية فيها لا تساعدان على ذلك .

ويبدو جليا وقاطعا ان التفريق بين الاحزاب الجماهيرية واحزاب الاشخاص انما يقوم على أسباب اجتماعية وسياسية . فلو اعتبرنا الاحزاب الجماهيرية (ثورية) واحزاب الاشخاص (محافظة) فان الاخيرة ليست بحاجة ـ لا سياسيا

ولا ماليا ـ الى تجميع الجماهير فى نطاقها لان هذه الاحزاب تمتلك اشخاصا وذوى مال ونفوذ وغير يمكنهم من تمويل اية عملية سياسية يريدونها .

كذلك يرتكز التفريق بين الاثنين على طبيعة التكوين الحزبي . فاحزاب الاشخاص تتناسق وتتطابق مع احزاب اللجان ، ذات الطبيعة المحافظة ، ضعيفة الارتباط لا مركزية . اما احزاب الجماهير فهى ترتكز على الجماهير ـ بقاءا وثباتا ـ فكلما كان وعاؤها من الجماهير كبيرا كلما طال عمرها وظل سلطانها . ولذا فأن الاقسام تتناسق وتتطابق مع طبيعة احزاب الجماهير اذ انها قوية الارتباط مركزية السلطة .

أما الاحزاب الشيوعية التي تقوم على الخلايا ، فصحيح انها من الاحزاب الجماهيرية قطعا غير انها ـ عمليا ـ تقوم وفي كل يوم بعمليات التطهير في صفوفها وقواعدها الحزبية . فحيثما وجد من يشتبه في ايمانه ومن يشك في اخلاصه ومن يطعن في قدرته طهر من صفوف الاحزاب الشيوعية . وهكذا تبتعد الاحزاب عن الجماهير ـ كعدد وكمية ـ وتقترب من النوعية وهذا ما يجعل وعاء الحزب أو عدد اعضائه قليلا ، ناهيك عن الاجراءات التي تتبع في قبول العضو حيث يخضع الى اجراءات صارمة لا تسمح لكل من هب ودب الانخراط في صفوفه وهذا ما يقودنا الى القول ان هناك احزابا العضوية فيها تقوم على الايمان المطلق بمباديء الحزب وأحكامه .

معيار العضوية :

يختلف الامر في احزاب الجماهير عنه في احزاب الاشخاص . ذلك ان الاولى تعرف له وجودا وتحدد له قواعد ثابتة . اما احزاب الاشخاص فانها ـ كما رأينا ـ لا تعطي اهمية الى اجراءات العضوية ومعيارها .

ففي احزاب الجماهير لابد لطالب العضوية من طلب موقع عليه من قبله يعلن فيه عن استعداده للعمل وقبوله ايمانا لمبادىء الحزب ودفعه بدل الاشتراك المعين ولذا فان من يرغب في الانتماء الى حزب عليه ان يملأ « استمارة » مطبوعة فيها نص صريح باحترام انظمة الحزب والعمل على نشر مبادئه وهناك فراغ

مخصص لكتابة اسم الراغب في الانتماء ثم يوقع على الاستمارة • وليس من شك في ان الدليل الخطي اقوى من اى دليل سواه • وهذا ما تأخذ به التشريعات الحديثة بما فيها القانون المدني العراقي •

وهناك أهمية خاصة لاستمارة الطلب :

آ ـ انها اقرار خطي صريح بالانتماء والارتضاء بما يصدر من قرارات حزبية •

ب ـ انها وهي مرقمة ـ تعطي عدد اعضاء الحزب •

وهناك نوعان للانتماء : انتماء مفتوح ، وانتماء مشروط •

الانتماء المفتوح : الاصل في هذا النوع من الانتماء قيامه على حرية الدخول من غير تعقيد ولا شروط سوى توقيع استمارة الانتماء واستعداده لدفع بدل الاشتراك • ولذا فان هذا النوع من الانتماء يقوم على فتح (الباب) باب القبول على مصراعيه للراغبين دونما قيد أو شرط •

الانتماء المشروط : وهذا يقوم بداهة على ان القبول في الحزب ليس سهلا اذ لابد من توافر شروط معينة ثم يسمح بعد ذلك بقبول العضو • وهناك نوعان من الاجراءات : طلب يقدم من الراغب في الانتماء ، ولجنة فحص الطلبات تصدر قرارها في ذلك • وهذه اللجان محلية أي في كل فرع من فروع الحزب توجد لجنة مختصة بذلك ، ويمكن في حالة الرفض الطعن في القرار لدى الجهات الاعلى في السلم الحزبي • وفي هذا الانتماء المشروط ينبغي أن يكون الطلب ـ مثلا ـ مشفوعا بتوصية من قبل عضوين من الحزب مضت عليهما مدة معينة ، يشهدان بتزكية صاحب الطلب ويثمنان قابلياته السياسية والشخصية •

حتى اذا ما قررت اللجنة المعنية قبول عضو ما ، تعطى له (بطاقة حزبية بأسمه • اما الهوية الحزبية فهي ـ محكومة ببدلات الاشتراك في الحزب ـ أما أن تكون سنوية أو شهرية والاحزاب تتفاوت اشتراكاتها فالاحزاب المحافظة لا تعطي أهمية كبيرة الى الاشتراكات ، ذلك ان ماليتها تأتي ـ كما رأينا عن طريق الهبات والعطايا والتبرعات • اما الاحزاب العمالية مثلا فانها تعيش على بدلات الاشتراك ولذا فلها دور وأهمية في حياة هذه الاحزاب •

وفي الحقيقة فان الحديث عن معيار العضوية في الاحزاب يصدق ـ وينطبق فقط ـ على الاحزاب الجماهيرية ذات التكوين المباشر • حيث نستطيع القول بان هذا المعيار يتلخص في طلب مقدم موقع عليه مع استعداد لدفع بدلات الاشتراك •

درجات العضوية :

ان الانتخاب من الاعمدة الرئيسية التي ترتكز عليها ديمقراطية الغرب • ولما كانت الاحزاب تتصارع دوما وصولا الى السلطة كلما حدث انتخاب عام أو فرعي لذا فان « الناخب » يلعب دورا بارزا في حياة الاحزاب السياسية في أوربا وكذلك امريكا • فلو اننا اردنا معرفة مدى شعبية الاحزاب الامريكية أو حزب المحافظين البريطاني فليس هناك من سبيل سوى الانتخابات النيابية • وهكذا لابد عند قيامنا بدراسة حزب معين من دراسة الناخبين والانتخابات • فالعلاقة اذن وثيقة بين الاحزاب والناخبين • ولهذا فانه يمكننا القول ان درجات العضوية في الاحزاب هي ثلاث :

١ ـ الناخبون •
٢ ـ المؤازرون •
٣ ـ الاعضاء : أ ـ عادى ب ـ عامل •

الناخب :

الانتخابات هي المجال الطبيعي والشرعي للاحزاب الاوربية والامريكية في وصولها الى السلطة ، ولما كان الناخبون يصوتون الى « نواب » وهم أشخاص رشحتهم احزاب معينة ، لذا فلابد من تحديد العلاقة بين الاثنين • هذه العلاقة طرفاها « النواب » والناخبون • ولذا فالعلاقة بين الاثنين وثيقة • اذ ان الاشخاص ببعد انتخابهم وصيرورتهم نوابا يقومون بتوجيه الناخبين وكذلك التعبير عن آرائهم وان كان الناخبون هم الذين أتوا بهم الى السلطة • وعليه فان الناخب يلعب دورا خطيرا هو الاخر في حياة الاحزاب السياسية • والناخب هو ذلك الذي يصوت سرا لحزب دون أن يبوح باسمه لانه ليس عضوا فيه • حتى اذا ما أفصح عن

الاسم أو صرح به يكون الناخب قد انتقل من مرتبة الناخبين وغدا مؤازرا وهذا ما يقودنا الى بحث موضوع المؤازر •

المؤازر :

هو أكبر درجة من الناخب واقل درجة من العضو • يؤمن بمبادىء معينة وليس بكل مبادىء الحزب • يدافع عنها ويدعو لها ولربما اسهم في دفع مال للحزب ولكن دون ان يكتسب صفة العضوية • ربما هناك مؤازرون يندفعون اكثر من الاعضاء الحزبيين ومع ذلك فانهم مؤازرون لانهم لم يتقدموا بطلب موقع عليه من قبلهم يعلنون فيه ايمانهم بمبادىء الحزب كلها واستعدادهم لدفع بدل الاشتراك بصورة منتظمة • أو انهم اعضاء غير أن ـ عضويتهم موقوفة على شرط وهو تقديم الطلب • وعليه فان علاقات المؤازر مع العضو ليست بعلاقة رسمية •

ولابد لنا ان نتساءل ترى ما هي الاسباب التي تحول دون دخولهم الاحزاب التي يؤمنون بمبادئها ؟ يمكننا القول بأن هناك نوعين من الاسباب منها خارجيـــة وأخرى داخلية •

الخارجيـة :

آ ـ الخوف من السلطة : كثير من الناس يحجمون عن الانتماء الى حزب معين خوفا من السلطة • اذ يخشون مثلا مضايقة (البوليس) لهم وقيام هـؤلاء بملاحقتهم والتحري عنهم وربما تفتيشهم ودورهم ، أو ان مؤازرا يشغل مركزا في الدولة وهو يخشى أن يفقد هذا المركز بانتمائه الى حزب معين • أو ان مؤازرا له أعمال تستدعي ان يكون حسن العلاقة مع السلطات وانتمائه الى حزب معين لا يحقق له ضمان مصالحه واعماله •

ب ـ داخلية : وهذه تتعلق بشعور المؤازر نفسه • فمنهم من يحرص على شخصيته واستقلالها ، وهو يرى في انخراطه الى حزب ما ، يشده شدا محكما لا يدع له مجالا للتصرف في اقرار امر أو مسألة وفق رأيه اذ ان الاعضاء ،

في الاصل ، محكومون بالخضوع الى ما تراه القيادة في أغلب الاحيان والاحوال • وهذه الظاهرة تكون واضحة في الاوساط ذات الثقافة العالية اذ لا يؤمن المؤازر الا بجزء أو بجملة مبادىء ولا يؤمن بالمبادىء كليا •

أو ان المؤازر ، مدفوع بعوامل « مصلحية » ، يرى في الانتماء الى حزب معين تهديدا لمصالحه وبالتالى ذهاب ما يرجوه لنفسه من ربح ، وعليه يحجم عن الانتماء الى حزب سياسي معين •

أو ان المؤازر ، وهو يعيش في وسط عائلى متزمت ، لا يرتضى هذا الوسط العائلي له الانتماء الى حزب معين لئلا يسخط عليه ابواه مثلا فيحرمانه من رعاية أو أرث ، أو انفاق •• الخ •

وتختلف درجات المؤازرة باختلاف امزجة المؤازرين فبعضهم يعلن عنها في حضوره لاجتاعات حزب وآخر يعلنها في شرائه لجريدة الحزب • ولكن يلاحظ على هؤلاء أن بعضا منهم يحضر الاجتماعات بدافع قتل الوقت • ويلاحظ ، سوسيولوجيا ، ان المؤازرين في النساء اكثر من الرجال • كما ان الاعضاء العاملين من الرجال اكثر من النساء •

الاعضاء :

أما وان فكرة العضوية مختلفة في احزاب الجماهير عنها في احزاب الاشخاص لذا ينبغي عند الحديث عن الاعضاء ان نعود الى هذا التقسيم لكي نتمكن من اعطاء فكرة صحيحة ودقيقة عن (العضو) •

ففي احزاب الجماهير ، هناك اعضاء عاملون يشكلون الحجيرة الاساسية للقواعد الحزبية • ففي وحدات الحزب نجد ان هناك أعضاءا يتميزون بمسؤولياتهم المهمة ويتميزون بدأبهم على حضور الاجتماعات لوحدة اساسية وهم يقومون بالدعاية الى الحزب ونشر مبادئه وكذلك نشراته • هؤلاء الاعضاء هم المنفذون لما تصدر من تعليمات وأوامر عن قيادة الحزب • وهم يتفانون في عملهم لخدمة الحزب اخلاصا وتضحية واعمالهم مستمرة ونشاطهم دائم •

اما في احزاب الاشخاص فان للعضوية مفهوما يغاير مفهومها في احزاب الجماهير وعليه فان اللجان التي هي العنصر اللولب في حياة هـــذه الاحزاب ، اعضاؤها هم فقط الذين يمثلون الاعضاء العاملين • اما الاعضاء العاديون فهم اولئك الذين يقومون بنشاط في فترات الانتخابات واعمالهم تنحصر في حضور اجتماعات الحزب •• الخ •

المبحث الثاني

طبيعة المشاركة الحزبية

أحطنا في الصفحات السابقة علما بدرجات العضوية وهي الناخبون والمؤازرون والاعضاء العاملون ، ولابد لنا من القول ان هذه الدرجات لا تعطي فيصلا للتفرقة بينهم • فهل ان المؤازرين يتشابهون جميعا في كل الاحزاب ؟ وهل ان الاعضاء العاملين متساوون في كل الدرجات ؟ الاجابة على هذه الاسئلة يوضحها لنا ، التقسيم ما بين احزاب كلية واحزاب خصوصية •

احزاب كلية واحزاب خصوصية :

يراد بالاحزاب الكلية تلك التي تسيطر على فعاليات العضو وأوجه نشاطه داخل الحزب وخارجه سيطرة شاملة • ولذا فان الطابع المميز لهذه الاحزاب ا نماه والتحكم والسيطرة •

وأما الاحزاب الخصوصية فسيطرتها على العضو سيطرة ضعيفة تقوى في فترات الانتخابات والازمات وترخى فيما عداها ، والعضو فيها يتمتع بحرية واستقلالية في حياته الخاصة فلا يخضع لسيطرة الحزب • ولغرض تقريب الامر الى الاذهان لنأخذ عضوين احدهما يمثل حزبا خصوصيا والاخر يمثل حزبا كليا ثم نعقد بينهما المقارنة حتى نتبين لنا أوجه الاختلاف أو التباين فيما بينهما وهذا بدوره يقودنا الى الاحاطة علما بطبيعة المشاركة في الاحزاب •

فلو اخذنا عضوا في حزب المحافظين البريطاني لوجدنا ان نشاط هذا العضو الحزبي محدود : في فترات ينشط ويشتد ، وفي فترات أخرى يخمد ويجمد ! يحضر من حين لاخر اجتماع اللجنة التي هو عضو فيها • يقوم بقراءة جريدة الحزب ، يساهم في نشاط الحزب عند حدوث انتخابات عامة أو فرعية ، قد يذهب للشفاعة لدى احد وزراء أو نواب الحزب أو يتوسطه في تسهيل امر لاحد

اعضاء الحزب ، يتابع التطورات السياسية في البلد ولا سيما تلك التي تخص حزبه ومنطقته حيث يمارس الحزب عمله فيها لا يتكلم الا في اثناء اشتداد الصراع السياسي ، عن حزبه • أما عدا ذلك فان له حياة عائلية هادئة ويقضي أوقات فراغه في مطالعة أو مع افراد عائلته دون أن يقطع عليه حزب المحافظين هدوءه • لذا فان مشاركة هذا العضو في أعمال حزبه لا تأخذ منه كل وقته فهي مشاركة خاصة وسياسية بحتة • لذا فان حزب المحافظين البريطاني يمارس الاعضاء أعمالهم على النحو الذي سردناه اعلاه وهو لذلك من الاحزاب الخصوصية • أي ان الفرد يملك ساعات طويلة لاسرته ولحياته الفكرية الخاصة به ويخصص ساعة من يومه لشؤونه الحزبية دون أن تسيطر هذه الشؤون على اعماله الاخرى •

اما لو اخذنا عضوا في حزب شيوعي فان الامـــر على النقيض ! ذلك ان العضو مشدودة فاعلياته الى اوامر الحزب ليست الفعاليات الحزبية فحسب وانما حتى ساعات عمله ينبغي ان ينتهزها ليبشر ويدعو زملائه موضحا لهم المبـــادىء الماركسية ـ اللينينية ثم يرغبهم بالانتماء الى الحزب • ولذا فان دور الحزب في حياة العضو دور كبير وخطير وسيطرته لن تقف عند حد واجباته الحزبية في الخلية التي يعمل بها بل يتعداها الى محل عمله ان كان عاملا فالمعمل مكان خصب لنشر هذه الافكار وان كان مدرسا فالمدرسة مرتع خصب هو الاخر لبذر (الماركسية) وهكذا • فلا يعرف عضو الحزب الشيوعي فصلا بين حياته الحزبية وحياتـــه الخاصة بل كلها خاضعة الى توجيهات الحزب • فعليه ان يوضح لهم مبـــادىء الحزب ويقوم بشرح وتبيان نقاط القوة في خطاب سكرتير الحزب الشـــيوعي ويمجد المقالة الافتتاحية التي نشرتها الصحيفة الناطقة بلسان الحزب وهكذا •• حتى حياته الخاصة مع زوجته وأولاده تخضع لتأثير الحزب فعليه دوما أن يكون في خدمة الحزب • فكثيرا ما نجد ان العضو الشيوعي يدفع زوجته دفعـــا الى اعتناق المبادىء الماركسية فان وجد صعوبة معها دفعها الى الانخراط في جمعيـــة الدفاع عن حقوق المرأة احدى المنظمات الملحقة بالحزب الشيوعي حيث تتطعم هناك بتلك المبادىء وتنهل منها نهلا دون أن تشعر حتى تجد نفسها غريقة فيها !

وكذلك يدفع ابنائه الى الانخراط في جمعيات الشباب ويكون حال ابنائه حال امهم في التأثر حتى الاغراق في الايمان بتلك المبادىء • حتى ساعات لهوه فانها لا تخلو من دعوة وتبشير للحزب ولمبادئه فهناك كثير من النوادى الرياضية أو الفكرية يذهب اليها شباب كثيرون وهي بما تعرض من افلام وما تضع تحت تصرفهم من كتب تدفع الشباب ـ غير الشيوعي ـ الى التأثر بذلك •

وهكذا لا نجد فاصلا بين حياة عضو الحزب الشيوعي الحزبية وحياته اذ يسيطر على توجيه كليهما الحزب • وهذه الحياة انما هي حياة حزبية منحازة لا تعرف غير الحزب ومبادئه طريقا ورفيقا •

لذا فيمكننا القول ـ بالنظر لما تقدم ـ ان للاحزاب الكلية عناصر مميزة منها :

١ ـ عنصر مادي :

وينصب هذا العنصر على سيطرة الحزب سيطرة مادية على كافة نشاطات العضو الحزبية منها وغير الحزبية واخضاع هذه النشاطات والفعاليات لمبادىء الحزب وخدمة اغراضه •

معنى ذلك ان السيطرة لا تتجاوز نطاقها السياسي فحسب بل تمتد حتى تشمل اعماله المهنية ونشاطاته الفكرية وأوقات فراغه وحياته العائلية •

٢ ـ عنصر معنوي :

لا تستقيم للحزب السيطرة المادية على اعضائه من غير ان يكون الاعضاء مستعدين روحيا لهذه السيطرة • وهذا ما يدفعهم الى ذلك (ايديولوجية) الحزب حيث تهيىء الجو الروحى لتسيطر به على الاعضاء وتشدهم اليه شدا محكما •

٣ ـ قوة الايديولوجية :

تمتاز الاحزاب الكلية بان للايديولوجية مكانة كبرى في حياة الحزب • فالحزب الشيوعي الروسي يرتضي مثلا المناقشة ولكن شريطة الا يمس المبادىء

الماركسية ـ اللينينية اذ ان النظرة لها من قبل الشيوعيين نظرة اكبار وتقديس فلا يصح المساس بها لا من قريب ولا من بعيد ولا تغييرها قليلا ولا كثيرا •

٤ ـ قوة الحزب وسيطرته :

في الاحزاب الخصوصية ، سيطرة الحزب وقوته على الاعضـــاء غير ذات أهمية كبيرة ، في حين ان الاحزاب الكلية تمتاز بأن الحزب يلعب اخطر الادوار في حياة الاعضاء فهو الآمر والموجه والاول والاخير •

٥ ـ قوة الايمان :

نتيجة لقوة الايديولوجية في الاحزاب الكلية وضعف هذه الايديولوجية في الاحزاب الخصوصية ، نجد ان ايمان الاعضاء الحزبيين في الاحزاب الكلية كاملا وشاملا قد يرقى مرقى الايمان بالدين ، لا سيما وان الدين فى أوربا قد اصابه ضعف وظهرت الافكار السياسية مكانها •

٦ ـ قوة طبيعة المشاركة :

يمتاز الاعضاء الحزبيين في الاحزاب الكلية بالاندفاع مع الاستعداد الى البذل حتى الفداء ايمانا بمبادىء الحزب وقبولا لكل تضحية من اجله في حين لا نجد هذه الحمية في اعضاء الاحزاب الخصوصية •

الفصل الرابع

قيادة الاحزاب

لابد لكل عمل من تنظيم ولابد لكل تنظيم من قيادة تتحمل مسؤولية العمل وتتصرف بتوجيهها تارة تدفع الحزب الى القيام بعمل واخرى تمنع الحزب من القيام به • واستقراء تاريخ البشرية يدلنا على ان الصراع السياسى قديم وان هذا الصراع لابد له من قيادة ، فمثلا سيطرة رب الاسرة وسلطته المطلقة ، كذلك زعيم القبيلة أو شيخها هو الاخر يتمتع بالسلطات المطلقة وهو الجهة الاولى والاحيرة في فض المنازعات واقرار الحق ورفع الباطل • كذلك جاءت الاديان السماوية وهي تعطي الانبياء سلطة دينية وزمنية • كذلك عاشت البشرية ولفترة طويلة تخضع تحت حكم مطلق يتمتع به الملوك بدعوى انهم ظل الله في الارض ! وفي التاريخ أدلة كثيرة وشواهد متعددة على ما نقول : فلويس الرابع عشر انما كان يعبر عن سلطته المطلقة حين قال « الدولة أنا » (كذلك كتب في مذكراته يقول « لكي تكون القرارات منجزة لابد من نظام دقيق وقيادة مطلقة وخضوع كامل »[1]) !

ولما كانت الاحزاب السياسية اجهزة تنظيمية تتطلع ـ محكومة بالصراع السياسى ـ الى السلطة لذا فهي احوج ما تكون الى وحدة في القيادة ونظام صارم يهيء للقيادة خضوع القاعدة • ولذا فان الطابع المميز للاحزاب هو صرامة النظام وحرص القيادة على التسلط لاخضاع القواعد الحزبية ذلك ان الاحزاب مطالبة دوما بتعبئة قواعدها لانها تعيش دوما في معركة • فما الحزب الحديث الا منظمة صراع ، كما يقول روبرت ميشيل[2] دوما بحاجة الى قيادة •

---

(1) Robert Michel, Op. Cit. P. 41.
(2) Robert Michel, Op. Cit. P. 41.

وفي الحقيقة والواقع فان البشرية ـ شهدت ـ ولا زالت تشهد ـ صراعا تارة بين الافراد ـ انفسهم واخرى بين منظمات ودول • وربما يعزى هذا الصراع الى تباين فى المعتقدات حيث يسهم الدين بنصيب وافر في ذلك ، والى اختلاف التكوين الاجتماعي والسياسى والاقتصادي والثقافي •

وفي هذه المجتمعات البشرية نجد ان السلطة ـ كما يقول موريس ديفرجيه[1] ما هي الا نتيجة لتصارع قوتين متضادتين هما : المعتقدات والضرورات العملية •

فالاصل في قيادة الاحزاب انها تأتي ديمقراطيا ، أي عن طريق الانتخاب• ولكن الضرورات العملية تحول دون قيام عملية الانتخاب حتى في الاحـــزاب الديمقراطية • ذلك ان ظروف العالم اليوم تقضي أن تكون السلطة قوية سواء أكانت على نطاق الدولة أو على نطاق الحزب • وبغير ذلك لا تفلح هذه القيادة ولا تنجح في ادارة ماكنة الدولة أو الحزب •

ان الانتخابات تسبغ صفة الشرعية على القيادة ولكن ليست الشرعية فقط هي الصفة التي ينبغي توافرها في القيادة بل لابد من الفعالية •

فقيادة الاحزاب تأتي ، مظهرا ، عن طريق ديمقراطي ، وجوهرا ، عن طريق اوتوقراطى • فكل الاحزاب باستثناء الاحـــزاب الفاشستية تدعى انهـــا ديمقراطية وذلك باتباعها الانتخابات طريقا لوصول القادة الى السلطة القيادية •

وفي الحقيقة والواقع لا ينكر تغير الاحكام بتغير الازمان ، وما يصلح لزمان لن يصلح لآخر • كذلك أمر الشرعية ففي الماضي كانت السلطة مطلقة والشعب ليس الا رعايا للملك ، كانت الملكية هي التي تسبغ الشرعية على من يتولاها ، فحتى اولئك الذين يرثون الملك ولو كانوا مجانين كان ينبغي على الرعايا ان يخضعوا لمشيئتهم وينفذوا ارادتهم • حتى اذا ما جاءت الثـــورات الانكليزيـــة

(1) Maurice Duverger, Op. Cit. P. 159.

والامريكية واخيرا الفرنسية تغيرت النظرة كثيرا الى الشرعية وأصبح النظام الديمقراطي هو المقبول والمستساغ وغدا النظام الملكي المطلق عيبا تنفر منه الشعوب وتحرص على طمره أو بالاحرى قلعه • والنظام الديمقراطي يعطي للانتخابات القول الفصل في اسباغ صفة الشرعية على الحكم ، حيث تتصارع الاحزاب السياسية المعركة الانتخابية ، ومن ينل أكثر الاصوات تمثيلا للامة يتولى الحكم فيها •

كذلك نجد ان النظام الشيوعي فى روسيا يفترض ان الحكم شرعي طالما كانت السلطة بيد الطبقة العاملة (البروليتاريا) ، في حين أن النظام الفاشستي في ايطاليا كان ذا نزعة أوتوقراطية لانه يقوم على الطبقة أو النخبة ، ولذا فان الشرعية فيه اوتوقراطية •

وليس من شك انه بفضل تقدم الافكار الديمقراطية وانتشار مبادئها ان أقبلت كثير من الشعوب على تطبيق نظام الاقتراع العام بدلا من الاقتراع المقيد حيث كان الاخير يقتضي فيمن يريد ممارسة حقه الانتخابي ان تتوافر فيه شروط معينة منها امتلاكه لارض أو عقار وتمتعه بمكانة اجتماعية معينة فكان لابد والحالة هذه ان تضرب الطبقات الشعبية هذا النظام ضربة قاضية لان ليس من العدل أن تضع طبقة صغرى انظمة للحكم تحمي مصالحها وتخضع الطبقة الاغلبية لحكمها استغلالا وامتلاكا وسيادة •

وتتفاوت الاحزاب في مدى أخذها للافكار الديمقراطية ، وهذا لاسباب يمكن ارجاعها الى :

١ ـ التكوين الاجتماعي للحزب •
٢ ـ مدى قوة الايديولوجية في الحزب •
٣ ـ مدى حماس وايمان اعضائه بالديمقراطية •
٤ ـ طول عمر الحزب ، فكلما كان عمر الحزب طويلا كلما كان اكثر تأثرا بالافكار القديمة ، وهذه هي الطبيعة الانسانية وان كان هناك استثناء لها !

فمن الاحزاب من تأخذ بالاسلوب الديمقراطي ، ومنها من لا تأخذ به كما هو الحال مع الاحزاب الفاشستية التي تتبع اسلوبا اوتوقراطيا الا وهو التعيين ، ومنها من تجمع بين الطريقتين .

المبحث الاول

اختيـــار القادة

كل الاحزاب تدعى ـ عدا الاحزاب الفاشستية كما اسلفنا ـ انها تتبع في اختيار قادتها الاسلوب الديمقراطي • اما الاحزاب الفاشستية فانها تتبع اسلوب التعيين فقائد الحزب الاعلى هو الذي يعين نفسه وبالتالى هو الذي يعين الاخرين في الوظائف التي تلي وظيفته • فمثلا ، هتلر أبان الحكم النازي كان رئيسا للحزب النازي مدى الحياة وهو الذي عين خلفا له « غورنغ » ان اصابه مكروه ، فاذا ما أصاب خليفته غورنغ مكروه هو الاخر كان « هيس » خلفا •

وليست الاحزاب التي تدعى لنفسها الديمقراطية بسالمة من عيب ، ذلك انها تتبع اسلوب ـ الاختيار والترشيح ـ وفق ما يراه المركز أو المكتب ـ وفي ذلك ثلم للديمقراطية باهر الوضوح • ويمكننا القول ان الضرورات العملية التي أشرنا اليها تملي على الاحزاب الركون الى اسلوب اوتوقراطي ينافي روح الديمقراطية • لذا فاننا سنبحث الطريقة الاتوقراطية في اختيار القادة الحزبيين •

١ ـ الطريقة الاوتوقراطية :

الاحزاب الفاشستية ، وهي تعلن صراحة اتباعها الاسلوب الاتوقراطي ، سبيل يقودنا الى القول ان هناك اوتوقراطية صريحة معلنة ، والاحزاب التي تدعي لنفسها الديمقراطية طريقا لاختيار قادتها ، مظهرا ، وتتبع في الخفاء اســـلوبا أوتوقراطيا يدعونا الى القول بوجود اوتوقراطية مستورة خفية •

في الاتوقراطية الصريحة المعلنة تقوم شخصية الزعيم على اسباغ الشرعيـة لمن ترتضيه قائدا في المراكز الحزبية • فرضاؤه قانون يفرض على القواعد طاعة من اختاروه وسخطه يخرج المسخوط عليه من الحزب دونما حسيب أو رقيب ومن غير مناقشة أو محاججة • فارادته واجبة الاتباع ، ورغبته قانون نافذ • ولهذه الطريقة مثلان : الطريقة الالمانية والطريقة اللاتينية •

آ ـ الطريقة الالمانية :

وهذه الطريقة اكثر مغالاة من اختها اللاتينية ، حيث الزعيم هو الاول والاخير وهو على كل شيء قدير • ظل الله في الارض تشمله العناية الربانية في خطوه وأفعاله ولا مرد لمشيئته فهو يمثل الشعب لان الشعب متجسد في شخصه وأعماله وتصرفاته • فهو يمارس باسم الشعب الذي يمثله أعمال السيادة ، وسلطته مطلقة واجبة الطاعة واوامره واجبة التنفيذ • فهو رجل فوق مستوى البشر !

ب ـ الطريقة اللاتينية :

وهي أقل غلواءا من اختها الالمانية • ذلك ان الزعيم في هذه النظرية رجل مصير وقدر • وضعه القدر على رأس الامة ليقرر مصيرها بنفسه لذكائه وقدرته ولوضوح الرؤية لديه • وهكذا يبدو ان النظرية اللاتينية تحيط القائد بصفات تعزى الى شخصه ، وهي أقل اندفاعا في اسباغ التقديس والتأليه من النظرية الالمانية • ولكن كلتا النظريتين تهدفان الى اعطاء القائد حق تعيين مساعديه في المراكز القيادية للحزب ، وتكون مسؤولياتهم أمام شخصه •

ومن الاحزاب من تجمع بين الانتخاب طريقة ديمقراطية والتعيين طريقة اوتوقراطية وهذا ما نجده في حزب تجمع الشعب الفرنسي الذي أسسه الجنرال ديغول (رئيس الجمهورية الفرنسية الحالي) عام ١٩٤٧ • ولقد جاء هذا التجمع نتيجة سخط الجنرال على الاحزاب واعتبارها مسؤولة والى حد كبير عما آلت اليه الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في فرنسا في ظل الجمهورية الثالثة والجمهورية الرابعة •

ففي هذا التجمع نجد ان هناك مكتبا منتخبا على نطاق المدن وفق الطريقة الديمقراطية • ولكن في نطاق الاقليم نجد الى جانب المكتب المنتخب عضوا معينا من قبل المركز العام ، وفي يدى هذا العضو تتركز فعلا كل صلاحيات السيطرة والتنفيذ • ذلك ان المكتب التنفيذي يملك حق المبادرة في اقتراح الاجراءات أو القرارات ، اما العضو فهو الذى يملك حق الرفض (الفيتو) وهكذا يكون

العضو هو الذي يملك السلطة العليا وهو الذي يدفع المكتب الى القيام بعمل أن يمنعه من اتخاذ اجراء معين .

أما على نطاق المناطق فلا نجد الا عضوا معينا ، وكذلك على النطاق المركزي (المركز) فجميع الاعضاء معينون من قبل رئيس الحزب أي الجنرال ديغول نفسه ، اما أعضاء المؤتمر وكذلك (المجلس الوطني) له فهم غير معينين ، فاذا علمنا ان المؤتمر لا ينعقد الا مرة واحدة في السنة ، ومناقشات المؤتمر تجري في جلسات سرية ، عند ذاك تكون جدوى هذه الاجتماعات غير كاملة وليست ديمقراطية . اما المجلس الوطني فهو لا يمتلك من السلطات الا ما كانت استشارية . وهكذا تكون السلطات متجمعة كلها في يد رئيس الحزب ، وكذلك في يد السكرتارية العامة حيث ان اعضاءها كلهم معينون من قبل الجنرال ديغول .

ويتضح لنا ـ بسهولة ويسر ـ ان هذا النمط من التنظيم السياسي يجمع بين طريقة ديموقراطية واخرى اوتوقراطية وان كانت كفة الاخيرة هي الراجحة.

وبالمناسبة فان طبيعة هذا التجمع ليست حزبا لانها كما يرى الاستاذ موريس ديفرجيه ، تجمع بين شخصيات حزبية في اقصى اليمين وكذلك في اقصى اليسار[1] .

كذلك نجد ان في بعض الاحزاب الديمقراطية اتجاها اوتوقراطيا خفيا كما هو الحال في الاحزاب البريطانية في القرن التاسع عشر . فال « كوكس »[2] حيث كان لها أثر واضح في الحياة السياسية البريطانية في القرن التاسع عشر نجد انها تحتوي ، أو في الحقيقة تجمع ، بين الانتخاب والتعيين . كذلك نجد في حزب الحركة لجمهورية الشعبية الفرنسية مثل هذا الاتجاه .

ففي اللجنة القومية نجد ان هناك عشرة اعضاء مرشحين وليسوا منتخبين . وكذلك نجد في المكتب السياسي خمسة أعضاء مرشحين أيضا . ونجد أيضا

---

(1) Maurice Duverger, La Ve République, P.U.F. 1959. P. 239.

(2) Caucus

ـ وهي لجنة محلية للتنظيمات الحزبية السياسية في بريطانيا .

في الحزب المسيحي الاشتراكي البلجيكي هذا الاتجاه الهادف الى جمع أعضاء معينين في وقت واحد معا ، فهناك في لجان هذا الحزب امكانية ترشيح أعضاء يعادل عددهم عدد الاعضاء المنتخبين • وفي الحزب الشيوعي الفرنسي نجد ان تعيين القياديين فيه يتم بطريقة ترشيح الجهات العليا في الحزب مع موافقة اللجنة المركزية • وهذا ما يعطيه مفهوم المادة (٧) من نظام الحزب •

وفي الحقيقة والواقع فان ظروف العمل الحزبي وكذلك الصراع السياسي يفرضان وجود عنصر الاختيار أي التعيين الى جانب الانتخاب •

حتى الاحزاب التي تتبع اسلوبا ديمقراطيا نراها تتجه هي الاخرى الى اتباع اوتوقراطية علنية في اختيار قادتها ، يدفعها الى ذلك عاملان هما المناورات الانتخابية ، ووجود القادة الحقيقيين الى جانب القادة الظاهرين •

اما موضوع المناورات الانتخابية فهي كثيرة ما تتبع من قبل الدول التي تعلن عن مرشح رسمي لها • أو كما كان يحدث في العراق ابان العهد الملكي عن طريق الضغط الاداري الذي يقوم به الموظفون الاداريون الى جانب تزوير الانتخابات وخروج الاكثرية بالتزكية ، فهذا مثل من أمثلة التلاعبات الانتخابية •

اما على الصعيد الحزبي فان الانتخابات في الاصل تجرى على نطاق ضيق يحدده أعضاء الحزب • فالاحزاب تتبع طريقة الانتخاب غير المباشر ، وهذا يضعف الديمقراطية الى حد كبير • ذلك ان القادة انما ينتخبون من قبل ممثلي القواعد وليس من قبل القواعد نفسها ، وأولئك الممثلون ليسوا هم الذين يمثلون ارادة أعضاء الحزب •

وكثيرا ما تلتجىء الاحزاب الى وجوب فرض رضاء أو توجيه المركز لاختيار القادة المحليين أي في فروع الاحزاب المنبثقة على نطاق القطر • والذي يمثل الاتجاه الاخير هو الحزب الشيوعي الفرنسي حيث يقرر نظامه وجوب المداولة مع اللجنة المركزية لاختيار مرشح لسكرتارية الحزب • كذلك الحزب الاشتراكي النمساوي حيث يختار القادة المحليون حصرا من قائمة « رجال الثقة »•

المبحث الثاني

(القادة الظاهريون والقادة الحقيقيون)

لابد لنا قبل الشروع في الحديث عن هذا الموضوع ، أن نبين ما المراد بالقادة الظاهرين وما المراد ايضا بالقادة الحقيقيين ؟

القادة الظاهريون هم اولئك الذين وصلوا الى مراكز القيادة عن طريق الانتخاب • اما القادة الحقيقيون فهم اولئك الذين يعينون تعيينا اوتوقراطيا وليس ديمقراطيا • الاولون هم الذين لهم السلطة ظاهريا ونظريا • أما الاخرون فهم الذين يمارسونها عمليا وفعليا •

وفي أحزاب معينة ينعدم هذا التفريق بين قادة حقيقيين وقادة ظاهريين ، ذلك لان القادة الرسميين الظاهرين هم أنفسهم القادة الفعليون • وهذا ما نجده في « جان جوريه »[١] وليون بلوم[٢] وبرانتك[٣] ونتونك[٤] وستالين وموسوليني وهتلر •

ان الاحزاب في الولايات المتحدة الامريكية تعطينا دليلا على ذلك ، ففي الوقت الذي نجد فيها زعماء الاحزاب الامريكية هم الذين يديرون ويتولون ادارة منظمة الحزب ، نجد الى جانبهم (البوس) •

ترى ما معنى البوس ؟ ومن هو ؟

الاصل في (البوس) هو رجل اعمال سياسي ، يعمل جاهدا ومجتهدا للحصول على الاصوات الانتخابية لصالح أعماله ولمنفعته •

لذا فان الحزب لا يمكنه الاستغناء عن البوس لسبب بسيط هو أن كل شيء قد تمركز في يديه •

---

(١) Jaurés رئيس الحزب الاشتراكي الفرنسي • (١٨٥٩ـ١٩١٤) •
(٢) Blum رئيس الحزب الاشتراكي الفرنسي • (١٨٧٢ـ١٩٥٠) •
(٣) زعيم حزب الاشتراكي السويدى • (١٨٦٠ـ١٩٢٥) •
(٤) زعيم حزب الاشتراكي الدنماركي •

ان البوس هو الذي يوجد النفقات المالية التي تصرف على المعارك الانتخابية وهذه تتهيأ له عن طريق بدلات الاشتراك التي يدفعها اولئك الموظفون الذين لولا فضله ولولا فضل الحزب لما استطاعوا ان يجدوا لانفسهم عملا أو وظيفة .

وفي الحقيقة فان كثيرا من الاحزاب تدار من قبل أشخاص غير ظاهرين ، وهؤلاء هم الذين يمثلون القيادة الحقيقة لها .

فيمكن مثلا اعتبار كبار الممولين أو أصحاب رؤوس الاموال الذين يمدون بعض الاحزاب بمبالغ طائلة قد يشكلون حلقة ثانية تمثل (السلطة الخفية) في تلك الاحزاب .

كذلك قد يلعب صاحب جريدة دورا كبيرا في التأثير على زعماء الحزب الظاهريين ، كما هو الحال ، بالنسبة لموريس ساراوث الذى مارس ولمدة طويلة تأثيرا كبيرا على الحزب الراديكالى الفرنسي . كذلك التأثير الكبير الذي كان يلعبه لنين بفضل امتلاكه لجريدة « اسكرا »[1] في توحيد الحزب الروسي قبل عام ١٩١٧ . وما محاولات لنين لابعاد هذه الجريدة عن قبضة (اللجنة المركزية) للحزب الا سبيل منه للاحتفاظ بها لتكون سلطة خفية تعينه على السيطرة في داخل الحزب الشيوعي .

كذلك خضوع حزب الى سطلة دولية أيضا يعطى للاخيرة صفة السلطة الثانية أو الخفية على ذلك الحزب . كما هو الحال في الاحزاب الشيوعية المنتشرة في أنحاء مختلفة من العالم . فمثلا الحزب الشيوعي الصيني يعتبر سلطة ثانية أو قيادة خفية للحزب الشيوعي في البانيا ، كذلك الحزب الشيوعي الروسي بالنسبة للاحزاب المنبثة في أقطار العالم . (من الواضح ان سيطرة هذه الاحزاب انما هي بتأثير عوامل ايدلوجية وبرضاء الحزب نفسه) .

---

(١) جريدة سرية ماركسية ، أسسها لنين عام ١٩٠٠ . كان لها دور حاسم في ترسيخ الفكرة الماركسية وقيام الحزب الشيوعي الروسي والدعوة لهما

ويمكننا أن نرد سيطرة الحزب الروسى على الاحزاب الشيوعية الاخرى الى أنه كان أول حزب شيوعي يصل الى السلطة • كما ان الثورة الروسية قد اعتبرت قاعدة تنطلق منها الثورات • ولذا كان الحزب الشيوعي الروسى هو الموجه والآمر لبقية الاحزاب الشيوعية الاخرى •

علما بان الحزب الشيوعي ، في نطاق الشيوعية الدولية ، يمتلك خمسة أصوات مقابل صوت واحد لكل حزب من الاحزاب الشيوعية الاعضاء فيها • وهذا ما يفسر لنا قليلا سبب سيطرة الروس على الاعضاء الآخرين • فضلا عن ان ذلك (ناتج عن تجاربهم الخاصة وعن المكانة الخاصة التي تتمتع بها وجهة النظر الروسية في الحركة بمجموعها)[1] ايضا •

وفي الحقيقة فان الغاء الكومنترن لم يغير شيئا من سيطرة الحزب الشيوعي الروسى على الاحزاب الشيوعية الاخرى •

اذ ان العلاقة بين الحزب الشيوعي الروسى وحزب شيوعي آخر ظلت ـ كما كانت ـ علاقة غير متكافئة ولا متساوية • بمعنى ان الحزب الاول كان يمتاز بالسيطرة ، وعليه فهما لا يقفان على قدم المساواة • فالاتحاد السوفياتي بطاقاته المادية والعلمية والبشرية غدا اقوى دولة في العالم ، ومن الطبيعي ان يكون دوره قياديا بالنسبة للمعسكر الشيوعي •

وبنفس الفكرة نجد ان الصين الشعبية لا تعترف للاتحاد السوفياتي في الظرف الحاضر بزعامة المعسكر الشيوعي ، وانما ترى نفسها وتحت زعامة ماوتسى تونك أقدر من الاتحاد السوفياتي على زعامة المعسكر الشيوعي •

وشخصية ماوتسى تونك انما تمثل تمثيلا واضحا القيادة الحقيقية • فعلى الرغم من وجود رئيس جمهورية ورئيس الوزراء ، فان السلطة الحقيقية والفعلية لم تخرج من يد ماوتسى تونك حيث يتربع على زعامة الحزب الشيوعي الصيني •

---

(١) هارولد لاسكي ـ الشيوعية ـ ترجمة خيري حماد ص/١٦١ •

الفرع الاول

سلطات الهيئات القيادية

ليس في هذا العالم من لا يطمح في السلطة • هكذا جبل البشر على حبها والسعي من أجلها • فكثيرون اولئك الساعون من أجلها ولكن قلة قليلة هي التي تصل اليها • « مساكين أصحاب السلطان ! تبتسم لهم الدنيا حين يبتسم السلطان ، وتظلم حين يتوارى عنهم السلطان !

« فمن يسعى وراء السلطان والمجد ، فان امامه طريقا وعرا يقطعه بالجد والجهد • فاما ان تتحدث بذكره الدنيا في كل زمان ومكان ، أو يضيق عن ذكره – على الرغم من سعته – سجل هذا الزمان »[1] •

لقد قضت نواميس الطبيعة وقوانين الحياة أن يكون على رأس كل جماعة بشرية فرد يطلق عليه (القائد) يدبر أمرها ويشرف على توجيه سياستها وادارتها •

فهناك دوما « قادة » و « جماهير » يستوى الامر في الانظمة الديمقراطية والديكتاتورية • فعلى مقدار تفاعل القيادة مع الجماهير ، تعبيرا عن آمال الاخيرة وآلامها ، تكون القيادة شعبية ما دامت علاقاتها حية ومتصلة مع الجماهير التي هي أساس كل نظام وكذلك القاعدة التي يرتكز عليها القادة • وبدونها لا بقاء « للقيادات » وأن طال بقاؤها • وعلى مدى تمثيل الشعب وتأييده للنظام تتقرر ثورية النظام أو عدمه • فالسلطة بحد ذاتها فيصل التفرقة بين الجماهير والقائد ، وان كان الاخير خارجا من الاولى !

لذا فان كل منظمة سياسية أم غير سياسية هي بحاجة الى التنظيم ، ومادة كل تنظيم انما هي الجماهير • فالجمهور هو المادة الاساسية في كل تنظيم ، وبدونها لا يكتب لاى تنظيم النجاح •

---

(١) من خاطرة لي نشرتها جريدة النهضة في عددها المرقم ٩٤ والصادر في الجمعة ٩ كانون الثاني ١٩٤٨ ، تحت عنوان (المجد والسلطان) ص/٢ •

ولابد لممارسة السلطة من أن تكون القيادة واحدة • فوحدة القيادة ضرورة لازمة الوجود في المجتمعات الانسانية •

والمجتمعات السياسية ، على اختلاف الانظمة السياسية ، تعرف التفريق بين قادة وهم الحاكمون ، والجماهير وهم المحكومون •

ولكن ينبغي القول بأن القيادات تختلف : ففي المجتمعات الديكتاتورية السلطة « شخصية » ، وفي الدول ذات التنظيم الديمقراطي الغربي السلطة في مظهرها « جماعية » ، ولكنها في جوهرها « شخصية » هي الاخرى على التفصيل الذي ذكرناه في بحثنا للديمقراطية •

وفي الحقيقة والواقع فانه ينبغي تقسيم الانظمة السياسية الى ثلاثة انواع وهي[1] :

١ ـ انظمة كلية •
٢ ـ انظمة ديمقراطية الغرب •
٣ ـ انظمة الدول المتخلفة •

وطبيعة هذه الانظمة تحدد كثيرا الحياة السياسية والصراع الدائر فيها • فالحياة السياسية معركة وصراع دائبين مستمرين • والنظام السياسى يحدد شكل الصراع ايضا ، فالمبادىء والتقاليد والعادات والتاريخ والدين والمعتقدات كلها اسلحة تستعمل في الصراع السياسى • والاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والفكرية عوامل هامة في هذا الصراع • فهناك دوما ـ ومنذ الازل ـ صراع بين القديم والجديد ما بين الاغنياء والفقراء ، ذلك لان البقاء للاصلح[2] • فحيثما توجد السلطة يوجد « من يقاومها » بتأثير هذه العوامل المختلفة والتي تتمثل

---

(١) سوف نتكلم بتفصيل عن هذا الموضوع عند بحث علاقة الاحزاب بالانظمة السياسية •

(٢) يقول الامام علي بن أبي طالب (رض) :
عداوة الضعفاء للاقوياء والسفهاء للحكماء والاشرار للاخيار ، طبع لا يستطاع تغيره •

في اختلاف الطبقات الاجتماعية والمستويات الاقتصادية والفكرية • ولذا فالاصل في الاحزاب السياسية انها تعبير عن طبقة • فعندما نقول حـــزب المحـــافظين البريطاني فأول ما يتبادر في الذهن أن هذا الحزب يضم الطبقة البورجوازية، وعندما نقول حزب الفلاحين فانه انما يمثل هذه الطبقة المعدمة وهكذا •

ومن دراسة الاحزاب السياسية ، على اختلافها ، نجد ان الاقلية القيادية تتحكم في الاغلبية ، كذلك ان الاقلية القيادية يسيطر عليها شخص هو (قائد) الحزب أو رئيسه • ويرى الاستاذ موريس ديفرجيه أن هناك ظاهرتين بارزتين سيطرت ـ ولا زالت تسيطر ـ على تطور هذه الاحزاب واتجاه السلطة فيها • وهاتان الظاهرتان هما[1] :ـ

١ ـ ازدياد سلطة القادة وتعاظمها •

٢ ـ اتجاه هذه السلطة نحو الفردية فاذا بالسلطة شخصية •

ان هاتين الظاهرتين تناقضان مفهوم الديمقراطية معنى ومبنى • ذلك أن انتشار الديمقراطية عامل دافع لان يجعل السلطة جماعية وليست فردية ، طالما ان ممثلي الشعب هم أحق من غيرهم بالحكم • ولكن كما أن الانظمة السياســية غدت شخصية هي الاخرى وتراجعت الانظمة الديمقراطية من حيث صلاحهـا لمسايرة أوضاع عالم ما بعد الحرب ، كذلك غدت الاحزاب هي الاخرى السلطة فيها شخصية • ولكم قامت أحزاب بسبب اسم التف حوله المحجبون به مكونين حزبا سياسيا •

وهذه الظواهر السياسية لشخصية السلطة على الصعيدين الحزبي والانظمة السياسية تناقض وتناهض ما تنبأ به العالم الاجتماعي الفرنسي « دوركهايم »[2] حين كان يرى ان السلطة تسير نحو الضعف ، وذلك بانتقالهـــا من ســـلطة

---

(1) Maurice Duverger, Les Partis Politiques, P. 197.

(٢) Durkhiem (اميل) عالم اجتماعي فرنسي معروف (١٨٥٨ـ١٩١٧) يعد في طليعة الباحثين الفرنسيين في علم الاجتماع السيياسي الى جانب كونه احد المؤسسين البارزين للمدرسة الفرنسية لهذا العلم •

شخصية (نتيجة الحكم المطلق) الى سلطة جماعية بفضل انتشار الافكار الديمقراطية • ولكن الواقع عكس ذلك ، فالسلطة شخصية وليست جماعية • فالانظمة السياسية تتربع شخصيات مفردة على قمة السلطة فيها وكذلك الاحزاب السياسية • فمثلا شخصية كارل ماركس كانت تتمتع بنفوذ لا يقاوم في الشيوعية الدولية توجيها وقيادة • كذلك « لاسال »[1] فان شخصيته في الحزب الديمقراطي الاشتراكي الالماني كانت بمثابة (اله) يعبد وليس بانسان عادي •

١ ـ تعاظم السلطة : في الدراسات التي قام بها روبرتو ميشيل ، تحليلا للاحزاب الاشتراكية ولا سيما الحزب الديمقراطي الاشتراكي الالماني ، وجد ان اتجاه الاعضاء المنتمين الى الحزب يميل الى الخضوع والاذعان للسلطة القيادية • اذ كلما اتسع نطاق الحزب كلما قويت شوكة الهيئة القيادية وتعاضمت سلطتها ، يصاحب ذلك استعداد الاعضاء وتقبلهم تلك السلطة والسيطرة •

وفي الحقيقة فان ظهور احزاب الجماهير عامل يدفع الماكنة الحزبية الى بسط سيطرتها وتقوية سلطتها على الاعضاء ، يعينها على ذلك ان المبادىء الحزبية أو العقائدية غدت عونا هي الاخرى على بسط هذا السلطان من القمة على القاعدة • وفي ذلك يقول برتراندرسل[2] : « لا يقتصر اعتماد سلطان أية جماعة على عدد افرادها أو على مواردها الاقتصادية وطاقاتها التقنية ، وانما يتعدى ذلك الى اعتماده على عقائدها » • ان الايمان بعقيدة معينة يسلب قدرة الانسان على التفكير ويجعله منقادا لها متأثرا بها مدفوعا للدفاع عنها •

---

(١) Lassalle (فرديناند) (١٨٢٥ـ١٨٦٤) زعيم ومؤسس الحزب الديمقراطي الاشتراكي الالماني • من الاشتراكيين الذين دافعوا عن الوحدة الالمانية وآمنوا بالنظرية الماركسية •

(٢) Russell ولد عام ١٨٧٢ • فيلسوف بريطاني شهير لا يزال يعيش حتى يومنا هذا • له مؤلفات ضخمة ، منها كتاب السلطان • ترجمة خيري حماد • دار الطليعة بيروت • ص/١٦٣ •

ومما لا شك فيه ان العقيدة وهي على هذا المستوى من الاهمية ، تلعب دورا خطيرا في فرض السلطات وتعتبر مصدرا رئيسا له • فعند ظهور أحزاب الجماهير التي صاحبت وجود الاحزاب الفردية النزعة ، كلاهما ـ رغم الاختلاف في الطبيعة والتكوين والعقيدة ـ يمتاز باخضاع المؤمنين به خضوعا يكاد يكون كاملا • والاحزاب المحافظة تعرف هي الاخرى ، ظاهرة تعاظم السلطة وتمركزها بيد القادة ، وما ظاهرة استعمال (التسوط) مع النواب لحثهم على التصويت ، كذلك الشعار المعروف «صوت كما يقال لك»[1] الا دليل أسطع الدليل على ما نقول •

ولقد كان لظهور الاحزاب الاشتراكية أثر في زيادة ودعم نظام الحزب حيث ان هذه الاحزاب تعتمد على الجماهير ، ودوام صلة الجماهير تفاعلا مع القيادة يحققها ـ الى جانب عوامل أخرى ـ شدة النظام ، فكلما كان النظام الحزبي قويا كلما شدت جماهيره الى القيادة وهكذا •• فمما لا مراء فيه ان السيطرة على جماعة تعدادها لا يزيد على الخمسين أمر سهل وميسور بالمقياس الى جماعة تعدادها يربو على الخمسين الف نسمة أو ما يزيد •

ولا شك انه الى جانب هذه الناحية الفنية ، الا وهي اتساع القواعد الحزبية احتواءا الى الجماهير وهو عامل يفرض بالضرورة وجوب السيطرة عليها ، هنالك عامل اجتماعي مهم وهو ما يتعلق بالجمهور نفسه من حيث تكوينه الاجتماعي • فالاحزاب المحافظة ـ احزاب اللجان ـ التي تضم طبقة ـ في الغالب ـ موسرة وغنية ، تفرض أن يكون عددها بالضرورة قليلا وضئيلا • يضاف الى ذلك ان هذه الطبقة الغنية حريصة كل الحرص على شخصيتها الفردية واستقلالها الذاتي ، فلا تخضع الى الماكنة الحزبية الا قليلا ، لان هذه الماكنة لن تضيف على مركزه شيئا جديدا ، وبالتالى فان ما وصلت اليه هذه الشخصيات من مكانة في المجتمع لا يعزى الا للشخصيات نفسها ولمساعيها الفردية دون أن يكون للحزب في هذا الامر شأن كبير أو صغير ومن دون أن يكون للحزب

---

(1) Vote as you are told.

أثر لا من قريب ولا من بعيد • هذا في حين ان الاحزاب الاشتراكيـــة تخاطب الطبقة الفقيرة ـ من عمال وفلاحين ـ فهذه الطبقة تحرص كثيرا على الارتباط مع الحزب لانها ترى في وصول الحزب الى الحكم مثلا سبيلا الى رفع مكانتها وبالتالي تحسين حالها ، ولذا فان الفلاحين والعمال يرون في الحرية مثلا ، مطلبا جماعيا يخصهم جميعا دونما استثناء ، في حين ان الحرية بالنســـبة للطبقـــة البرجوازية فردية ، كل ينظر لها من وجهته الخاصة • ويمكننا أن نوضح ذلك بمثل ، فلو أن حزبا طلب اعانات وتبرعات فالطبقات الفقيرة هي اكثر ســـخاء وعطاءا من الطبقة الغنية ، لان التبرع يمثل بالنسبة للعمال والفلاحين ، ســـبيل الخلاص من سوء الاوضاع التي يرزحون تحتها ، في حين أن الطبقات الغنيـــة لا تتحسس بأهمية الحزب ، فهي تنعم بالرفاه والمال ، ودعوى الحزب لا تحرك عضو هذه الطبقة كثيرا لانها لن ترفع من قدره الاجتماعي الذي ناله بجهـــده الشخصي ان كان محاميا مثلا ، أو من مكانته الاجتماعية التي آلت اليه من أبيه وجده وهكذا ان العمال والفلاحين هما أكثر الطبقات ثورية لان الظلم الاجتماعي يقع عليهم وحدهم وعليه فاني أرى وجوب قيام حزب منهم يمثلهم وحدهم • ذلك ان وجود أشخاص لا ينتمون الى طبقة العمال والفلاحين أضرار كبـــير بمصالح هاتين الطبقتين وبالتالي يؤدي الى ضعف ثورية الحزب قطعـــا • ان الحزبيين يعملون من جانبهم على تقوية سلطاتهم ودعمها مدفوعين بعوامل متعددة هي[1] :ـ

آ ـ الطموح

من طبيعة الانسان الطموح ، وهو صفة طيبة ما دامت تسعى لتحقيق غاية عامة وليست خاصة • حتى اذا ما سعى الانسان الى تحقيق غايات خاصـــة على

---

(١) يرى الاستاذ ديفرجيه أن هناك عاملين يدفعان القادة الى تقوية سلطاتهم هما : ١ ـ الرغبة في السلطة و ٢ ـ الفعالية • الاحزاب السياسية ، ص/٢٠٠ ويمكننا القول بأن هناك عوامل عديدة في زيادة السلطة القيادية منها : حب التملك ، المنافسة بين القادة انفسهم ، الشهرة وحب الظهور والى غير ذلك من الاسباب •

حساب الآخرين انقلب طموحه طمعا • والطمع آفة قاتلة ، وهي لصيقة للانانية، فالطموح تطلعا الى السلطة وسعيا وراء المجد من طبيعة البشر • وما دامت الحياة تقوم على قادة يأمرون واتباع يأتمرون فان حوافز السلطان والرغبة سعيا وراء السلطة والحكم تظل فاصلا يميز القادة عن الاتباع • وطريق السلطان طريق وعر وشائك ، صعب المسالك ، لا يقدر عليه الا من أوتي حظا وفيرا وكبيرا من الاقدام والشجاعة والصبر والقدرة على التفاعل مع الشعب في آماله وآلامه • افراحه وأتراحه ، وهلم جرا •••

فالطموح اذن عنصر من العناصر المهمة في اندفاع القادة نحو السلطة وبالتالي المحافظة عليها •

ب ـ الرغبة في السلطة :

اننا نتفق مع الاستاذ ديفرجيه في أن الرغبة في السلطة عامل كبير يدفع القادة الى الاستزادة منها والعمل ـ ما في وسعهم وطاقتهم ـ على تقويتها • فالقائد يرغب في السلطة بطبعه • فمن يملك سلطة بسيطة يحاول جهده العمل على تقويتها وزيادتها •

وما دمنا بصدد الحديث عن القادة فانه يجمل بنا ان نفرق بين القائد[٢] الذى يخرج من الطبقة الشعبية وبين القائد الذي يخرج من الطبقات العليا • فالاول يتحرق الى السلطة تحرق العطشان الى الماء ، ذلك ان السلطة هي التي سوف تؤكد تفوقه وتكون بالتالي عاملا على رفع مستوى طبقته التي ينتمي اليها ، وهي الطبقة الاغلبية • فالقائد الشعبي شجاع لا يهاب ، يؤمن بالتغير والثورة لانه لا يعترف بالاوضاع التي جعلته تابعا هو والطبقة التي ينتمي اليها • اما الثاني فالسلطة

---

(٢) كتب كارليل يقول « ما من بريطانى يستطيع أن يكون رجل دولة حتى يثبت قدرته على الخطابة وعلى انه سيد المتكلمين » والاصل في القادة انهم خطباء كغامبتا ، وكليمانصو ، وديغول في فرنسا ، وغلاد ستون ولويد جورج وتشرشل في بريطانيا وجمال عبدالناصر في أمتنا العربية •

لا ينظر اليها الا على انها امتداد لسلطته تلك التي جاءته عن طريق الميلاد أو المركز الاجتماعي أو المركز الثقافي فلا يرتضى بالتغيير بل يقف حائـــلا دون حدوثه • أن المرء لا يمكن ان يكون الا نفسه فان كانت نشأته الاجتماعية ثورية كان ثوريا وان كانت نشأته الاجتماعية رجعية كان رجعيا • وقد (يتبرجز) الثوري ! أما الرجعي فلا يكون الا رجعيا في الغالب •

ج ـ الخـوف :

ان الحرص على السلطة يولد شعورا بالخوف عليها • ولذا فان القـــادة يحيطون أنفسهم كثيرا باجهزة تعمل على تمجيدهم والاشادة بهم وتعمل على رفع شأنهم ومكانتهم • ولكن كثيرا ما تكون الحياة السياسية وطبيعتها سببا في ميلاد شخصية سياسية أخرى تسعى الى السلطة هي الاخرى • عند ذاك يحـــدث الصراع الذي قد ينتهي بتغيير شخصية القائد أو الزعيم •

٢ ـ شخصية السلطة :

لقد مرت السلطة داخل الاحزاب بطورين أولهما : الانتقال البطيء الذي مرت به السلطة من شخصية الى جماعية ثم ثانيهما : عودة السلطة الجماعية الى الطابع الشخصي •

هذه الظاهرة ليست بقاصرة ، في الحقيقة على الاحزاب وحدها ، وانما على كافة المنظمات البشرية بما فيها الدولة •

ذلك ان البشرية في ادوارها الاولى قد عرفت حكاما مستبدين ، حتى اذا ما جاءت الحركات الديمقراطية وانتشار مبادئها ، تحولت السلطة من مطلقة الى جماعية ، على أعتبار ان الشعب هو صاحب السلطة والسيادة • ثم عادت المجتمعات من جديد الى شخصية السلطة حيث تغيرت الاحكام وعجزت الانظمة الديمقراطية عن ايجاد حلول عملية لعالم ما بعد الحرب •

كذلك كان لظهور الاحزاب الاشتراكية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، أن تأثرت بعض الاحزاب الديمقراطية والمسيحية بأساليبهـــا

وطرقها (أي طرق الاحزاب الاشتراكية) • وما هذا الا نتيجة لتطوير وتحسين التنظيمات والهيئات القيادية فيها •

ففي الداخل كانت هذه التنظيمات بسيطة • فعلى النطاق المحلي ، كانت السلطة فيها تتبع أو تخضع الى أحد اعضاء البرلمان الحزبيين ، أو أحد سراة المنطقة من الارستقراطيين • فاذا ما حدث مثلا ان احد هؤلاء قد غيروا الحزب ، كان كل من يخضع له يغيرون الحزب ليكونوا حيث هو • وعلى النطاق القومي كانت السلطة الفعلية مناطة بأحد زعماء هذه الاحزاب • والامثلة على ذلك كثيرة منها : غامبتا في فرنسا ودزرائيلي وكلادستون في بريطانيا فهؤلاء الشخصيات كانت مسيطرة ومهيمنة على احزابهم سيطرة وهيمنة تكاد أن تكون كاملة •

كذلك شخصية كارل ماركس ، اذ يكفي أن اتباعه انما يسمون باسمه • ويدخل تحت هذا الحكم الحزب الاشتراكي الالماني ، بزعامة لاسال ، وغيرهم كثيرون •

أما الاحزاب الاشتراكية فانها استطاعت أن تقوم بمجهود يذكر لتنظيم القيادة لئلا تجنح هذه القيادة هي الاخرى نحو الفردية •

ولقد اتبعت الاحزاب الاشتراكية لغرض تحقيق ذلك طريقين هما[1] :

١ ـ اتخاذ السلطة شكلا هرميا لغرض تجنب تمركز السلطة بيد واحدة • وهذا واضح في تقسيم الحزب الى ثلاث هيئات قد تختلف بالتسمية من حزب لآخر وهي :ـ

آ ـ المكتب التنفيذي : الذي ينفذ القرارات المتخذة من قبل المؤتمر العام•

ب ـ اللجنة المركزية : وتضم عددا أكبر ووظيفتها السهر والمراقبة على تنفيذ القرارات •

ج ـ المؤتمر العام السنوي : وهو الذي يضم مندوبين لجميع فروع ومكاتب الحزب •

---

(1) Maurice Duverger, Op. Cit., P. 207.

٢ ـ اما الطريقة الثانية فهي ان الاحزاب الاشتراكية انشأت ما يعرف بالفصل الافقي للسلطات • وذلك بايجاد ما يعرف بلجان التحقيق والمراقبة ووظيفتها تنصب على التحقيق في مدى قيام اللجان بأعمالها وكذلك مراقبة الاعضاء والتحقيق فيما يوجه لهم من طعون ، وكذلك مراقبة النشاط المالي •

واما الاحزاب الشيوعية : فاننا نجد ان لنين حاول جهده الابتعاد عن جعل طابع سلطته وحكمه شخصيا • ولكن الواقع يقضي بأن نعترف بان له شخصية مسيطرة على الحزب الشيوعي • حتى اذا ما جاء ستالين فان السلطة غدت شخصية في الاتحاد السوفياتي وكذلك الحزب • حتى أن وجود ستالين في الحكم وما كانت تضاف اليه من القاب ونعوت قد جعل كثيرين من رؤساء الاحزاب الشيوعية في الدول الاخرى ، يعتقدون في كون سلطاتهم هي الاخرى شخصية • فلقد كان ستالين في روسيا الها يعبد • حتى اذا ما مات عادت نغمة الحزب الى وجوب العودة الى القيادة الجماعية •

وفي فرنسا ايضا نجد أن شخصية (موريس توريز) زعيم الحزب الشيوعي الفرنسي كانت هي الاخرى شخصية ومسيطرة الى الحد الذي دعى الحزب الى أن يقوم بطبع بطاقات الانتساب بمناسبة بلوغه عامه الخمسين كتب عليها : « اني أنضم الى حزب موريس توريز » وليس الحزب الشيوعي الفرنسي •

كذلك في الصين ، فان الدور القيادي البارز الذي لعبه (ماوتسى تونك) في الثورة الصينية جعل اتباعه في الحزب الشيوعي يطلق عليهم (الماويون) نسبة الى اسمه • كما هو الحال للماركسيين بالنسبة لماركس • والناصريين بالنسبة لعبدالناصر وهلم جرا ••

وفي النهاية فان الاحزاب الفاشستية والنازية تعرف هذه الظاهرة ، ظاهرة شخصية السلطة ، بجلاء •

ذلك ان السلطة في المفهوم الفاشى ، ولا سيما النازي ، انما تنبع من شخصية

الزعيم وليس من وظيفته • والشرعية انما تأتى من الزعيم وليس هناك مظهر آخر يضفي الشرعية سواه •

ان الالمان وعلى عهد النازية قد غالوا كثيرا في ذلك حتى أنهم أوجـــدوا تعبير (الزعامة)[1] تبريرا لتصرفات هتلر وتفوقه وأنه خليق بالاتباع •

(1) Führung.

الفرع الثـاني

« الصراع والتطهير في الاحزاب السياسية »

كثيرا ما نسمع ونقرأ ، أن حزبا سياسيا قد حدث فيه صراع داخلي ، وان حزبا سياسيا آخرا قد قام بتطهير صفوفه من اعدائه ومن الانتهازيين •

والشيء الطبيعي هو ان يسبق التطهير صراع يقع في داخل الحزب حتى اذا ما سيطرت جماعة منه ، على السلطة ، قامت بتصفية الجماعة الاخرى بدعوى تطهير الحزب • وفيما يلي من صفحات ، سوف نحاول بحث هذين الموضوعين •

١ ـ الصـراع :

قلنا ان الحياة السياسية معركة صراع • يتنازعها البشر فيما بينهم كل كل يريد الغلبة والنصر لنفسه • وأوجه الصراع كثيرة : منها صراع داخلي ما بين الدولة (كحكام) والشعب (كمحكومين) ومنها ما بين الاحزاب السياسية والدولة • ومنها ما بين الاحزاب والتنظيمات السياسية نفسها ، ومنها ما بين الأفراد انفسهم •

وصراع خارجي وهو الذي يتمثل في الصراع من اجل السلطة والسيطرة بين الدول في العالم •

يقول البرفسور (موركنتاو) « ويعتبر الميل للسيطرة بصورة خاصة عنصرا ماثلا في جميع الترابطات الانسانية ابتداءا بالاسرة وعبورا بالترابطات الاخوية والمهنية والمنظمات السياسية المحلية وانتهاء بالدولة »[1] •

وكما قلنا في فاتحة هذا الكتاب من ان الصراع السياسي قديم قدم الدنيا • وهو قانون يتحكم في علاقات الانسان ان لم يكن قانون الحياة نفسها • والمنافسة

---

(١) هانز • جى • موركنتاو ـ السياسية بين الامم ـ الصراع من اجل السلطان واالسلام ـ الجزء الاول ـ ترجمة : خيرى حماد ١٩٦٥ ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ ص/٦١ـ٦٢ •

عمل مشروع بحدذاتها • وهي ـ مع الصراع ـ خلف كل الفعاليات الانسانية •

والشيء الذي ليس فيه ريب ، هو أن الصراع ، مهما اختلفت صوره ، انما هدفه السلطة أولا واخيرا • وفي هذا يقول (موركنتاو) : « لعل من خصائص السياسات كلها ، سواء أكانت داخلية أم دولية ، أن مظاهرها الاساسية لا تظهر في العادة على حقيقتها أي كمظاهر للصراع على السلطان »[٢] •

ويمكن ان يعزى الصراع الداخلي للاحزاب السياسية الى ما يلي من العوامل :

آ ـ اختلاف السن •

ب ـ اختلاف التكوين الاجتماعي •

ج ـ الاختلاف الديني والعنصري •

د ـ اختلاف العقلية والثقافة •

هـ ـ اختلاف المصالح •

آ ـ اختلاف السن :

ليس من شك في أن لاختلاف السن أثرا كبيرا في الصراعات والاختلافات السياسية • ذلك ان ثمة حقيقة سوسيولوجية تؤكد ان الشباب في الغالب ثوريون وأن الشيوخ والمتقدمين في السن محافظون •

ان الشباب بدمائه الفوارة يمضي ، مدفوعا بايمانه ، في طريقه دون أن يهاب أو يخشى • ثم ان قلة التجربة تجعل الشباب لا يبالون بالمخاطر ولا يحسبون لها حسابا • ولكم جرت على هذه الارض دماء زكية لفتية قدموا ارواحهم قرابين لما يؤمنون وتحقيقا لاهدافهم •

« والشباب من الامة روحها • فهم سياج لها وحماة لاستقلالها • والشباب أبدا يوحي الوحي اذا كان ذا وعي ، فيحي في النفس موات الامل ويثير فيها الهمة والعمل • وانك لتجد الفارق ، حين تقيس شباب الامس باليوم ، كبيرا

---

(٢) موركنتاو ـ المصدر أعلاه ـ ص/١٣٢ •

وبعيدا ، ومتي كان للامة شباب واعي يشعر بما يترتب عليه من واجب كان مستقبلها سعيدا »[1] .

أما الشيوخ فان ضعف أجسامهم ، تجعلهم يخشون كل تغيير ، لانهم في حاضرهم الذين يحيون فيه مطمئنون . فالمهم لديهم انما هو الحاضر وليس المستقبل ، على العكس من ذلك الشباب ، فحاضرهم ليس مهما لانهم لا يملكون فيه شيئا ، والمستقبل هو الذي يحمل علامات التغيير ، ولذلك فهم يؤيدون كل حركة ثورية لان فيها علائم تغيير لاوضاعهم من حال لاحسن حال .

وينبغي أن ننبه الى ان هذا الامر ليس بعام . ذلك ان من بين الشباب ، بسبب ميلاده في وسط غنى ومحافظ ، يكون محافظا .

وهناك من الشيوخ من لا يزال ثوريا . جوهر الامر هو أن اختلاف العقلية ما بين الشباب والشيوخ يفرض مواقف سياسية مختلفة واضحة .

ب ـ اختلاف التكوين الاجتماعي :

في كل مجتمع ، توجد طبقة مالكة ، وهي قلة من الناس ، وطبقة مملوكة وهي الاغلبية . ان الاختلاف السياسي واضح بين اولئك الذين يملكون وأولئك الذين لا يملكون . وعليه فان التكوين الاجتماعي يلعب أخطر الادوار في تقرير المواقف السياسية .

فالشخص الذي نشأ في طبقة ارستقراطية ، يشب غالبا ، ارستقراطي النزعة محافظ الرأي والهدف . لا يؤمن بالتغيير ويقاوم كل تبديل قد يقضي على ما هو منعم به من حياة رفهة وترف شامخ .

والذي نشأ في طبقة فقيرة ، يشب غالبا ، شعبي النزعة ، ثوري الرأي والهدف . لا يؤمن ولا يرتضي بواقعه الاجتماعي ويسعى جاهدا ومجتهدا الى تغييره . لان التغيير سوف يكون قطعا أحسن حالا مما هو فيه من فاقة وعوز واذا ما فشلت مجهوداته في الثورة فلن يخسر شيئا .

---

(١) من خاطرة لنا تحت عنوان (الاستقلال والحرية) نشرت في جريدة النهضة بعددها المرقم ١٢٢ والمؤرخ في ١٧ شباط ١٩٤٨ .

وعليه فان اختلاف التكوين الاجتماعي عامل هام يدفع الى الاختلاف سياسيا لان طبيعة النشأة الاجتماعية بين الاغنياء والفقراء متضاربة • اذ يحرص الاغنياء كل الحرص على دوام مصالحهم وبقائها من جهة ، ويحرص الفقراء كل الحرص على تحطيم القيود التي وضعها الاغنياء في استمرارهم فقراء ، عاملين باستمرار ، باذلين كل جهودهم لرفع مستواهم وتحسين حالهم •

ج ـ الاختلاف الديني والعنصري :

هذه حقيقة لا مجال للاختلاف عليها • وهي ان العوامل الدينية والعنصرية تلعب دورا خطيرا وكبيرا في الخلافات السياسية • فلكم قامت من حروب بسبب الاختلافات الدينية والعنصرية في الشرق والغرب على حد سواء •

ان الدين عامل يسلب من المرء ، نتيجة ايمانه المطلق به ، حرية التفكير • فمن يؤمن بالدين انما ايمانه به جملة وتفصيلا • هذا الايمان يفرض عليه عدم قبول أى رأي يتعارض مع العقيدة التي يؤمن بها • ولذا فكثيرا ما تدخل الاختلافات الدينية والعنصرية في الاختلافات السياسية وتؤدي الى صراع دام !

د ـ اختلاف العقلية والثقافة :

يفترض في العمل السياسي أن هناك حرية لتبادل الرأي واسعة • والخلافات انما يقللها أو ربما تهذبها الثقافة • فمن أوتى حظ كبير منها ، كانت له القدرة على ايجاد الحلول للمشكلات والخلافات •

ان الانسان ابن بيئته • وتأثره بها واضح المعالم لا يحتاج الى اقامة الدليل عليه • وعقليته بما غرست فيه التجارب والاحداث من دروس ، الى جانب الثقافة التي ينهل منها ، كل هذه العوامل تخلق في الانسان عقلية معينة •

وليس من ريب في ان اختلاف العقلية والثقافة سبيل يؤدي الى الصراع وكذلك الاختلاف السياسي •

هـ ـ اختلاف المصالح :

لا نكران ان للمصالح دورا خطيرا وأثرا كبيرا في تصرفات الانسان وكذلك علاقاته بالآخرين • فكم من صديق باعد صديقه بحكم مصالحه الخاصة، وكم من عدو أصبح صديقا لعدوه ، مدفوعا باحكام المصلحة • ان هذا الامر ليس قاصرا على الافراد وانما ينطبق على التنظيمات السياسية وكذلك الدول •

ان المصالح أقوى تأثيرا من المبادىء نفسها • أو كما قال ثوسيديس :

« ان وحدة المصلحة هي أوثق صلة بين الدول والافراد »[1] •

وفي هذا يقول ماكس ويبر ايضا : « تسيطر المصالح المادية والمعنوية ، لا الافكار ، سيطرة مباشرة على أعمال الناس ، وتتحكم فيها • ومع ذلك فان « صور العالم » التي تخلقها هذه الافكار ، كثيرا ما تعمل كمحولات ، تقرر الطرق التي تعمل فيها دينامية المصالح على ابقاء أعمال الناس هذه ، ماضية في حركتها »[2] •

أن قوة المصالح كفيلة بأن تحول الثقافة الى عوامل مساعدة تكون في خدمة المصالح الخاصة وتعمل على تحقيقها •

ان الانسان ليعاني صراعا نفسيا داخليا حادا بين مبادئه ومثله من جهة وبين مصالحه الخاصة • ولكن هذا الصراع ينتهي ـ في الغالب ـ بانتصار المصالح الشخصية •

بعد أن فرغنا من دراستنا لعوامل الصراع ، يتعين علينا الآن أن نبحث موضوع التطهير في الاحزاب السياسية •

٢ ـ التطهير في الاحزاب السياسية :

لا مراء ان الخوف من فقدان السلطة وذهابها عامل أساسي يدفع قادة الاحزاب وكذلك الانظمة السياسية الى فرض سيطرتهم كاملة •

---

(١) و (٢) وردتا في كتاب (موركنتاو) ـ المصدر السابق ـ ص/٣١ •

ان فرض النظام وسلامة الدولة وفرض الامن وحماية المصلحة العامة كلها أسباب تستخدمها الانظمة السياسية لاستمرار بقائها •

والاحزاب السياسية هي الاخرى لها وسائلها الخاصة في ضرب خصومها في الداخل والخارج •

فنظام الحزب يعين القادة الحزبيين على دوام السلطة في ايديهم ودون خروجها منهم • فكما ان الجيش يعرف بدقة الضبط والربط فيه وصرامة نظامه ووجوب الطاعة ، كذلك الاحزاب لابد لها من نظام يكفل تحقيق وحدة الحزب •

وما الاحزاب السياسية (ولا سيما الفاشية والنازية والشيوعية) الا أدلة ناطقة على قوة النظام الحزبي والدور الحاسم الذي يلعبه الزعيم فيها •

والاصل في الاحزاب الاشتراكية انها تحمل ارادة حرة وديمقراطية نيرة تدفعها الى موازنة سلطة القادة الحزبيين ، لئلا تخرج عن الجادة وتشتط جنوحا الى حد السيطرة الصارخة • لذا فان التمثيل النسبي للاتجاهات في المراكز القيادية انما سببه الرغبة في فرض رقابة دائمة على تصرفات السلطة القيادية • وأحيانا يعترف لاعضاء الحزب بحق المساهمة مباشرة في ادارة شؤون الحزب عن طريق الاستفتاء وهذا ما حدث للحزب الاشتراكي الايطالي عام ١٩١٤ ، وقبل هذا التاريخ حيث سمح للاعضاء باستشارتهم حول نقاط لم تقرر من قبل المؤتمر العام• وفي الحزب الاشتراكي الديمقراطي السويدي حيث النظام الاساسي يعطى الحق عن طريق الاستفتاء ، بتغيير أو تعديل أو الغاء قرار اتخذ من قبل المؤتمر العام •

كذلك فان هناك في الاحزاب الاشتراكية لجانا مهمتها الاشراف على الاعمال الحزبية • وهذه اللجان اما تنظيمية أو لجان منازعات :

الاولى دورها ينحصر في فض الخلافات بين الاعضاء أو الاعمال غير النظامية التي تتعارض ونظام الحزب •

اما الثانية فدورها حسم المنازعات التي تحصل بين الوحدات الاساسية للحزب ، كأن تكون هذه المنازعة بين قسمين أو بين قسم واتحاد أو بين اتحادين أو بين اتحاد والمركز العام للحزب •

اما الاحزاب الشيوعية فان عمليات الاقصاء والتطهير مستمرة • اذ لا خيار للعضو بين أمرين : أما بقاؤه عضوا خاضعا لنظام الحزب ويقبل تنفيذ الاوامر الصادرة اليه دونما مناقشة أو الخروج من الحزب بعمليات التطهير والاقصاء •

ولقد كتب « لاسال » زعيم الحزب الاشتراكي الالماني مرة الى كـــارل ماركس يقول : « ان الصراع الحزبي يعطي للحزب القوة والحيوية والدليل القاطع على ضعف الحزب هو الميوعة وامحاء الحدود المرسومة بخطوط واضحة ، ان الحزب يقوى نفسه بتطهير نفسه »[1] •

كذلك كتب هيكل الالماني قائلا : «ان وجود الحزب الحقيقي ليظهر عندما ينقسم على نفسه » وفي الحقيقة فكثيرا ما يحدث أن ينظم الى صفوف الحزب أشخاص غير مؤمنين ، يندفعون الى الانتماء لحزب معين لنجاحه في الانتخابات ووصولـه الى السلطة •

كذلك نرى ان قادة الاحزاب السياسية ولا سيما في فترة نشوؤها ، يحاولون أن يجمعوا في صفوف الاحزاب أشخاصا ومجاميع قد لا تنتمي انتماءا طبقيا واحدا ولا ينتمون انتماءا عقائديا واحدا • ولابد لهذه المجاميع من أن تختلف ، وهـذا الاختلاف يقود الى صراع داخلي غالبا ما ينتهي بانقسام الحزب وانشطاره •

وهذه العملية الاخيرة لابد لها ان تظهر لانه لا يمكن اجتماع النقائض تحت سقف واحد • وعليه فان وجه الحزب الحقيقي انما يظهر بعد عملية الانقسام كما قال هيكل • فاما أن يكون اتجاهه يمينا أو يساريا •

والنقطة الاساسية التي ينبغي الاشارة اليها هو ان الصراعات الطبقيـــة والحزبية في المجتمعات النامية انما تؤدي الى شلل الامة دون تقدمها • في حين ان الصراعات الطبقية والحزبية في المجتمعات المتقدمة انما تدفع الامة نحو مراتب

---

(١) لنين ــ ما العمل ــ ص/٣ • ولعل من المفيد ان نذكر قولا لستالين في خطاب له القاه في المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي : (اعتقد ان الزعيم في وقت ما ومن حين لاخر ، يجب حتما أن يمر على صفوف الحزب وهو حامـــل مكنسة في يده) اشارة منه الى وجوب تطهير الحزب •

الرقي والتقدم • وفي الحقيقة « فان كل الصراعات الحزبية ـ كما يقول ماكس ويبر ـ ليست قصرا بصراعات ذات أهداف موضوعية ، بل انها ايضـــا وعلى الخصوص منافسات للسيطرة وكذلك توزيع الوظائف »[1] •

والملاحظ ان الاحزاب عند نجاحها وصولا الى السلطة ، يتدفق عليهـــا الراغبون زرافات ووحدانا • وهنا ينبغي على الحزب الا يفتح الباب على مصراعيه لكل من هب ودب • لان العناصر الانتهازية اسرع ما تكون دخولا اليه ولذا يجب التحوط والتحرز كثيرا في فحص الطلبات وقبول الصالح منها •

آما في حالة الفشل أو النكسة فان الحزب يغدو معارضا وهنا ينبغي فتـح القبول لان العناصر المؤمنة وحدها هي التي ترغب في الانتماء والانضواء الى حزب معين • أن تسرب العناصر الانتهازية خطر كبير على الحزب قد يؤدي الى القضاء عليه • لان العناصر الانتهازية لا تخلص الا لمصلحتها الخاصة • وانها مستعدة لان تمنح حبها وتأييدها لكل حزب • لان الانتهازي يمتلك قلوبا متعددة يمنح الحب لهذا الحزب ولذاك • ولكن كما يقول الله تعالى في كتابه العزيز :

« ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » •

فان ذلك دليل على أن تأييد الانتهازي انما هو تأييد فارغ لا معنى له ، لان قلب الانتهازي انما ملؤه المصلحة الشخصية ليس غير !

يقول ستالين : « أن ينبوع العمل الانقسامي (التكتل) في الحزب ، هو العناصر الانتهازية فيه »[2] وعليه « فان الحزب يقوى بتطهير نفسه من العناصر الانتهازية »[3] •

وفي الحقيقة والواقع فأن التطهير (مرض شائع) في الاحزاب على أختلافها وان كان اكثر ظهورا في الاحزاب الشيوعية والفاشية • على انه ينبغي المبادرة فورا الى التفريق بين الاثنين • فالفرق بينهما هو الفرق بين الفلسفتين : الشيوعية والفاشية •

---

(1) Max Weber, Op. Cit., p. 115.

(٢) و (٣) ستالين ـ المصدر السابق ـ ص ص/٢٣ و ٢٥ •

فالحزب الشيوعي يحرص على طرد العناصر المحافظة من الحزب • في حين ان الحزب الفاشى (بما فيه حزب النازى) انما يحرص على طرد العناصر الثورية في الحزب •

فالتطهير اذن يتساوق وجوده ويتناسق مع وجود الانظمة الكلية ، حيث ان السلطة في الاخيرة مطلقة ، والحكم المطلق ـ كالسلطة تماما ـ يفسد حتما •

او كما يقال : « السلطة تميل الى أن تفسد ، والحكم المطلق يفسد حتما »•

ان عيب الانظمة السياسية وكذلك الاحزاب انما يكمن في حرصهما معا على كسب الجماهير اقوالا وليس اعمالا •

كذلك عيب الاحزاب يكمن في حرصها على ارضاء اعضائها دون العمل على أرضاء الشعب ولذا فان فجوة كبيرة تحدث بين الحزب والشعب • فينكمش الاول وتنعزل عنه جماهير الشعب وهذا ما يقود الحزب الى ان يغدو ديكتاتورى النزعة •

« ان حب الوطن ـ كما قال روبسبير ـ مسألة قلب قبل ان تكون مسألة حزب »[1] •

ان اسباب التطهير متعددة ولكنها ترجع الى الصراع من اجل السلطة بين المتنافسين عليها • والتطهير في حقيقة الامر وجوهره انما هو سلاح يقضى على الخصوم ويعمل على ابعادهم من مراكزهم في الحزب فيخلو وجه الحزب للقوى المنتصرة •

ان الصراع الذى حدث في نطاق الحزب الشيوعي بين ستالين وتروتسكي وانصارهما قد انتهى بتطهير التروتسكيين من الحزب •

كذلك الصراع الخفي بين هتلر والكولونيل فون روهم قد انتهى بتصفية الثاني والقضاء عليه •

ان الصراع نتيجة حتمية لكل المجتمعات البشرية ، وكل صراع يتخذ التطهير سبيلا له • ولابد لهذا التطهير من وسائل زجرية كالارهاب والاغتيال والنفي •

---

(1) Marcel Waline, Les Partis Contre La Republique, 1948, p. 31.

وليس من شك ان التطهير انما يتأثر والى حد كبير بظروف البلد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية • كذلك يتأثر بالاحداث الداخلية والخارجية على حد سواء •

بعد هذا ، يمكننا ، ان نوجز اسباب التطهير الى ما يلي من العوامل :

١ ـ ان الانظمة الكلية تنعزل عن الجماهير دون تفاعلها معها • وهذا ما يؤدى الى حدوث الشك في ايمان الموالين للنظام •

٢ ـ الصراع بين القادة الحزبيين يدفعهم الى اتهام الاخرين بالجمود اولا حتى تصل الى الخيانة اخيرا • وبالتالى العمل على اقصائهم وتطهير الحزب منهم•

٣ ـ ان طبيعة الانظمة الكلية تقضى ان تحارب هذه الانظمة داخل اجهزتها وخارجها • ولذا فتطهير اجهزة الحكم ضرورة وكذلك تطهير المجتمع لتحقيق ولاء الجماهير للنظام •

ان الاحزاب السياسية قد اصبحت حريصة كل الحرص على أهمية التنظيم وكذلك خضوع الاعضاء الى القيادة الحزبية • ولقد اتخذ الحزب الشيوعي الفرنسي قرارا يقضى بقبول حتى من لم يكن ماركسيا في صفوفه ، شريطة ان يرتضى هذا العضو لنفسه قبول تنفيذ الاوامر الصادرة اليه من الحزب • وله ما شاء من الحق في انتقاد الماركسية خارج الحزب • ان الضرورات تبيح المحظورات • كذلك الضرورات العملية فانها فوق المبادىء عند الاحزاب السياسية •

ان عمليات التطهير والاقصاء سببها الصراع من اجل السلطان ، وهى ايضا دليل على تخوف القادة من منافسيهم وتخوفهم من سيطرتهم على ماكنة الحزب • ان هذا الامر يعطل الديمقراطية ويبطل الجو الديمقراطي وحرية النقاش وبالتالى يجعل من الاحزاب اجهزة صراع في سبيل السلطة وبعيدة كل البعد عن الديمقراطية •

ان الواقع السياسى لمجتمع ما يفرض على الاحزاب السياسية ، ان تعمد الى وجوب تحقيق وحدة الحزب وضرورة بقائه كيانا واحدا دونما انقسام أو

انفصال متخذين من النظام وفرض الطاعة على الاعضاء سبيلا يجعل من الحزب جهازا متجانسا من غير انقسام ولا اتجاهات • ولكن الحياة الواقعية للاحزاب رغم كل ذلك غدت مثالا للانقسام وتعدد الاتجاهات والاجنحة فيه •

اما وقد انتهينا من موضوع الصراع والتطهير في الاحزاب السياسية فانه بقى لدينا موضوع اخر ذلك الذى يتعلق بلصراع ما بين القادة الحزبيين من جهة والقادة البرلمانيين من جهة اخرى في نطاق حزب معين •

وهذا ما سوف نبحثه في الصفحات التالية •

المبحث الثالث

« القادة الحزبيون والقادة البرلمانيون »(١)

لقد تبين لنا بصورة لا تقبل الشك ولا الجدل ، ان الحياة السياسية في أصلها وروحها انما هي صراع من أجل السلطة • وهذا الصراع كما قد رأينا يتخذ اشكالا ثلاثة فيما يخص الصراع الداخلي وهي :

أ ـ ما بين السلطة والاحزاب

ب ـ ما بين الاحزاب نفسها

جـ ـ ما بين اعضاء الحزب انفسهم

وفي هذه الدراسة ، سوف نحاول دراسة الصراع الذى يقوم ما بين اعضاء الحزب انفسهم • ولعل أبرز صورة لهذا الصراع انما هو الصراع الدائر ما بين القادة الحزبيين والقادة البرلمانيين في حزب معين •

ان في نطاق الاحزاب البرلمانية صراعا طرفاه القادة الحزبيون والقادة البرلمانيون • والحق فان القادة الحزبيين يحاولون السيطرة على أعضاء الحزب البرلمانيين وقادة الحزب البرلمانيين يحاولون السيطرة على ماكنة الحزب أي على القادة الحزبيين وهكذا •••

وفي الحقيقة فان التفريق بين الناخبين والمنتخبين بالنسبة الى الحزب يتعلق كذلك ، والى حد كبير ، بموضوع القادة الحزبيين والقادة البرلمانيين • والشيء الواضح أن العلاقة بين الاثنين تلعب دورا خطيرا وكبيرا في حياة الاحزاب السياسية •

فالديمقراطية ، معنى ومبنى ، تقضي بأن يكون للبرلمانيين الاسبقية والتفوق

---

(١) اعتمدنا كلية في كتابة هذا الفصل على كتاب – الاحزاب السياسية – لموريس ديفرجيه •

على القادة الحزبيين على أعتبار ان الاولين يمثلون جماهير اكثر اتساعا وأكبر قاعدة من تلك التي يمثلها القائد الحزبي .

فعضو البرلمان يمثل الامة فمن ينتخبه ليس مقصورا على الحزبيين وانما يتعداهم الى غيرهم من الناخبين .

ولكن الواقع عكس ذلك . فالقادة الحزبيون يسيطرون على القادة البرلمانيين. غير ان هذه السيطرة ليست بعامة ولا مطلقة . ذلك ان الجمع بين الاثنين حاصل في شخص واحد . فكثير من زعماء الاحزاب هم أنفسهم أعضاء في البرلمان ويقومون بزعامة كتلة حزبهم البرلمانية . أي أن الشخص الواحد يجمع بين مركز قيادة الحزب وكذلك عضوية البرلمان . والفصل بين الوظيفتين لا يكون الا لماما !

ولذا فانه يمكن تصور ثلاثة مراحل أو حالات للعلاقة التي تقوم بين القادة الحزبيين والبرلمانيين وهي كالاتي :

١ ـ سيطرة البرلمانيين على الحزب .
٢ ـ الموازنة بين الاثنين ـ المنافسة ـ .
٣ ـ سيطرة الحزب على البرلمانيين .

كل من هذه المراحل أو الحالات تنطبق على نوع معين من الاحزاب ، ذلك ان هناك كثيرا من العناصر العامة تعمل على تقوية أو اضعاف هذه السيطرة ما بين البرلمانيين والقادة الحزبيين . فمثلا ، التصويت النسبي على أساس قائمة مغلقة يؤدي الى سيطرة القادة الحزبيين على البرلمانيين والسبب بسيط ، وهو أن القادة الحزبيين هم الذين يضعون القوائم ويقررون الاسماء التي تدرج في تلك القوائم. والاخذ بالافضلية يفضي الى سيطرة البرلمانيين وهكذا .

١ ـ سيطرة البرلمانيين على الحزب :

والمثل الواضح على ذلك انما هو الحزب الراديكالي الاشتراكي الفرنسي فهو يؤكد سيطرة البرلمانيين على الحزب . فلقد كان هذا الحزب قبل تعديل نظامه عام ١٩٥٥ يقرر اعتبار اعضاء في اللجنة المركزية وبحكم القانون النواب

والشيوخ واعضاء المجالس المحلية والبلدية في المدن التي يزيد عدد سكانها على الخمسين الف نسمة • وعدد هؤلاء في مجموعهم يزيد ثلاثة أضعاف على عدد ممثلي فروع الحزب ومنظماته •

وهكذا يكون للبرلمانيين من أعضاء الحزب السيطرة المطلقة في اللجنة المركزية ، ولذا فانهم (أي البرلمانيون) يتمتعون بتأثير كبير وسيطرة واضحة على الصعيد الحزبي ، وهذا ما يؤدي الى تأثيرهم في القرارات التي تتخذها اللجنة المركزية وتوجيهها الوجهة التي يريدونها • فاذا ما علم ان ليس كل ممثلي الحزب في المجالس المحلية والبلدية بقادرين على حضور اجتماعاتها (اجتماعات اللجنة المركزية) وذلك لاسباب منها :

بعد مناطقهم عن العاصمة ، وعدم تفرغهم انشغالا بأعمالهم الحزبية ، لادركنا قوة البرلمانيين في السيطرة على مقررات الحزب ، وهكذا يكون النواب البرلمانيون قوة مستقلة في اللجنة المركزية ، وهذا ما يؤدي الى أن النائب هو الذي يدير اللجان المحلية كما يشاء ، ثم يترك له استقلالية التصرف وذلك بعدم التقيد بقرارات الحزب أثناء العمل البرلماني ، وهكذا تكون الكتلة البرلمانية عند التصويت في البرلمان آخذة بالاشكال التالية : فئة تصوت (مع) وأخرى تصوت (ضد) وثالثة (تمتنع) •

يتلخص مما تقدم أن سيطرة البرلمانيين على قيادة الاحزاب لا تكون الا في الاحزاب القديمة والتي أساسها اللجان ، أي انها احزاب محافظة بورجوازية • وكما هو معلوم من دراستنا فان هذه الاحزاب لا هم لها سوى الفوز بالانتخابات الذي هو الغرض الرئيس من وجودها وكل دأبها وهدفها ينحصر في العمل ما وسعهم العمل على انجاح اكبر عدد ممكن من النواب لتولي السلطة أو المعارضة ، ولن يتأتى لهذه الاحزاب ذلك الا عن طريق النواب لذا فهم ـ النواب ـ يتمتعون بأهمية بارزة وخاصة تسمح لهم بالسيطرة على القيادة الحزبية •

ولئن كانت القاعدة هي سيطرة البرلمانيين على الاحزاب المحافظة ، فان

هناك استثناء لهذه القاعدة وهي سيطرة القادة البرلمانيين حتى على حزب قوى التنسيق الا وهو حزب « الحركة الجمهورية الشعبية الفرنسية » • فهذا الحزب يعتمد على قواعد وتنظيم قوى التنسيق وسلطة مركزية ، ولكن نظامه الداخلي يعمل على سيطرة البرلمانيين على الحزب ويحد من سيطرة القادة الحزبيين الى حد كبير • فالنظام الداخلي يقضي بأن لا يزيد عدد الاعضاء في المجلس الوطني على ثلث مجموع اعضائه ولكن الواقع يشير ويثبت غير ذلك • فالمادة (٣٢) من نظـــام الحزب تقضي بأن يكون المجلس الوطني للحزب مكونا من :

١ ـ رئيس وسكرتير عام الحركة (أي حزب الحركة الجمهورية) •

٢ ـ رؤساء مجلس النواب والشيوخ • اللذين هم أعضاء في الحزب •

٣ ـ الوزراء •

٤ ـ ممثلي الفروع •

٥ ـ الاعضاء العاملين •

والى جانب ذلك ، فاذا كان البرلمانيون لا يستطيعون أن يكونوا ممثلين رسميين فانهم بامكانهم ان يكونوا ممثلى احتياط ، فوجودهم في باريس يعطي لهم حق التمثيل • أما في اللجنة المركزية ، وهي الهيئة الدائمة التي تقود وتقرر فيما يتخذ الحزب من مقررات واجراءات ، فتفوق البرلمانيين اكثر وضوحا منها ، وذلك لانها تضم : ١٨ عضوا يمثلون فروع الحزب ومنظماته ، ١٢ برلمانيا ، وكذلك الوزراء ، وعددهم ٥ ، سواء منهم من كانوا وزراء حاليين أم قدامي ، وكذلك رئيس وسكرتير الحزب ، ٥ اعضاء مختارين من قبل اللجنة السابقة ، وعضوين من مجلس الاتحاد • مما لا ريب فيه أن حضور الوزراء الحاليين يقوى ـ من الناحية النفسية ـ سلطة البرلمانيين •

اما الحزب الاشتراكي المسيحي الذى هو الآخر قوى التنسيق فان نظامه لا يسمح بالجمع بين الوزراء وحضور اجتماعات المجلس الوطني للحزب ، وكذلك الامر بالنسبة للحزب الايطالي الديمقراطي •

اما بالنسبة للاحزاب الامريكية فان البرلمانيين لا يلعبون دورا قياديا كبيرا ذلك ان « القادة البرلمانيين قد توقفوا منذ عام ١٨٤٠ عن ان يكونوا ـ رسميا ـ قادة للاحزاب ، في الوقت الذي انسحب فيه كبار البرلمانيين ـ امثال كالهـــون وويبستر ـ من الحياة السياسية ، لان البرلمان كان قد فقد ـ تقريبا ـ كل سلطته ـ على نطاق الدولة في مواجهة الماكنة الحزبية »[1] .

ان الاحزاب الامريكية ، وهي لا مركزية ضعيفة التنسيق ، تختلف من ولاية لاخرى من حيث التنظيم . غير ان الذي يعنينا من الامر انما هو علاقة القادة الحزبيين الامريكان بالقادة البرلمانيين . فاذا كان عضو مجلس الشيوخ هو الذى يشرف على الماكنة الانتخابية المحلية وله شخصية (Boss) فانه هو الذي يدير فعليا الحزب ، ومعنى ذلك سيطرة البرلمانيين على الحزب وبالعكس اذا كان من يمتلك القوة الفعلية ويقوم على ادارة العملية الانتخابية غير برلماني ، فالسيطرة هنا للحزب على البرلمانيين .

٢ ـ المنافسة بين البرلمانيين والقادة :

في تاريخ الاحزاب البريطانية ـ في نهاية القرن التاسع عشر ـ تصـــوير وتوضيح وبرهان يؤكد كيف ان الكيانات والمنظمات الحزبية تســـبب نوعا من المنافسة بين القادة الداخليين في الحزب وبين اعضائه البرلمانيين . فكلما كانت المنظمة كبيرة كلما كانت المنافسة قوية وتؤدي الى اضعاف سلطة البرلمانيين لحساب القادة الحزبيين .

أما في الاحزاب الشيوعية والاحزاب الفاشستية فلا يكون دور البرلمان سوى تنفيذ سياسة الحزب وليست لهم سلطة على الهيئة القيادية للحزب .
واما الاحزاب الاشتراكية فهي شكل وسط تكون فيها سلطة البرلمانيين ،

---

(1) Max Weber, Op. Cit., P. 149.

من الناحية الرسمية ، أقوى من سلطة القادة الحزبيين ، وعمليا هم لا يملكون تلك السلطة وانما لهم امتيازات ليست من القوة بمكان • وهكذا تنشأ حالة التوازن النسبي بين القادة الحزبيين من جهة والبرلمانيين من جهة أخرى ان لم تكن هذه العلاقة آخذة لشكل المنافسة بين الاثنين • وهنا لا نستطيع في الحقيقة ، الحديث عن سيطرة الحزب على البرلمانيين ولا عن سيطرة البرلمانيين على الحزب• وهكذا يصح لنا القول بان العلاقة قائمة على أساس انفصال السلطة بين القيادة الداخلية والقيادة البرلمانية ، ذلك الانفصال الذي يقود الى منافسة المنظمة الحزبية التي تلعب دورا متفوقا في هذا الشأن •

ان الاحزاب بعد ان كانت ـ قديما ـ تعتمد على اللجان ، غدت تعتمد على الجماهير التي تتكون من الاقسام كقاعدة لها ، وتتمتع بتنسيق قوى وادارة مهيمنة وقوية وحازمة • هذه الفروق ، وهي كون هذه الاحزاب تعتمد على الجماهير وذلك عن طريق اقسامها والتي هي القاعدة لها ، وكون السلطة مركزية قوية ، هي التي تخلق في الحقيقة عوامل التدرج في الحزب • وهذا التدرج الوظيفي في الحزب قد يكون مستندا على (بيروقراطية) قوية ، أو يرتكز على النظام الداخلي ، والتي كلها بدورها تحول دون بلوغ البرلمانيين السلطة القيادية •

وفي الحقيقة والواقع فأنه كثيرا ما تعزى المعارضة بين عضو حزبي عامل ونائب في نفس الوقت الى عوامل اجتماعية وسياسية ، وقد تساهم التقاليد والتعصب وكذلك الاختلاف العنصري والديني الى حد ما في هذه المعارضة أو الصراع • وأيا كانت أسباب الصراع فانها ليست بعلنية دوما ، وكذلك ليست دوما بخفية ، ولكنها دائما وابدا دائمة وقوية •

وفيما يخص الناحية الاجتماعية مثلا : عضو البرلمان يغدو (بورجوازيا) في علاقته مع الاعضاء العمال العاملين في الحزب • فحتى لو كان النائب عاملا هو الآخر فانه يفقد صفة « العمالية » شيئا فشيئا ويغدو نائبا بكل ما يحيط النيابة من امتيازات وما تسبغه على النائب من مكانة ، ولذا فانه محكوم بالجو البرلماني

وبعلاقته • كذلك اتصالاته وحضوره الحفلات والمآدب الرسمية تبعده كثيرا عن « الوسط » الذي نشأ فيه • ثم رغبته في أن يكون « وزيرا » تدفعه الى ان يعيش في اجواء بورجوازية ، وهذا هو العامل السياسى •

اما وان الامر كذلك ، ترى الى أي حد يستطيع الحزب المحافظ على اعضائه البرلمانيين ، وكيف يتم له اخضاعهم والسيطرة عليهم ؟

قبل كل شيء ، ان عدد اللجان القيادية عادة قليل ، فهذا بحد ذاته عامل تضييق يحول دون أن تصل الا قلة قليلة من الاعضاء الى هذه الحلقة القيادية ، وهؤلاء في الاصل انما يكونهم البرلمانيون وهؤلاء البرلمانيون يحاولون أن تكون لهم الاغلبية في اللجان بالقياس الى الاعضاء العاملين أو الممثلين لفروع الحزب • ففي فرنسا ، مثلا ، وفي أول نظام داخلي للحزب الاشتراكي الفرنسي نجد ان البرلمانيين كانوا ممثلين في المجلس الوطني للحزب دون أن يتجاوز عددهم العشرين عضوا وان أي نائب لا يستطيع أن يمثل نفسه شخصيا في المجلس الوطني ، وليس منهم من يستطيع أن يكون عضوا في الهيئة أو اللجنة الادارية الدائمة •

أما في الحزب الاشتراكي الايطالي فلا يجوز الجمع بين عضوية البرلمان والعضوية في القيادة الحزبية ما عدا رئيس الكتلة البرلمانية الحزبية فمن حقه حضور الاجتماعات ولكن صوته يظل استشاريا • وهناك أيضا الحزب الاشتراكي البلجيكي حيث لا يسمح للوزراء اثناء توليهم الوزارة ممارسة اعمال قيادية في الحزب فالوزراء فيه لا يحضرون اجتماعات المكتب الا بصوت استشارى • واذا اصبح احد أعضاء المكتب وزيرا فقد حق حضور جلسات المكتب وكذلك صوته•

وفي أحزاب أخرى تكون السيطرة في المنظمات الحزبية للبرلمانيين سواء أكانت فردية أم تضامنية ، فكل نائب يخضع الى اتحاده نظريا ، ولكن عمليا ليس كذلك • ذلك ان النظام الانتخابي يلعب دورا رئيسا في هذا الصدد • ففي التصويت الموحد حيث تأخذ الانتخابات طابعا شخصيا يكون شخص المرشح من

حيث ظروفه وشخصيته المحلية والاجتماعية اقوى من الحزب وعلى العكس ، في التصويت بقائمة ، يغدو الحزب عاملا أساسيا في تقرير انتخاب العضو • وكذلك تعمد بعض الاحزاب الاشتراكية الى فرض مبلغ معين يدفعه العضو الحزبي من راتبه وعند صيرورته نائبا ، كذلك التهديد باقصاء النائب عند عدم تصويته وفق رغبة الحزب أو مقرراته ، وهذا في الحقيقة يعطي وبوضوح دليلا على خضوع البرلمانيين للحزب • فمثلا حزب العمال الاشتراكي الاسترالي يعطي مثلا على سيطرة الحزب على البرلمانيين ، وحزب العمال البريطاني يعطي دليلا على خضوع البرلمانيين الى القيادة الحزبية وكذلك خضوع نقابات الحزب الى الحزب •

في حين ان الاحزاب الاشتراكية اللاتينية تعطي صورة عكس ذلك ، أي تأثير البرلمانيين على الحزب • كذلك الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني فانه يخضع الى القادة البرلمانيين على الرغم من انه كان يستند على حركة نقابية ذات أهمية ملحوظة •

٣ ـ سيطرة الحزب على البرلمانيين :

من دراستنا للاحزاب السياسية وتقسيمنا لها الى احزاب محافظة واشتراكية واخيرا شيوعية وفاشستية ، نستطيع القول بان مع الاحزاب الشيوعية والفاشستية تتبين وبوضوح الحالة الثالثة من حالات العلاقة بين القادة الحزبيين والقادة البرلمانيين الا وهي سيطرة الحزب على البرلمانيين • فبالنسبة للاحزاب الشيوعية فان المؤتمر الثاني للشيوعية الدولية قد قضى بان العضو البرلماني ليس بمشرع وانما داعية للحزب ارسل الى اعدائه (اى اعداء الحزب) لتطبيق مقررات الحزب •

وفي الحقيقة فان هناك نوعين من العوامل تفسر لنا هذه السيطرة الا وهي :

آ ـ عوامل تنظيمية وهي التي تتعلق أو تعود الى الشكل التنظيمي للحزب•

ب ـ عوامل خارجية •

فمثلا تأثير النظام الانتخابي ـ كما اسلفنا ـ له أثر كبير في ذلك فالتصويت بقائمة مع التمثيل النسبي يحقق سيطرة الحزب وهو ينطبق على الاحزاب

الفاشستية والشيوعية كذلك الحال مع الاحزاب الفاشستية التي تقضي بان يدفع النائب قسما من راتبه .

اما الاحزاب الشيوعية فان العمل يحمل طابعا سياسيا عكس الاحـــزاب الاشتراكية التي أساسها وأسبابها مالية ،وهي جعل النائب لا يستلم الا راتبا زهيدا، ولكن يحوط بامتيازات وهذه الامتيازات في حقيقة جوهرها ضرب من الرقابة تكون بيد الحزب الشيوعي ، فللنائب الحق أن يستخدم سكرتارية الحزب ، وهؤلاء ـ أي السكرتارية ـ دورهم ينحصر في مراقبة نشاطات النائب في أدق تفصيلاتها .

كذلك هناك وسائل تعمد اليها الاحزاب لغرض سيطرتها على البرلمانيين وهذه الوسائل هي :

اولا ـ فنية .

ثانيا ـ ايديولوجية .

أولا ـ الوسائل الفنية :

وفيها نجد ان الحزب كثيرا ما يعمد الى الحصول على ورقة بيضاء ، موقعةمن قبل المرشح الحزبي للانتخابات يتركها لتصرف قيادة الحزب متى وكيف ما تشاء، حتى اذا ما بدر من العضو اثناء ممارسته لعمله البرلمانيما يتباين ويختلف مع السياسة العامة للحزب لجأت القيادة الى املاء هذه الورقـــة ، وذلك بتـــــقديم استقالته .

كذلك تعمد بعض الاحزاب الى ان تفرض قدرا معينا من المال والغرض من ذلك تأكيد شخصية السلطة القيادية وهيمنتها على البرلمانيين . كذلك تعمد بعض الاحزاب الى عدم السماح للشخصيات المحلية البارزة بتقديم نفسها مرشحا في منطقته ، وهدف الحزب من ذلك :

١ ـ العمل على تذويب الشخصية المحلية ، ذلك اننا كما قد رأينـــا ، عنـــد دراستنا للامركزية المحلية كيف ان لها مضارا واخطارا . فهي اذ تبعد هذه

الشخصيات المحلية البارزة من الترشيح الانتخابي تكون قد قامت فعلا بتلافي عيوبها .

٢ ـ وهذا هو الاهم ، اذ تحرص القيادة على هذا الاجراء رغبة منها في اشعار المرشح بان الانتخاب أمر يعود الى الحزب اولا واخيرا . فاذا ما انتخب في منطقة غير منطقته فما ذلك الا بتأثير ونفوذ الحزب وليس غير . والحقيقة فان العلاقة الحزبية هي أقوى من العلاقة البرلمانية ، ثم كثيرا ما يستبعد الحزب ترشيح شخصيات معروفة في عالم الادب والاجتماع والعلم ، والغرض من ذلك هو التأكيد على الاهمية الكبرى التي يلعبها الحزب وانه هو وحده يرفع ويضع . ولذا فانه يبادر بتقديم اسماء أقل شهرة وشأنا ليتسنى للحزب السيطرة عليها بسهولة ويسر .

ثانيا ـ الايديولوجية :

مما لا شك فيه ان الايديولوجية تلعب دورا كبيرا وخطيرا في حياة الاحزاب والحزبيين ويفترض فيمن ارتضى لنفسه الدخول الى حزب معين انما هو ايمانه به وبمبادئه وان يعمل العضو جاهدا ومجتهدا على نشر مبادئه . كذلك فان الحزبيين مطالبون بالخضوع والاذعان الى مقررات الحزب واجراءاته[1] . لذا فاننا في اغلب الاحيان نجد ان الحزب يسبغ على شخصياته الاولى والقيادة رصيدا كبيرا من الثقة والتقدير والاحترام ، عند ذلك نجد ان هذه العوامل مجتمعة تعمل على تسيير أمر السلطة على اعضاء الحزب بما فيهم الاعضاء البرلمانيين ايضا . ولطالما أسهم الايمان بالعقيدة دورا خطيرا في الثورات الكبرى التي حدثت في العالم . فالايمان بالاسلام كان أقوى سلاح وامضاه في

---

(١) ليس من شك ، في ان الاحزاب السياسية ، كما أثبتت التجارب الواقعية العديدة انها تسيء تطبيق الايدلوجية التي تؤمن . وليس من شك ايضا في ان اسباب ذلك انما تعود الى المصالح الحزبية التي تطغى على اعتبارات الفكر والعقيدة .

سبيل العمل على نشر الدعوة الاسلامية • وكان المؤمنون اسرع الناس اندفاعا ومضاءا في العزيمة لان الايمان قوة خارقة تفعل فعل السحر في النفوس فتنطلق بلا خوف ولا وجل عاملة جهدها في سبيل تأكيد ذلك الايمان والعمل على نشره، وكذلك الامر بالنسبة للاحزاب السياسية • فالايديولوجية قوة كبرى تعتمد على وضوح الفكر •

المبحث الرابع

اليسار واليمين والكادر السياسي

الفرع الاول

اليسار واليمين والاحزاب السياسية

اليسار واليمين مصطلحان سياسيان ، من الشيوع والذيوع ، بحيث انهما يفرضان وجودهما عند كل حديث في السياسة والاقتصاد والاجتماع وحتى الادب !

فكثيرا ما يقال ان النظام السياسي القائم في بلد ما ، نظام رجعي يميني ، وأن النظام السياسي في بلد آخر يساري وتقدمي .

كذلك بالنسبة للاحزاب ، فان هناك ، أحزابا سياسية يسارية كما ان هناك أحزابا يمينية .

وهذا الامر ينطبق هو الآخر على الافراد : فان من بين الافراد من يكون اتجاهه السياسي يساريا ، وهناك من يكون اتجاهه يمينيا .

وفي الحقيقة فان اليسار واليمين مسألة نسبية . فما كان يسارا في الماضي أصبح الآن يمينا .

وهكذا فلا استقرار لهذا المصطلح السياسي الشائع . فمثلا الحزب الراديكالي الفرنسي عام ١٨٧٥ كان حزبا يساريا اما الآن فانه حزب يميني .

ان قولنا بان « الاستمرارية » خصيصة رئيسة من خصائص الثورة هي المعول عليها ، لانها تفترض البقاء ولانها (مستمرة) . في حين أن لفظ اليسار لا يعطي المعنى الذي تضفيه صفة الاستمرارية عند الحديث عن الثورة والثوار .

وبالمناسبة فان هناك كتابا لبرجيس دوبريه ، عنوانه : (الثورة داخل الثورة) فهذا التعبير من الناحية العلمية ، لا يستقيم مع معنى الثورة . بل ان مثله مثل تعبير (الثورة المضادة)[1] .

فالثورة داخل الثورة ، لا يمكن أن تكون ! ذلك انه اذا كانت هناك ثورة ، فان الامر لا يستدعي قيام ثورة داخلها اذ أن الثورة لا يمكن ان تكون ضد الثورة !

---

(١) انظر صفحة (٥٨) من هذا الكتاب .

أما اذا توقفت الثورة لسبب من الاسباب ، فمعنى ذلك ان صفة (الاستمرارية) التي ندعو لها قد أنتفت • وعليه فانها ليست بثورة • فما أكثر الحركات التي قامت وكانت في بدايتها ثورات ثم انتهت بأن أصبحت انقلابات !

فالانقلاب ليس بثورة وعليه فان الامر يكون مقبولا من الناحية العلمية للثورة حين يقال : ان ثورة قامت وأطاحت بالحكم الانقلابي •

فالثورة شعبية والانقلاب حكم (ديكتاتودي) يقوم بمعزل عن الشعب وسلاحه القوة ! ولعل من المناسب جدا أن نعود على بدأ فنقول ان تعبير (ثورة مضادة) تعبير خاطىء ، لان الثورة شعبية ومستمرة ، ويفترض في الثورات أنها جاءت لتحقق مطالب الشعب في أغلبيته الكادحة وهي أغلبية ساحقة • عند ذاك فان الصراع ما بين القوى المالكة للثروات من جهة وبين الشعب المحروم من الثروات من جهة أخرى أمر حتمي لانهما قوتان متضادتان متناقضتان لا تلتقيان الا على صراع !

وعليه فان اعداء الشعب يريدون لثورة الشعب أن تنتهي وتزول وذلك بقيامهم بحركات مضادة للثورة • وانهم أي القوى المعادية للشعب قوى مضادة للثورة وليست قوى (ثورة مضادة) •

لان الثورة ـ وهذا أمر أساسي ـ لا يمكن أن يفجرها أو يطلقها اعداء الشعب • ان الثورة شعبية ، وأولئك الذين يتصدون لضرب آمال الشعب وتطلعاته نحو تحقيق مجتمع الكفاية والعدل والمساواة انما هم أعداء الشعب • واعداء الشعب لا يستحقون اسم (الثورة) •

ان اعداء الشعب قوى عاتية تريد استمرار بقاء مصالحها استغلالا وتحكما • انهم اعداء الشعب وانهم اعداء الثورة •

ان الثورة ملك الشعب وحده • ولذا فلا يمكن قبول تعبير (ثورة مضادة) لان الثورة انما قامت لتعصف بالقوى الحاكمة المستغلة ولتقطع ـ قلعا من الجذور ـ وجودهم • وانما يمكن أن يقال : حركة مضادة للثورة أو قوى معادية للثورة •

كان لا بد لى من أن أتحدث ثانية عن (الثورة) و (القوى المضادة للثورة) وأنا بصدد الحديث عن اليسار واليمين .

جذور اليسار واليمين :

الاصل أن (اليمين) خير وان (اليسار) شر .

هذا الامر يكاد أن يكون موضع اتفاق في كثير من اللغات . فاليمين في اللغة الانكليزية[1] وفي اللغة الفرنسية[2] وفي اللغة الالمانية[3] تعني معاني خيرة كالاستقامة والحق والبراعة .

كذلك اللغة اللاتينية فان اليمين[4] يعني الحظ واليسار[5] في هذه اللغة يعني سوء الحظ !

وهناك حديث شريف للرسول (ص) يقول فيه : (ان اليد اليمنى خير من اليسرى) . فلئن كان الامر كذلك بالنسبة الى اللغات التي ذكرناها ، ترى كيف اذن أصبح اليمين يعني المحافظة والجمود واليسار يعني التغيير والثورة ؟

الجواب على ذلك هو ان مجلس الطوائف Etats Generaux في فرنسا قد أجتمع قبيل قيام الثورة الفرنسية ، وان نواب (الطائفة الثالثة) قد أصروا على وجوب اجتماع ممثلي الشعب جميعهم ، وان يقترعوا معا بعد أن كان الاقتراع يجري كل طائفة على حدة . ولقد انتقل نواب هذه الطائفة على (يسار) رئيس المجلس اعلانا منهم عن معارضتهم للملك[6] .

---

(1) Right.
(2) Droite
(3) Recht
(4) Dexter
(5) Sinister

(٦) يقول : Littré : أن اليسار انما هو حزب المعارضة في المجالس الفرنسية ، الحزب الذي يجلس على يسار الرئيس .

ومن يومها ظهر تعبير سياسى : ان اليسار لا يؤمن بالواقع القائم وهو يريد التغيير فهو ضد المحافظة على الاوضاع القائمة • وان اليمين لا يؤمن بالتغيير وهو يريد المحافظة عليها • وهكذا غدا (اليساري) تقدميا و (اليمين) رجعيا •

وأن (اليسار) منبع الثورات ، وان (اليمين) القمقم الذي يحبس انطلاقها !

أن هذه الاقوال صحيحة غالبا ولكن ـ قطعا ـ ليست بأحكام مطلقة •

فالبروليتاريا مثلا ، تعتبر من اليسار ، وهي غالبا مصدر الثورات • ولكن هناك استثناءا لها فمثلا البروليتاريا في أوربا وفي الولايات المتحدة الامريكية ليست بثورية • ان للابنية الاجتماعية والاقتصادية أثرا باهر الوضوح في هذا الامر •

وللتدليل على ذلك ، فان طبقة البروليتاريا في الدول النامية أكثر ثورية من البروليتاريا في ادول المتقدمة •

ان الخلاف ما بين اليمين واليسار خلاف طبيعي • فالاول يملك ويتحكم وهو أقلية والثاني لا يملك وهو محكوم على الرغم من أنه يمثل الاغلبية •

ان الخلاف ما بين اليمين واليسار ، انما يجد أساسه ، في الخلاف ما بين الحكم المطلق والحكم الشعبي كما يقول اندريه سيكفريد[1] •

ولئن كانت مسألة (اليمين) و (اليسار) قد بدأت نسبية فانها أصبحت مصطلحا سياسيا غزا الاقتصاد كما قد غزا الادب ايضا •

فان الرأسمالية ـ كمذهب اقتصادي ـ انما تمثل اليمين ، والاشتراكية ـ كمذهب اقتصادي ـ انما تمثل اليسار •

والادب هو الآخر عبر عصوره الطويلة ـ قد شهد صراعا ما بين القدامى (اليمين) والمحدثين (اليسار) •

---

(1) André Siegfried — Dans Beau Lomenie, Qu' appelez — vous Droite et gauche? (1931).

جوهر الامر ، أن المجتمع انما يخضع في عمليات تغييره وتطويره الى الصراع الذي يدور بين القوى القديمة (اليمين) وبين القوى الجديدة (اليسار) وبين القوى التي تملك (رجعية) وبين القوى التي لا تملك (تقدمية) • ولكن للزمن فعله وتأثيره بحيث قد يجعل من قوى بدأت يسارية أن تنتهي بأن تصبح يمينية !

ان الحياة صراع طرفاها : قديم قاعد يريد المحافظة على مواقعه ، استغلالا وتحكما لا يرتضى لغيره تغييرا ولا تحويلا ولا يرتضى لمواقعه تبديلا• وهو يحرص عليها حد الجمود !

وجديد صاعد يريد أن يحقق لنفسه موقعا في المجتمع الذي فيه يعيش وهو يحرص على تحقيق غايته مضحيا وتضحيته هنا بلا حدود !

الاول يخاف المستقبل لانه مشحون بالتغيير فيحرص على حاضره القائم ما وسعه الحرص الى ذلك سبيلا ، والثاني يتطلع الى المستقبل أملا في أن يحقق لنفسه مكانا على الارض التي ولد فيها وان يحقق لغيره حياة حرة كريمة تملأ أمنا وكفاية وعدلا •

بعد هذا الذى قلناه عن اليسار واليمين ، نتناول بالدرس ، موضوع (الكادر) السياسي لما له من علاقة وثقى ومباشرة ومؤثرة في الاحزاب السياسية •

الفرع الثاني

الكادر السياسي

لا مراء في أن كل نظام سياسي وكذلك الاحزاب السياسية ، بحاجة ماسة الى فريق كشاف ، به يستطيع النظام وكذلك الحزب أن يواصلا سيرهما الطويل التحاما بالجماهير وتعرفا منهما على ما تحب الجماهير وما تكره ، ما تريد وما لا تريد• ثم لابد أن يتعرف النظام السياسي وكذلك الحزب السياسي على موقعه في قلوب الجماهير !

وكما أسلفنا من قول ، فان في كل مجتمع سياسي قوتين : قديمة قاعدة وجديدة صاعدة ! الاولى وهي تمتلك السلطة تعمل جاهدة ومجتهدة على البقاء حيث هي • بمعنى أنها لا تريد هبوطا لنفسها ولا سقوطا !

والثانية وهي لا تملك من السلطة شيئا سوى الالتزامات اذعانا لما تفرضه عليها السلطة العليا دون أن يكون لها حق في تقرير هذا الامر • وهي تريد للمجتمع تحويلا وتبديلا • بحيث يعود هذا التبديل في صالحها لانها ـ وهي الطبقة المسحوقة ـ هي صاحبة المصلحة في عملية التغيير والتحويل •

عند ذاك لابد من حدوث الصراع • والتاريخ يحدثنا الكثير عن صراعات قامت بين القوى القديمة والقوى الجديدة • وكان النصر دوما حليف القوى الجديدة ولكن على بحر من دماء !

ان الحياة طريق وعر ، ولن تعبده الا الدماء والتضحيات •

وصعوبة الانتصار في الصراع الدائر ما بين القوتين انما يعود الى الاسباب التالية :ـ

أولا ـ رسوخ أقدام القوى الرجعية القديمة • فهي بما تملك من سلطة وامتيازات قد سيطرت سيطرة تكاد أن تكون كاملة سياسيا واقتصاديا وفكريا

ثانيا ـ وان التجارب العديدة التي خاضتها القوى القديمة عبر العصور ، قد حصنتها وجعلتها أقدر على التحوط لمواجهة احتمالات المستقبل النابضة بالتغيير •

ثالثا ـ ان القوى القديمة تعرف بالضبط ماذا تريد وماذا ينبغي عليها ان تعمل ، ولذا فانها دوما متراصة القوى وموحدة الاهداف • وهذا ما يجعلها أكثر قدرة على الحركة أو التحرك •

رابعا ـ ان الرأي العام في الاصل انما يتعلق بالقديم ، لانه قد اعتاد هذا الشيء ، ويظهر الرأي العام دوما خوفه من كل آت جديد ، لان الجدة في نظره ، انما تحمل اخطارا لا تدرك تهديدا لوجوده •

ثم ان وسائل الاعلام والتعبير مملوكة ـ فكريا وماديا ـ الى القوى الرجعية القديمة •

ولكن هذه القوى القديمة ، على الرغم من قوة ما تملك • فأنها لا تستطيع أن تقف في وجه التيار ولا هي بمستطيعة أن تمنعه من الجريان ! •

كل هذه الامور مجتمعة الى جانب ان هناك كثيرا من العناصر الانتهازية تتسلل داخل التنظيمات السياسية ، وهي في حقيقة الامر وجوهره انما هي عناصر تخريبية معادية ، تجعل من الضرورة بمكان قيام جهاز يكون أعضاؤه عيونا كاشفة تفضح حقيقة أعداء الشعب وتعمل على كشف العناصر الدخيلة المخربة .

كذلك ينبغي على كل نظام وحزب أن يحيط علما وخبرا بآراء الناس وافكارهم ، فيتعرف على حقيقة آرائهم وما هي مطاليبهم ولن يتسنى للنظام السياسي أو الحزب ذلك الا بوجود أجهزة اتصال تتعرف على أعمق آراء الشعب .

ولما كان النظام السياسي وكذلك الحزب يتصدر كل واحد منهما عملية تثقيف الشعب فلابد اذن من جهاز مثقف واعي مسلح بالعلمية ومدرك لاحتياجات الشعب ومشاكله لكي يكون قديرا على حل هذه المشكلات . ثم ان التمييز بين المؤمن والانتهازي من الاعضاء يستدعي قيام جهاز مراقبة دائم الحركة مسمر العمل .

وعليه فلابد من قيام (الكادر) السياسي الذي يمتلك القدرة على التحرك نضالا كما يمتلك القدرة على التحرك فكرا وعملا .

ذلك ان هناك من التناقضات ـ كما يقول ماوتسى تونك ـ بيننا وبين اعداءنا ، هي تناقضات عدائية . أما في صفوف الشعب ، فان التناقضات فيما بين الشغيلة هي تناقضات غير عدائية . في حين ان التناقضات بين الطبقات المستثمرة والطبقات المستثمَرة ، تحوي الى جانبها العدائي جانبا آخر غير عدائي »[1] .

وهكذا فان التناقضات الاولى لن تزال الا عن طريق النضال . أما الثانية فانها تزال عن طريق التثقيف والتوعية .

---

(١) ماوتسي تونك ـ حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين صفوف الشعب ـ دار النشر باللغات الاجنبية بكين ـ ١٩٦٨ ـ ص ٣ .

ان قيام الكادر السياسي ضرورة حيوية كبرى للاحزاب السياسية ، لانه كما يقول ـ ديمتروف ـ :

« ستكون أفضل قراراتنا وأحسنها مجرد قصاصات من الورق اذا لم يتوفر لدينا الناس الذين يعرفون تطبيقها »[٢] .

بعد هذا ، لابد لنا من التساؤل ، ترى ما هو المعيار أو المعايير الاساسية في اختيار الكوادر ؟

لابد أن تتوافر الصفات التالية في الكادر :

١ ـ أن يكون منتميا الى الطبقة الجديدة الصاعدة ويستوى الامر ان كان انتماؤه طبقيا أو فكريا .

٢ ـ ان يكون من المؤمنين بحق الجماهير حريصا على صلته بها .

٣ ـ أن يكون واعيا ومدركا يتحلى بالعلمية الى جانب كونه محيطا لمشاكل مجتمعه قادرا على تحمل المسؤولية .

وكلمة أخيرة نقول ان (الكادر) « عين » ترى و « عقل » يفكر و « رئة » يتنفس بواسطتها الحزب و « قلب » ينقى دمه !

---

(٢) ديمتروف ـ في الكادر ـ ترجمة خالد السلام ـ مطبعة الزمان بغداد ـ ١٩٥٩ ، ص ٣ .

الفهـرس

الصفحة

المقـــدمة ٣ـ٩

البـاب الاول

الديمقراطية والاحزاب السياسـية

الفصل الاول : الادوار التي مرت بها الديمقراطية ١٣

المبحث الاول : نظرة عامة ١٤

الفرع الاول : الديمقراطية عند اليونان ١٤

الفرع الثاني : الديمقراطية عند الرومان ١٨

الفرع الثالث : الديمقراطية عند العرب ١٨

الفرع الرابع : الديمقراطية في صدر الاسلام . . . ٢١

الفرع الخامس : الديمقراطية في القرن الثاني عشر . ٢٩

الفرع السادس : الديمقراطية في الغرب ٣١

الفرع السابع : الديمقراطية في الدول النامية . . . ٣٥

المبحث الثاني : هل الاحزاب ضرورة أو لا ؟ ٤٢

الفصل الثاني : الثورة والانقلاب والاحزاب السياسية . . . ٤٨

المبحث الاول : الثورة والانقلاب ٤٨

المبحث الثاني : الاحزاب بين المؤيدين والخصوم . . . ٥٨

المبحث الثالث : وحدة القوى الثورية في الوطن العربي . . ٦٤

الفصل الثالث : الاحزاب السياسية ٧٦

المبحث الاول : تعريف الحزب السياسي ٧٧

المبحث الثاني : نشأة الاحزاب السياسية ٨٥

المبحث الثالث : الحيا ةالسياسية والقوى المتصارعة . . . ٩١

الفرع الاول : الصراح السياسي ٩٣

الصفحة

الباب الثاني

الهيكل العام للاحزاب السياسية

الفصل الاول : البناء الحزبي ٩٩
الفرع الاول : الاحزاب المحافظة ١٠٠
الفرع الثاني : الاحزاب في اسرائيل ١٠٨
المبحث الثاني : الاحزاب الاشتراكية ١١٤
المبحث الثالث : الاحزاب الشيوعية ١١٨
الفرع الاول : الحزب الشيوعي الروسي ١١٨
الفرع الثاني : الحزب الشيوعي الصيني ١٢٢
المبحث الرابع : الاحزاب الفاشستية ١٢٦
االفرع الاول : الحزب الفاشي ١٢٧
الفرع الثاني : الحزب النازي ١٣٠
الفصل الثاني : التكوين الداخلي للاحزاب السياسية . . . ١٣٦
المبحث الاول : التكوين المباشر وغير المباشر للاحزاب السياسية . ١٣٧
المبحث الثاني : الوحدات الاساسية للاحزاب السياسية . . ١٤٠
المبحث الثالث : الارتباط العام ١٤٦
الفصل الثالث : العضوية في الاحزاب ١٦٠
المبحث الاول : فكرة العضوية ١٦٢
المبحث الثاني : طبيعة المشاركة في الاحزاب ١٧١
الفصل الرابع : قيادة الاحزاب ١٧٥
المبحث الاول : اختيار القادة ١٧٩
المبحث الثاني : القادة الظاهريون والقادة الحقيقيون . . ١٨٣
الفرع الاول : سلطات الهيئات القيادية ١٨٦
الفرع الثاني : الصراع والتطهير في الاحزاب السياسية . ١٩٧
المبحث الثالث : القادة الحزبيون والقادة البرلمانيون . . ٢٠٨
المبحث الرابع : اليسار واليمين والكادر السياسي . . ٢١٨
الفرع الاول : اليسار واليمين والاحزاب السياسية . . ٢١٨
الفرع الثاني : الكادر السياسي ٢٢٣

ت ٢٣/انتهى الطبع في ١١-١١-١٩٦٩

133

GENERAL BOOKBINDING CO.
149WB 318
73 4 P 7325
QUALITY CONTROL MARK

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0045787301

JF
2051
.H36

1

JUN 10 1973

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU17950520